

الصابئة المندائيون/العقيدة والتاريخ

منذ ظهور آدم(ع) حتى اليوم

الصابئة المندائيون
العقيدة والتاريخ
منذ ظهور آدم(ع) حتى اليوم

تأليف

محمد نمر المدني

الصابئة المندائيون /العقيدة والتاريخ/ منذ ظهور آدم(ع) حتى اليوم

تأليف: محمد نمر المدني

الطبعة الأولى: 2009.

عدد النسخ: 1000 نسخة.

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار ومؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: 00963 11 5627060

فاكس: 00963 11 5632860

ص. ب: 259 جرمانا

الصابئة والنبي يحيى
في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ صدق الله العظيم.

القرأن الكريم آخر الدساتير الربانية. ورسول الله محمّد (ص) آخر الأنبياء المرسلين الذين اصطفاهم القدير سبحانه وتعالى رحمة للعالمين. ولأن مصدر الوحي واحد ، ولأن مصدر التشريع واحد ، ولأن الحكمة الربانية واحد ة؛ فإن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن المجيد على آخر رسله ((محمّد)) (ص) تذكيرا" لمن يعتبر ، وإنه جلّت أسماؤه القادر وعلى كلّ شيء قدير ، وإنه يستطيع ان يحقق للبشر أمنياتهم وما يسعون اليه ؛ بإرادته.

زكريا عليه السلام

المؤمنون المنقطعون إلى عبادة الواحد الأحد صلاة وتسبيحاً وتمجيداً لوجوده وجبروته يرجون أن تكون دعواتهم مستجابة ليشملهم برحمته التي لا حدَّ لها؛ ومن هؤلاء المؤمنين المنقطعين للعبادة الشيخ (زكرّيا) العابد المؤمن بقدرة خالق الكون العظيم الأوحد .عن الصابئة يخبرنا علاّم الغيوب وما تحمل الأرحام وما تخفي القلوب يخبرنا الرحمن الرحيم عنهم في بعض الآيات:

يقول سبحانه وتعالى في القرآن المجيد : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ صدق الله العظيم **(الآية٦٢ سورة البقرة)** .

وقال خير القائلين : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ صدق الله العظيم وفي (**سورة الحج الآية ١٧**).

ويخبرنا العلّي القدير بقوله : بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ صدق الله العظيم.

أتباع دين سماوي

ما تقدم من آيات الذكر الحكيم البينات التي أنزلها سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز التي لا تحتاج إلى تفسير أو تأويل لتؤكد حقيقة واحدة ألا وهي إن (الصابئة) كانوا ومازالوا في عهد الرسول الكريم (محمّد) (ص) وهم يتمتعون بكافة الحقوق الدينية والدنيوية التي يتمتع بها غيرهم، إنها آيات بينات من ربّ كريم ساطعات البيان كشمس الظهيرة إن الواحد الأزلي (تقدّست أسماؤه) أرسل أنبياءه ورسله مبشراً بوجوده الأزلي، داعياً إلى عبادته لأنه الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد إنه العلي القدير وبمشيئته تكونت العوالم وبمشيئته نطق الرسل الذين اصطفاهم ربّ العزة الرحمن الرحيم ؛ حاثاً البشر إلى التنبه والإبتعاد عن غواية الشيطان العاصي الذي يقود ضعاف القلوب والدين بعيداً حيث الغواية والتهلكة والندامة التي لاريب فيها .

إنا نبشرك بغلامٍ اسمه يحيى

لم يكتف ربّ العزة، الحي الأزلي، السميع العليم بأن أورد للبشر الآيات البينات عن ((الصابئة)) وجعلهم سواسية مع الذين آمنوا بوحدانيته وربوبيته وبأنه خالق الأرض وفاطر السماء وما بينهما من بشر وحشر، بل إنه (عظمت قدرته) أورد

لنا مثالا" على قدرته اللا متناهية ؛ قصة الحدث العظيم الذي بشّر به العليّ القدير عبده المؤمن الشيخ (زكريا) ذا التسعة والتسعين عاماً ؛ حيث قال الحي الأزلي : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً﴾ صدق الله العظيم. الاّ أن الشيخ المؤمن العابد ارتج عليه ولم يصدق ما أوحي إليه ؛ فعمره تسع وتسعون عاماً وزوجه (آنشبي) عاقر وهي في الثامنة والثمانين من سني عمرها ، فكيف تحمل (آنشبي) ؟

ظل الشيخ الجليل حائراً شاكّاً ؛ فأوحى إليه سبحانه جلّت قدرته وعظمت : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ **(سورة مريم)** صدق الله العظيم .

بيد أن الشيخ المؤمن لم يكن بحالة تسمح له ليفهم ما يوحى إليه وما يصله من ربِّ العزة ، وظلّ مترددا" لا يهدأ و لا يرتاح له بال ؛ فيعاود مناجاة ربه الأكرم.

فخرج على قومه من المحراب

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴿١١﴾﴾ صدق الله العظيم .

وهاهو العلي القدير القادر المقتدر ذو الحول الشامل سبحانه وتعالى يخبرنا في محكم كتابه المجيد :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴿١٢﴾ وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً ﴿١٣﴾ وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً ﴿١٥﴾﴾ صدق الله العظيم. — **(سورة مريم)**.

إن اللّه سبحانه ليؤكد لبني البشر أن ((يحيى)) عليه السلام سيكون نبياً يحمل تعاليم ربه الواحد الأحد وتوصياته المرسلة إليهم في كتاب محكم ؛ وفي نفس الوقت يخبرهم أن الإنسان ومهما ارتفعت منزلته وعلت فإنه عائد إلى خالقه وبارئه ومولاه حيث لا عاصم من الموت .

وسبّح بالعشي والأبكار

إن المعجزة الربانيّة هذه يؤكدها ثانية الحي الأزلي بسورة آل عمران الآيات: ٣٨، ٣٩، ٤٠ ، ٤١ حيث يقول ربّ العزة :

بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾ صدق اللّه العظيم .

سبحان اللّه الذي لم يكتف بأن حقق للشيخ النقي التقي أمنيته وأمله في الذريّة الصالحة ، بل أنبأه بأن أوحى إليه أن امرأته ستحمل، وفي أحشائها ولد ذكر سيكون حكيما" ، صالحا" بارا" بهما وبأنه سيكون نبياً ، وأن اسمه (يحيى) . فيالها من بشرى سماوية ويالها من فرحة لا تعادلها فرحة ، إنها بشرى من السماء وفرحة في أن يرى العابد المعبود وهو يأزف له النبأ العظيم بأنه سيكون أباً وليس كأب آخر إنه أب لنبيٍ بعد أن ظنّ أن أمله قد خاب في أن يرى ذرية من صلبه ترث اسمه وملكه.

إني وهن العظم

إلاّ أن الشيخ غير القانط والذي لم يستول عليه اليأس ؛ فهو مؤمن أنّ اللّه قادر وعلى كلّ شيء قدير :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً ﴿٤﴾﴾ **(سورة مريم)** صدق الله العظيم .

كانوا يسرعون في الخيرات

ويؤكد ربُّ العرش معجزته بآيةٍ اخرى فيقول القوي المقتدر : بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ **(سورة الأنبياء)** صدق الله العظيم.

وسيداً ونبياً من الصالحين

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ صدق الله العظيم .

وحقق اللّه الحيّ الأزلي أمنية الشيخ زكريا الذي آمن أن ما يحقق الأماني هو العمل الطيب و الكلمة الحسنة والإيمان بأنّ اللّه واحد أحد وأنه قادر، على كلِّ شيء قدير؛ فهاهو ربّ العزّة يحقق للشيخ ذي التسع والتسعين عاماً وزوجه ذات الثمان والثمانين، امنيتهما فوهبهما ابناً نبياً لم يكن له من قبل سميّ أسماه اللّه

(يحيى). وهو النبي الذي يؤمن به الصابئة المندائية المعاصرون. وهم يوحّدون الله سبحانه ويرونه العلي القدير، ويحتفظون بكتب ومخطوطات قديمة يقولون بأنها هي كنز الربّ الذي أوصاهم به يحيى عليه السلام.

تأثّرت المندائية بالإسلام كما يفصح عن ذلك المندائيون أنفسهم. وطوال القرون الماضية كانوا يشاركون المسلمين في بناء الدولة الإسلامية. وبرز من بينهم رجال مشاهير كثابت ابن قرة وغيره. واستطاعوا أن يحافظوا على كيانهم طوال آلاف السنوات. فتأثرت بعقيدتهم كل من المسيحية واليهودية، وأخذت عن عقائدهم. كما انتحلت بعض المذاهب الإسلامية عن شرائعهم بعض عقائدها. كالدروز الموحدين والإسماعيليين والنصيريين. ورغم اختلاطهم مع شعوب كثيرة عبر القرون فقد حافظوا على ديانتهم التوحيدية المستقلة عن كافة الديانات والمذاهب.

لم يبق منهم اليوم سوى عدد قليل لايزيد عن ٧٠ ألف مندائي. وبسبب الغزو الأمريكي والصليبي الظالم للعراق، وما نتج عنه. هاجر القسم الأكبر منهم إلى دول عديدة، وتشتتوا وتشرذموا.. ونقرأ بعض الكتابات والأقلام الإسلامية التي تتهمهم بالماسونية وبالعمالة للغرب واليهودية.!. نناقش في هذا البحث كلّ هذه المواضيع وغيرها، ونحاول أن نكشف حقيقة هذه الديانة وأهلها. راجين من الله العلي القدير أن يلهمنا إلى الحقيقة، وأن ينجينا من الوقوع في أي خطأ في البحث والتقدير.

براءة المندائية

المندائية قوم قليلو العدد، يمكن تبرئتهم من أيّة تهم أو شبهات قد توجه إليهم. وبالتعرف على عقيدتهم وعباداتهم وطقوسهم وتاريخهم وصفاتهم يشعر المرء بالتعاطف معهم، ويتعرف على براءتهم.

ولعله من المؤكد بأن الصوفية الإسلاموية قد اطّلعت على شرائع المندائية فتأثرت بها، وحدث في الصوفية خلط كبير بين الإسلام والفكر الآخر..!. وكانت

المندائية أحد عناصر هذا الفكر الآخر... لذا ننبه القارىء لضرورة تمييز الفكر الديني المندائي حين يتعرف عليه في هذا الكتاب، والحذر من خلطه بما يحمله من معرفة عن الإسلام.

١. فهم أعداء ألداء لليهود، وقد تعرضوا لمذابح ومحن كثيرة ارتكبها بحقهم اليهود منذ القرن الأول. ونصوص المندائية المقدسة تعادي اليهود بشدة، فلا مجال لحدوث أي تحالف لهم مع الصهيونية ولا الأمريكية المتصهينة ولا الماسونية المتهودة.

٢. ليس لهم أي رابط ديني مع المسيحية النصرانية، فنصوصهم تخالف المعتقدات المسيحية، بل تنسف أسسها. ونبيهم يوحنا تختلف صورته كلياً عن الوصف المسيحي له. فالمسيحية الغربية لايمكن أن تتفق مع المندائية في أية تسويات شرعية.

٣. الشرائع المندائية تحرّم كافة الأشكال العقائدية والمنهجية التي تتبعها الماسونية، ولذلك فهم أبعد مايكون عن الانزلاق في أي شكل من أشكال التعامل معها.

٤. موقعهم العالمي بين الشعوب: مشابه تماماً لموقع المسلمين السنة والشيعة. فهم من المظلومين والمستهدفين بسبب نقاوتهم وصدق إيمانهم وتوحيدهم لله عزّ وجل.

٥. نتبنى في هذا الكتاب النظر إليهم بحكم الآيات القرآنية الكريمة التي تعتبرهم أصحاب دين سماوي. فهم موحدون لله وعابدون وصادقون وقانتون.

٦. ديانتهم التي نتعرّف عليها في هذا العصر تشبه إلى حدّ كبير الديانة الإسلامية الحقيقية، وأوجه التشابه كثيرة جداً، فالمندائية أقرب إلى الإسلام من أي اتجاه ديني أو فكري أو أيديولوجي آخر. بل ليس لها إلا التحالف معه.

٧. لأنهم غير مسلمين، فهم بعيدون كل البعد عن كل الخلافات المذهبية التي نشأت منذ القديم بين الفرق الإسلامية. وهم منذ ظهور الإسلام لايطلبون من المسلمين إلا شيئاً واحداً: وهو اعتبارهم أهل كتاب والتعامل معهم بموجب الآيات القرآنية الثلاث. التي ذكرتهم. واليوم فإنهم لايريدون من المسلمين إلا الأمان والترأف بهم من أخطار القتل أو الترحيل أو التمييز العرقي والطائفي. والمؤسف أن أفراد

جماعات إرهابية قاموا باغتصاب بعض بناتهم، وبإجراء عمليات (طهور) قسرية لبعض رجالهم.!. فأين الإسلام من أفعال أولئك الإرهابيين.!.؟.

٨. لايمكن أن يتحول المندائيون في أي يوم من الأيام إلى أعداء للمسلمين، لأن شرائعهم وعقائدهم لاتحمل سوى الرحمة والحب والسلام والإخاء الديني.

٩. جار عليهم اليهود فرحلوا من فلسطين إلى شمال العراق، وجنوب إيران. وتوسّلوا من جيرانهم العيش بأمان وسلام. فأقاموا بين النهرين عشرين قرناً. واليوم تهددهم فئة صغيرة لاهوية لها، فيحملون مخطوطاتهم الثمينة ويهربون إلى دول الغرب والمهجر.

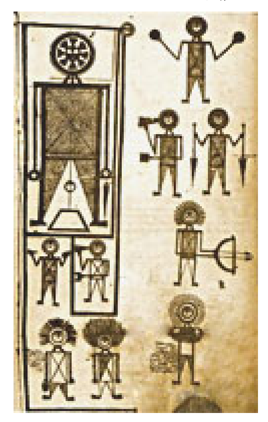
١٠.لوجودهم واستمرارهم ضرورات ملحّة كثيرة، وتعود بالفائدة على جميع العرب والمسلمين، وعلى المسيحية واليهودية، وعقائد الغرب كله. فهم يمثّلون تاريخاً قديماً سحيقاً مازال قائماً في القرن الواحد والعشرين. إنهم تراث ديني وغنوصي، وفلسفة الشرق فيهم. وفلسفة اليونان. فبدلاً من البحث العسير تحت التراب عن أدلة وشواهد تاريخية تحيّر العلماء، نجد المندائية كلها تراث وتاريخ قديم حيّ يرحّب بكل الباحثين والمتشوقين للمعرفة.

١١.تصحيح المغالطات التاريخية تنطلق من تراثهم. فالنصوص المندائية هي التي تساعد في الكشف عن أكاذيب اليهود ومزاعمهم وعن تزويرهم للتاريخ ولنصوص التوراة. ويقول أحد المستشرقين الألمان إنه للتعرف على تاريخ المسيحية توجب البحث في نصوص المندائية.

١٢.في مناطق تواجدهم (شمال سورية وشمال العراق وجنوب إيران) حدث احتكاك لهم مع المسلمين. ففي نفس المنطقة نشأت الحركات الصوفية الإسلامية المتعددة، وهي تتشابه كثيراً مع المندائية، فللكشف عن عقائد الصوفية وتاريخها وملابساتها لابد لنا من الرجوع للمندائية. فبرغم تأثر الصوفية بهم فهم أبرياء منها.

١٣.تأثّرت بعقائدهم الكثير من الجماعات الإسلامية واليهودية والمسيحية والماسونية. ورغم ذلك فهم أبرياء من كل تلك الجماعات.

١٤.بفضل وجودها داخل المجتمع الإسلامي طوال خمسة عشر قرناً مضت. تأثّرت المندائية أكثر التأثّر بالإسلام، وحملت الكثير من العقائد الإسلامية، ورغم ذلك ظلّت محافظة على هويتها الدينية.



تعريف بالدين المندائي

كثر الكلام عن الصابئة (تاريخهم ودينهم وطقوسهم). ومازال وجهات النظر التي تدور حولهم مختلفة، لابل متناقضة أحياناً من خلال الأبحاث والدراسات التي ما تزال متواصلة حولهم. وإن لم يبق اليوم إلا القليل منهم، ممن يعتنق هذا المذهب ويمارس طقوسه، إلا أن ذكرهم في القرآن يدل على وجود أناس، عند ظهور الإسلام في مكة والحجاز، كانوا يعتنقون هذا الدين ويمارسون طقوسه. وإن خلافات كثيرة في وجهات نظر الباحثين القدامى والمعاصرين ماتزال تثار حول تسميتهم.

المندائية ديانة مستقلة كلياً عن كل الديانات. فهي ليست مذهباً ولافرقة دينية. وكانت موجودة قبل تاريخ ظهور الأديان السماوية الثلاث. وكتعريف بسيط للدين المندائي، فهو معرفة الوجود، والايمان بوجود القوة الخالقة للإنسان والأكوان، وتكوين صلة وعلاقة ما بين الإنسان وهذه القوة (اللّه سبحانه تعالى) والتي كشفت عن نفسها للإنسان عن طريق الرسل والأنبياء. فالدين المندائي كما يعرّفه أحد المتدينين به: هو حاله حال بقية العلوم والفنون التي يتداولها الإنسان، فهي تطورت

ونمت وتأثرت إلى أن وصلت ما وصلت إليه الآن، عبر مشوارها الطويل في الحضارات الانسانية منذ القدم إلى العصر الحالي، وهو هذه المنظومة المعقدة عملاً أو فكراً، والتي تسمى بالدين هو جوهره وأصله، وهو معرفة بوجود خالق هذا الكون والإيمان والتسليم لأمره، على الرغم من اهمية ما وصلت إليه هذه المنظومة الدينية من تنظيم حاجة الانسان المادية والروحية في حالات معينة.

وهي ديانة توحيدية، Monotheism (التوحيد) جاءت من Monos (واحد) تؤمن بوجود إله واحد، وتعبده. وتؤمن بالأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله على المندائية، وكان آخرهم النبي يحيى.

لاتوجد إحصائية دقيقة وعلمية وشاملة لحد الآن تقرر العدد الحقيقي لأتباع هذه الديانة، ولكن العدد يتراوح ما بين ٥٠٠٠٠ – ٦٠٠٠٠ الف نسمة في جميع انحاء العالم، كما تقول المراجع المندائية الأخرى، بأن العدد يترواح بين ٦٠٠٠٠ أو ٧٠٠٠٠ ألف كانوا جميعهم تقريباً يعيشون في العراق حتى مرحلة ما قبل الغزو الغربي وتدمير البلد. وبدأ ينخفض عددهم منذ العام ٢٠٠٣ . فهاجر بعضهم إلى سورية والأردن تحت تهديد العنف والاضطهاد، والتدمير الغربي للبلد. وهاجر البعض إلى بلدان الشتات، في أوروبا وأستراليا وأمريكا الشمالية.

بل وأعربت بعض المؤسسات الدولية عن خشيتها من انقراض هذه الملّة الدينية. فقد قتل الكثير منهم في خضمّ الاقتتالات الطائفية في العراق.

أغلب المعلومات التي كانت تكشف عنهم وعن ديانتهم، صدرت من المستشرقة هاينريش بيترمان petermann، والمستشرق نيكولاس سيوفي siouffi، والسيدة ايثيل دراوير drower .

واقترح الباحث فريد أبريم aprim ان يكون أصل المندائيين ومنشأ اسمهم قد جاء من البابليين، معتمداً بذلك الاستنتاج على وجود كلمات مشتركة في لغتيهما.

لقد عاش المندائيون في القرون الماضية حياة فقر وجهل وتخلّف فأضاعوا كتبهم المقدسة، ونسوا لغتهم، فلم يتمكنوا من قراءة نصوص كتبهم المقدسة، وفي العقود الأخيرة. وبواسطة جهود المستشرقين والباحثين الألمان الذين عثروا على بعض المخطوطات وقاموا بترجمتها إلى الألمانية. ثم ظهرت ترجمات لها إلى العربية: عندئذ

أصبح بمقدور المندائي التعرف على كتابه المقدس (كنزا ربا) والتمكن من قراءته وفهم دينه.

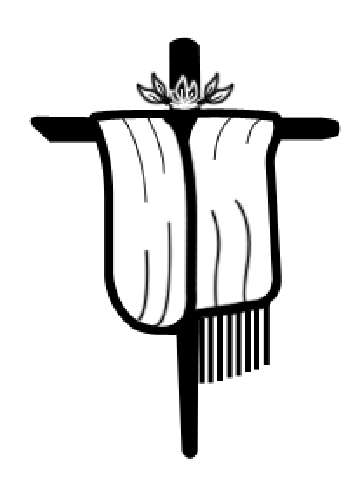
المندائية ديانة توحيدية مستقلة عن كافة الديانات. فهي ليست منشقة عن الإسلام، وبنفس الوقت تلتقي مع الإسلام في الكثير من العقائد.

أتباع المندائية يمجّدون آدم عليه السلام، ويعتبرونه أول الأنبياء.

لكنها تكذّب الديانات السماوية الثلاث، ولاتؤمن برسالات الأنبياء التي ظهرت بعدها: فلا تؤمن برسالات إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام.



(صورة فنية ترمز للملائكة حسب المفهوم المندائي)



الفصل الأول

شريعة الحياة والفطرة

(كنزا ربا)
الكتاب المندائي المقدس

الكتاب الرئيسي يسمى (كنزا ربا) ومعناه (الكنز العظيم)، وهو الكتاب الروحي والمقدس للمندائية. يحتوي مفاهيم وكلام الرب العظيم وتعاليمه إلى الإنسان، وهذا الكتاب لم يكتب في عصر معين واحد، وإنما كتب وجمع في عصور مختلفة، واحتوى على تعاليم وحكم وقصص الأنبياء والمعلمين الأوائل للمندائية وعلى مختلف عصورهم. ومعروف أن كلمة (كنز) في اللغة، تدل على النفاسة والكتمان.

محتويات كنزا ربا

يحتوي الكنزا ربا على جميع صحف الأنبياء والآباء الأوائل للمندائية وهم (آدم وشيتل وسام ويهيا يوهنا)، وكذلك يحتوي على الأسفار المتعلقة بخلق الله للعوالم النورانية والأكوان والأرض، وتاريخ شرعة الحياة الفطرية في معرفة البشر للرب العظيم، ومجموع النبوءات عما سيحدث في العالم منذ خلقه حتى المنتهى، كما يحتوي على الشرائع الإلهية، والتعاليم الروحية، والنصائح الدينية والأدبية التي تناسب جميع البشر في كل الأزمنة، والمدونة بطرق وبأساليب مختلفة، من نثر وشعر، وتاريخ وقصص، وحكم وأدب، وتعليم وإنذار، وفلسفة وأمثال، ويعتبر الكنزا ربا مصدر الإيمان المندائي والغذاء الروحي للمتهيمنين (المؤمنين). فيه كل ما يختص بالإيمان والحياة والتعاليم الروحية التي تنير المعرفة والمحبة في قلب الإنسان، وبالتالي محبته لأخيه الإنسان وللخلق كله.

أقسام الكنزا ربا

يتالف الكنزا ربا من قسمين اثنين:

١. كنزا يمينا (الكنز اليمين): ويحتوي على التعاليم والوصايا والتحذيرات وعلى قصص الخلق والتكوين والنشوء وعلى صحف آدم وشيتل بن آدم ودنانوخت وعلى قصص بعض الملائكة.

٢. كنزا سمالا (الكنز الشمال): ويحتوي على مجموعة من التراتيل وعلى مجموعة من القصص الخاصة برجوع وعروج النفس إلى موطنها الأصلي الذي نزلت منه (الما دنهورا-عالم النور).

ويسمى أيضاً (كنزا اد هيي) أي (كنز الحي أو الحياة)، ويطلق مصطلح (بيت كنزي) على المكتبة الحاوية على الكتب الدينية المقدسة أي بيت الكنوز. والكلمة موجودة بالعربية والسريانية والعبرية، وتاتي في اللغة بمعنى (كثير). ومصطلح كنزا ياتي في عدة معانٍ منها الأفكار المثالية، الكتب الدينية، الكنوز الفكرية، الطقوس، الصلاة والادعية، الاسرار الإلهية، وتطلق أيضاً مجازياً على عقل الإنسان لأنه كنز.

اللغة التي كتب بها

كتب هذا الكتاب بلهجة آرامية شرقية أصيلة، وهي ما تعرف عندهم باللغة المندائية. لكننا سنلاحظ وجوداً حالياً للغة الأرامية في قرى جبعدين وصيدنايا ومعلولا السورية.

قراءة الكنزا ربا

مصدر الغذاء الروحي للمندائيين هو الكنزا ربا، فيجب على المرء المندائي، أن لا يدع الحاجات المادية أو الأفكار الشيطانية تمنعه من قراءته .. فيجب عليه أن يعود نفسه، على أن يقرأ فصلاً من (كنزا ربا) يومياً، إلى أن يصبح بذلك عادة مألوفة لديه، وبالطبع ليست القراءة لوحدها كافية، بدون الفهم الصحيح المقرون بالفعل

والعمل الإيجابي. وهذا ما سوف يساعده بالتأكيد ليصبح تلميذاً أميناً ومخلصاً للحياة. فثباتنا في حياة الحي العظيم (مسبح اسمه) يأتي عن طريق قراءتنا لكلمته وتعاليمه لنا ، وحفظنا وصاياه والعمل بموجبها في حياتنا.

ترجمة الكنزا ربا

ترجم هذا الكتاب في أول الأمر إلى اللغة الألمانية على يد العالم البروفيسور ليدزبارسكي، وأيضاً إلى اللغة العربية مؤخراً، كما ترجم قسم منه إلى اللغة الإنكليزية.

لايمانع الصابئة من ترجمة الكنزا ربا إلى اللغات الأخرى. بل يقولون إن ترجمتها واجبة على المؤسسات المندائية كافة .. ويبقى كتاب كنزا ربا المخطوط باللغة المندائية الآرامية موضع التقديس الأول عندهم .. والمرجع في اتخاذ الأحكام الدينية المندائية.

وهم يقولون بأن عظمة هذا الكتاب عندما يقرأ ويفسر وينشر نوره على الناس، ليفهموا معنى الرب وتوحيده وعلاقتهم بالحياة، وكذلك ليعرفوا أول من وحّده وعبده .. ويفهموا المعاني الإلهية والإنسانية العظيمة التي يتكون منها الكتاب المقدس للمندائيين.

فالديانة المندائية ليست منغلقة، بل هي منفتحة وتدعو للتبشير والدعوة بين الناس. بل هي ملزمة دينياً بنشر عقيدتها بين الأمم وبتعريفهم بشريعتها وكتابها الذي تقدسه.

مناجاة من كتاب كنزا ربا المقدس

باسم الحي العظيم

معظم هو النور السامي /

اني نشأت من عالم النور /

منك ايها المقام النوراني /

إن الأثرا (الكائن النوراني) الذي رافقني من دار الحياة /

كان ممسكاً بمركنة (عصا) الماء الحي في يده /

ان عصا الماء الحي التي كان ممسكاً بها في يده /

مزدانة بأطيب الأوراق /

قدم هو لي بعضاً منها /

وكانت ملأى بالطقوس والصلوات /

ومرة ثانية قدم لي بعضاً منها /

فوجد قلبي العليل فيها شفاءً /

وحينما قدم لي بعضاً منها في المرة الثالثة /

رفع ناظري نحو العلا /

فأبصرت أبي وعرفته /

حين أبصرت أبي وعرفته /

تضرعت إليه أن يحقق لي ثلاث امنيات /

تضرعت إليه أن يهبني وداعة لاتعرف العصيان /

وأن يمنحني قلباً ثابتاً يتحمل الأوزار /

وأن يمهد سبيلي /

لكي أرتقي عاليا وأرى مقام النور.

الكتب المندائية الأخرى

يمتلك المندائيون عدداً من الكتب غير الكتاب الرئيسي المقدس (كنزا ربا)، ولكن ليست جميع الكتب هي مقدسة ودينية أو إلهية .. فمنها التاريخية والعلمية أو تراتيل وأناشيد دينية وغيرها، كتبها علماء دين كبار وأجلاء (ريشمي وناصورايي – رؤساء أمة وعلماء ومتبحرين بالدين). ومن هذه الكتب ما يلي:

• **دراشا إد يهيا**: ويحتوي هذا الكتاب على حكم ومواعظ وتعاليم النبي والأب يهيا يوهنا (مبارك اسمه) وعلى قصص حوله أيضاً.

• **سيدرا اد نيشماثا**: ويضم قصص هبوط النفس في جسد آدم (مبارك اسمه) .. ويحتوي أيضاً على مجموعة كبيرة من التراتيل والأناشيد التي تتلى في طقسي المصبتا (التعميد) والمسخثا (الارتقاء).

• **حران كويثا**: ديوان يتحدث عن نقاط مهمة في التاريخ المندائي.

• **القلستا**: كتاب يضم تراتيل وأناشيد ترنم في مراسيم الزواج المندائي.

• **ترسر الف شيالة**: وهو عبارة عن ديوان (درج) يتالف من سبعة أجزاء .. يتناول أخطاء الكهانة الطقسية وكيفية معالجتها إضافة إلى بعض القوانين المندائية وبعض الأسئلة والأجوبة حول الفلسفة واللاهوت المندائي.

• **نياني إد رهمي**: كتاب خاص بالأدعية والصلوات الرسمية وغير الرسمية.

• **نياني إد مصبتا**: يضم تراتيل وشرح لطقس المصبتا (التعميد).

• مع مجموعة من الدواوين التي تهتم بمختلف المواضيع المندائية، وأهمها الفلسفة والميثلوجيا المندائية.

المندائية وليدة كل العصور

حسب عقيدة المندائيين فإنّ الديانة المندائية هي ديانة سماوية، وليس لديها مؤسس بشري.. فالمندائية كما يصفها المندائيون هي شرعة الحياة الفطرية (شرشا إد هيي) التي عرفها والتزم بها آدم أبو البشر (أول إنسان عاقل) .. فقد ورد في ك/ي، عندما أمر الخالق العظيم، رسول الحياة والنور (هيبل زيوا) (أ.س) بما يلي:

((اذهب،

ناد بصوتك آدم وامرأته حواء

وجميع ذريتهم .

بصوت عال ناديهم

واجمعهم وخذ على نفسك أن تعلمهم كل شيء.

أعطهم دروساً عن ملك النور السامي

ذي القوة الواسعة العظيمة

دونما حد أو عدد

وعرفهم بعوالم النور الأبدية))

وأيضاً ورد في ك/ي

((لقن آدم وزوجته العلم والمعرفة))

فهذا الأمر من الخالق العظيم لملاكه الطاهر، بأن يعلّم آدم وزوجته حواء (العلم والمعرفة) .. فهذه المعرفة هي المندائية، ويقصد بها معرفة وجود الرب الحي العظيم.

وهنا نلمس تشابهاً كبيراً مع الرواية الإسلامية، إذ تقول الآية القرآنية الكريمة: ﴿وعلّم آدم الأسماء﴾.

المندائية امتداد لشريعة عوالم النور (عوالم الله) كما يعتقدون .. فهي تعني المعرفة. ويقصد بها معرفة الرب وتوحيده، الحي العظيم (هيي ربي) ((مسبح اسمه))، وتنظيم الصلة ما بين رب الأكوان والإنسان، وهذا هو أهم شيء وجوهر الدين المندائي .. وأول من عرف، وكان مندائي بسبب معرفته، هو آدم. فالمندائية هي معرفة الحياة وهي ليست وليدة عصر، وإنما وليدة كل العصور.

أول نبي مندائي

أن أول الأنبياء أو المعلمين وناشري المعرفة والعبادة المندائية هو آدم عليه السلام. أول إنسان عاقل على وجه البسيطة .. الذي عرف شرعة الحياة الفطرية في عبادة ومعرفة الرب، خالق الحياة. لقد جاء في ك/ي ما يلي:

((هذا هو الدين الأول، الذي وهب آدم، الأب الأول من السلالة الحية. لقد كان هذا حديثاً وشهادة في الوقت نفسه)).

وبعد عصر آدم، وأثناء مسيرة المعرفة الأولية للخالق الأزلي ومرورها بالأنبياء والمعلمين والآباء المندائيين الأوائل، تكونت من خلال الزمن، الشريعة المندائية، ومثلما نتداولها اليوم.

آدم هو أبو البشر .. وأبو جميع الأديان، ولقد ورد ذلك في الأدب الديني لجميعها قديماً وحديثاً، وخاصة ما تعرف بالأديان السماوية.

إن الإنسان الأول على هذه الأرض والذي خلقه الله، هو آدم وزوجته حواء. وآدم هو نبي من أنبياء الله أو هو أب من الآباء المقدسين الأوائل. إذن آدم عرف الله ووحده وعبده وأقام الصلاة وعرف الفرق ما بين الأعمال الخيرة والشريرة .. إذن كل هذه الأمور مجتمعة هي لب الشريعة والديانة .. فالسؤال الذي يطرح نفسه ما هي ديانة آدم ؟!! سواء أكانت شريعة معقدة مثل الأديان الحاضرة أو شريعة فطرية جوهرها معرفة أن للحياة رباً وخالقاً. .. فلذلك تؤمن الديانة المندائية بان آدم وشريعته الفطرية ما هي إلا المندائية .. ولكن ما هي المندائية؟ المندائية ببساطة معرفة الرب ووجوده .. فالمندائي جوهر عبادته مقولة (**اكا هيي اكا ماري اكا مندا اد هيي**) لقب آدم بأنه مندائي أي عارف أو أول من عرف الله ووحدانيته .. وهذا الموضوع يتفق مع فلسفة جميع الأديان بأن آدم كانت ديانته معرفة الرب وتوحيده .. وهذا أيضاً ما تقول به المندائية لأنها وحسب تعريفها ديانة الفطرة الحقيقية في معرفة خالق هذا الكون والإحساس القوي بوجوده في الحياة.

فقد ورد في الكنزا ربا مايلي:

((**طوبى للكاملين الذين عرفوك بقلب طاهر**)).

أنبياء المندائية

الصابئة المندائيون يؤمنون بأنبيائهم ومعلميهم وآبائهم الأوائل الذين انبنت على أيديهم وعلى مختلف عصورهم الديانة المندائية .. فكان لهم الأثر الكبير على تعاليم الديانة الصابئية المندائية ومبادئها وفلسفتها وحتى طقوسها ومراسيمها الدينية .. وإن الآباء والأنبياء الأوائل هم:

- النبي والأب والرجل الأول **آدم** (أبو البشر) والذي يحتفظ المندائيون بصحفه السماوية.
- النبي **شيتل بن آدم** الرجل الأول (الغرس الطيب) والذي أفدى والده، فكانت روحه الأقدس من بين البشر.

· النبي **سام بن نوح** (المتعبد الخاشع) والذي تزخر الكتب الدينية المندائية المقدسة بصحفه وقصصه وتراتيله.

· النبي يهيا يوهنا _ **يحيى بن زكريا** _ يوحنا المعمدان (الحبيب المرتفع) ويحتفظ المندائيون بكتابه الذي خطت قسم منه أنامله المقدسة وزاد عليه تلاميذه من بعده .. وهو النبي الأخير الذي يؤمن به الصابئة المندائيون.

المندائية تؤمن بإله واحد

إن المندائية، من الديانات الموحدة (Monotheism)، والتي تؤمن بإله واحد معبود مستقل ومبعوث بذاته (الاها اد من نافشي افرش – الإله الذي انبعث من ذاته)، غير محدود الأسماء والصفات والقوة والإرادة، فلذلك تطلق عليه اسم (هيي – الحي = الحياة) والحياة هنا يقصد مفهومها العام والشامل المتمثلة بالحركة اللانهائية للوجود. والحي الرب موجود ومنتشر في جميع الفضائل ويسكن الشمال القاصي .. ويسمى في اللغة المندائية ب(هيي) أي الحي أو الحياة .. لأن الحي هو جميع الحياة، والحياة بأكملها هي الحي. ولقد جاء في دراشا ما يلي:

((ملعون ومخزي من لا يعرف ولا يعلم بأن ربنا هو ملك النور السامي، الواحد الأحد)).

الوحدانية في الديانة المندائية

((ملعون وموصوم بالعار كل من لا يعلم أن ربنا هو ملك النور العظيم، ملك السمواتّ والأرض، الواحد الأحـــد))

((نناشدك يحيى بملك النور العظيم الذي سجدت له))

الدين المندائيي وجد مع وجود الإنسان الأول، آدم أول الأنبياء ؛ فهو والحالة هذه أنزل مع نزول نسمة الحياة في جسد آدم . لقد صنع البشر بداية الأمر

التماثيل والأصنام، وبنوا الهياكل لتكون الوسيط بينهم وبين الخالق. لكن وبعد مرور زمنٍ على هذا الصنع نسيت الغاية وصارت {الوسيلة هي الغاية} فلقد أضحت هذه التماثيل والنصب تتمتع بالقوة المطلقة والتي هي بالأساس قوة الخالق الأوحد الذي تدين له الرقاب وله وحده الثواب والعقاب.

وإننا لا نستطيع معرفة كينونته وماهيته إلا بالعقل والمنطق.

خالق الخلق والذي بيده أقام الدنا السبع وله وحده أن ينهيها لحظة يشاء . كتاب **{مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريا}** زاخر بنصوص تنهى عن القيام بمثل هذه البدع خاصة بعد تفشي عبادة الأصنام والأوثان وبناء هياكل تمجد الأشياء لا خالقها.

{أبنائي، احذروا، لا تسجدوا للشيطان والأصنام والتماثيل في هذا العالم، مذنب من يفعل ذلك، ولا يصل إلى دار الكمال}

{أيها المختارون، إن القرابين التي تقدمونها للهياكل تفقر تفكيركم وإيمانكم وتفرقكم}

إنها دعوة واضحة الأهداف لا غموض فيها ، ولا يمكن تجاهلها؛ فهي صادرة عن نبي فتح الحي الأزلي بصيرته وهداه إلى سواء السبيل .لقد خلق الله الشيطان ليكون الفيصل بين الخير والشر وليمتحن قدرة البشر على التمييز ..**{ركبتاي اللتان سجدتا للحي العظيم لن تسجدا للشيطان والأصنام، قدماي اللتان سلكتا طريق الحق والإيمان لن تسلكا دروب الزور والمعصية ..}** ونص آخر يؤكد هذا المعنى **{أصدقائي، أيها الساجدون للحي العظيم،خطاياكم وذنوبكم ستغفر..}** فيض من النصوص والتي تدعو كلها إلى هدف واحد وأمر واحد ؛ فهي كلها تسعى إلى أن ينتبه البشر أن لا حياة بدون صانع هذه الحياة ألا وهو الواحد الأحد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد .

((ربنا لك ندعو، وباسمك نلهج، ولك نسبّح ؛ فامنحنا وضوح الرؤيا وسهل لنا أمورنا، وهب لنا من لدنك هدوء أنفسنا)).

والحي مزكّي الأعمال والنيات.

المندائية تؤمن بالحياة الأخرى

إن جل اهتمام المفاهيم الدينية المندائية تنصب على حيازة النعيم في الحياة السعيدة في العوالم النورانية العليا .. فالحياة الأرضية وكل ما تحوي من نعم وراحة وملذات هي ليست مطلب المندائي المؤمن، وإنما طلبه الارتقاء إلى الملأ الأعلى والاتحاد بالذات العظمى والحياة في عوالم النور.

المندائية والسيد المسيح

المندائية تخالف المسيحية جذرياً، بل وتنسف الأسس التي قامت عليها. لا تؤمن بأن الرب ممكن هيكلته أو تجسيده، وإن الرب الذي تؤمن به المندائية ليس له حدود (راجع السؤال عن إيمان المندائي بالرب الخالق الواحد) .. فلذلك إن المندائية لا تؤمن بالمسيح إلا على أساس أنه بشر وليس كإله متجسد. وببساطة لا يؤمن بذلك إلا المسيحيون، وهذا ما يميز دينهم. فقد جاء في ك/ي ما يلي:

((إنه يقول لكم:

أنا هو الله،

أنا ابن الله،

الذي بعثه أبوه إليكم.

ويشرح لكم:

أنا هو الرسول الأول،

أنا هو هيبل زيوا الذي نزل من ملكوت السماء.

لكن لا تصدقوه ولا تعتنقوا دينه)).

أركان الديانة المندائية

إن أهم أركان أو أسرار الديانة أو الشخصية المندائية، هي:

- معرفة هيي ربي وتوحيده والارتباط بأفكار عالم النور.
- البراخا .. **الصلاة** .. وهي التناغم مع الحياة بأسرها (عبادة الخالق).

- صوما ربا .. **الصوم** .. تنقية النفس من شوائبها (الأعمال التي تشين علاقة المرء بخالقه وبأخيه الإنسان).
- زدقا .. **الصدقة** .. وهي تقاسم النعمة والحياة مع الخلق.
- المصبتا .. **التعميد** .. وهو التجديد والولادة الجديدة في حياة الرب.

أصل المندائيين؟

حسب أغلبية الدلائل التي تشير إلى أن أصل المندائيين هو في وادي الرافدين، ومنه كان بروز أول دين يؤمن بالرب الواحد وهو الدين المندائي .. فارتباط المندائيين بأرض وادي الرافدين وخاصة في جزئيه الأوسط والسفلي إلى الاهوار، ليس ارتباط مهاجرين بأرض جديدة، وإنما ارتباط وثيق مع أصل هذه البلاد وحضارتها. ولا يخفى أيضاً على أن للمندائيين امتداد عميق في حران (الشام) وفي فلسطين وحتى في مصر حسب ما أورده أغلبية الكتبة والمؤرخين العرب القدماء.

اضطهاد المندائيين

الاضطهاد الذي تعرضوا له على أيدي اليهود وسلطتهم الزمنية في أورشليم القدس قبل نحو آلفي عام، وبسببها هاجر المندائيون الفلسطينيون إلى بلاد الشام (حران) ومنها إلى وادي الرافدين، للالتقاء باخوتهم هناك. فقد ذكر في ديوان حران كويثا (كتاب تاريخي مندائي) ما يلي: (استقبلتهم حران تلك مدينة الناصورائيين، التي لا وجود (لاضطهاد) لطريق لملوك اليهود).

الاضطهاد الذي تم تحت رعاية السلطة البيزنطية بعدما أصبحت المسيحية، الديانة الرسمية للإمبراطورية.

الاضطهاد الذي حصل على أيدي بعض المبشرين المسيحيين المتعصبين الذين تساندهم الجيوش الغازية لبلاد الرافدين. ومنها اعتبارهم من المارقين عن الديانة المسيحية.

• الإيمان برب خالق الأكوان منزّه عن السيئات مقيم في ملكوته الحي في أقصى الشمال ومقيم في جميع الفضائل والجمال. وهو غير محدود أبدي وأزلي في كينونته، ليس له حدود في صفاته، وقوته، وعظمته. الإيمان بأن هذا العالم جزء بسيط وصغير جداً من خلق الخالق العظيم.

• الإيمان بأن هناك معركة ما بين الخير والشر في هذه الحياة.

• الإيمان بوجود الحياة الأخرى وبأن الإنسان يجب أن يحاسب على أعماله وعبادته عند وفاته في أماكن خاصة تدعى (مطراثي – مطهرات)، وذلك من قبل الله سبحانه وتعالى فهو القاضي والديان الذي يحاسب الأنفس عند عروجها إلى موطنها السماوي. فالمندائية لا تؤمن بوجود الإنسان الخير المطلق ولا الإنسان الشرير المطلق، وإنما تؤمن بأن على الجميع الاعتراف بأخطائه وزلاته ونقصه وعليه أن يطهر قلبه وأفعاله من كل ما لحق به في حياته على الأرض ويرتقي بعدها إلى عوالم النور حيث الحقيقة والصفاء والنور الباهر.

• الإيمان بوجود الشر والشيطان والكائنات الشريرة التي تحاول استغلال الإنسان ليسقط في حبائلها.

• الإيمان بالمعرفة لأنها الطريق الموصلة إلى رب الوجود وعلة هذا الكون. وبالتالي الاتحاد بملكوته.

• الإيمان بأنبياء أربعة فقط، هم رسل الله على هذه الأرض وهم آدم وشيتل وسام ويوحنا.

من الوصايا والنواهي

النواهي إنما تصدر من القوي المقتدر إلى الضعيف المتلقّي، الغاية منها؛ تحذير وترهيب وتذكير بما يمكن أن يصاب به كلّ من لا يلتزم بهذه الأوامر، فهي حث على التزام جادة الصواب والابتعاد عن المعصية لئلا تكون العاقبة العذاب الدائم .

لا تزنِ :

ورد في النص الحادي عشر

((لا تـزنِ فيثبـت عليـك العقـاب، لا تسـرق فتحـلّ عليـك اللعنـة، لا تـنفخ بمزمـار الشيطان فتصبح وقوداً للنـار)).

ثلاثة أوامر، ثلاث وصايا، ثلاثة تحذيرات متعاقبة، متتالية وكل واحد منها يشير إلى ما لا يحمد عقباه، ثلاثة نواهٍ ما كان لها أن تكون إلا لأمرٍ جللٍ، أمرٍ خطيرٍ ؛ فالنهي الأول _ لا تزنِ _هو البداية والملاحظ أن الكثير من نصوص دراشة يهيا (مبرخ ومطروس) تتحدث عن الزنى باعتباره أول الموبقات، بل إنه أول النواهي وأشدها عقوبة وأكثرها مقتاً لما تنطوي عليه من مخالفةٍ لأشد المحرمات؛ لذا ستكون العقوبة الأشد والأقسى، فهي أقصى عقوبة يمكن أن توجه لمن يقترف مثل هذا الذنب .

ترى المندائية أن للزنى مساوئه الاجتماعية والأخلاقية في زمنٍ كان من العسير إثبات عائدية المولود فلا حامض (د . ن أ) ولا فحوصات الدم، بل كانت العفّة والابتعاد عما يمكن أن يشوب العلاقات الزوجية.

لكلِّ عملٍ يصدر عن البشر ما يثاب عليه أو يجازى به؛ فإن عملنا حسناً فالثواب هو الأجر، وإن سيئاً فالعقاب هو الجزاء، ؛ لذا نجد العقاب أشد قسوة وأكثر ديمومة وكأنه شيء مهما حاولنا أن نزيله سبقى ملتصقاً بنا .

لا تسرق فتحلّ عليك اللعنة

لا تسرق فتحلّ عليك اللعنة . قد تكون السرقة إحدى الآفات التي يمكن أن يتعرض لها أيٌّ منّا، وقد يمارسها البعض هواية وتحدياً للآخرين غير عابئ بالمخاطر التي يمكن أن يتعرض لها، غير مكترثٍ لما قد يواجهه من عقوباتٍ جرّاء عمله المشين هذا ؛ السرقة هي السرقة.

إن بدأت بفلس يخص الغير أ و بمليار ؛ فليس ثمة من يفرق في اللفظ بين سارق الفلس وسارق الوطن ! لأنه❖سارق❖ لص❖حرامي❖ علي بابا❖مختلس؛ لذا رغم

اختلاف التسميات فالمعنى واحد لكن تبقى تسمية العقوبة حقاً لمن له إنزال العقوبة فاللعنة هنا تعتبر أشد أنواع العقوبات، فإن لم يمسك متلبسأ بالجرم المشهود فيفلت من العقاب الأرضي الوضعي لكنه لن يفلت من العقاب السماوي الرباني .

لا تنفخ بمزمار الشيطان

لا تنفخ بمزمار الشيطان؛ فتصبح وقوداً للنار.

وهل للشيطان مزمار ! نعم له مزمار واحد لكن لهذا المزمار مليون نافخٍ ! فالمزمار هو الإشاعة ! نعم الإشاعة التي يراد من خلالها التشويه والحطّ من الآخرين أو تشوية صورة ما إستناداً إلى قول مشبوه أطلقه من لم يصن لسانه فأطلقها دون أن يعي بل إنه زيّنها بأن زادها وحرفها بما يتناسب وطبعه اللئيم، دون أن يدرك أنه بعمله هذا سيكون وقوداً للنار .

ونتذّكر المثل القائل {لسانك حصانك إن صنته صانك وإن خنته خانك} أو نتذكر البيت الشعري القائل {لسانك لا تذكر به عورة امرئٍ فكلك عورات وللناس ألسن} .

التسميات التي تطلق على المندائيين

أطلقت عدة تسميات على المندائيين، سواء هم أطلقوا على أنفسهم أو الأقوام المجاورة عرفتهم بها. ومن هذه التسميات ومعانيها كالآتي:

١. **المندائيون** .. من (مندا) أي العارفون بوجود الحي العظيم، أي الموحدون.

٢. **الناصورائيون** .. وهي تسمية قديمة جداً، وتعني المتبحرين أو العارفين بأسرار الحياة. أو (المراقبين، الحراس). وترد هذه التسمية كثيراً في العهد القديم.

٣. **الصابئة** .. من (صبا) أي المصطبغون (المتعمدون) باسم الرب العظيم.

٤. **المغتسلة** .. من (غسل) أي تطهر ونظف. وأطلقها المؤرخون العرب، وذلك لكثرة اغتسالهم بالماء (تعميدهم وغطسهم بالماء).

٥. **شلماني** .. من (شلم - سلم) وهي تسمية آرامية مندائية تعني المسالم. ويقول أهل مدينة حلب كلمة (سلماني) لوصف شخص غير مؤذٍ أو عائر، فقد يكون مصدرها من شلماني هذه.

٦. **ابني نهورا** .. أبناء النور، وهي تسمية أطلقت عليهم في كتبهم الدينية.

٧. **اخشيطي** .. من (كشطا) أي أصحاب الحق أو أبناء العهد، وهي تسمية أيضاً أطلقت عليهم في الكتب الدينية.

٨. **المصبتيين** .. من (مصبتا) أي المتعمدين أو المصطبغين وهي أصل كلمة (الصابئة) في اللغة العربية.

الرب : هيي

هيي تعني الحي، وهو اسم الخالق (الرب)، الإله المعبود في المندائية. وهو أحد صفات وأسماء الرب وأقدسها. وتأتي بمعنى الحياة أيضاً، لأن الحياة هي الله،

- والله هو الحياة.
- والحياة مندائياً تعني الحركة اللانهائية للوجود.
- ودائما ترتبط كلمة (هيي) بالمقدسات المندائية مثل مندا اد هيي (معرفة الحياة).
- ميا هيي (الماء الحي).
- اثر هيي (مكان أو أرض الحياة).
- بيت هيي (ملكوت الحي) .
- (هيي اد هون من هيي) أي الحياة انبثقت (= تكونت) من الحي أو الحياة انبثقت من الحياة أو الحياة تولد الحياة.

استقلال المندائية

المندائية ديانة قديمة موحدة مستقلة بذاتها، لها فلسفة دينية ولاهوتية، وكتاب مقدس، ومجموعة من الأنبياء والمعلمين (الآباء) والتي تتبع تعاليمهم لحد الآن، ولها أيضاً نظام ديني طقسي يتم بموجبه أداء كافة مراسيمها الروحية. ومثلما تتفق الديانة المندائية مع الديانات الأخرى في بعض المفاهيم والطقوس والفلسفة الدينية، تختلف مع بقية الأديان بكثير من الأمور وهذا ما يميز الديانة المندائية عن غيرها، وما يميز الديانات الأخرى. فلذلك إن الديانة المندائية وببساطة ليست طائفة يهودية لأنها لا تتبع تعاليم التوراة، وأيضاً ليست طائفة مسيحية لأنها لا تعترف بالمسيح كإله متجسد.

حواء والأنثى المندائية

حسب ما ورد في كتابها المقدس كنزا ربا، بأن حواء خلقت من نفس الطينة التي تشكل منها آدم الرجل الأول. فبذلك تصبح حواء موازية للرجل في عملية الخلق، ومكملة له. بالإضافة إلى أن المندائية تؤمن بأن العنصر الأنثوي ليس طارئاً على الخليقة، وإنما موجود في الأصول الأخرى.

فقد جاء في ك/ي ما يلي:

((اذهب واخلق رجلاً واحداً وامرأة واحدة وأطلق عليهما الاسمين آدم للرجل وحواء للمرأة)).

وأيضاً في نفس المصدر جاء ما يلي:

((وبعد ذلك خلق هو آدم وامرأته حواء وأنزل النفس (نيشمتا) على جسديهما)).

مرتبة الشوليا

طالب، سائل، مرشح للكهنوت، تلميذ تحت التجربة، جاءت من كلمة (شيالا) سؤال .. وسمي بهذا الاسم لكثرة الأسئلة التي يطرحها قلبه وعقله لشغفه بالمعرفة والعبادة. وهو الشخص البالغ الكامل جسدياً (تلميذ الدين) يمر بفترة من

الاختبارات الروحية من خلال فترة سبعة أيام متتالية تبدأ بيوم السبت (التي لا ينام فيها، ويمر خلال السبعة ايام، هذه بسلسلة من الرموز الروحية المقدسة) .. ويمتحن من قبل الكهان (الأساتذة) ليروا مدى تفهمه وتفسيره للمعرفة الدينية المندائية، ومعرفته بالطقوس الدينية ... ويعتكف بعدها للصلاة والعبادة والدراسة لوحده مدة ستين يوماً، آخرها الامتحان الكبير وأداؤه مراسيم طقس (المسختا) ثم يقوم بتعميده أستاذه المسؤول عنه (ربي) وبذلك يصبح كاهناً بدرجة ترميذا.

ملابس الرستة

معروف في تاريخ الأديان والمجتمعات والأقوام، بان الملبس عنصر مهم من عناصر الهوية الاجتماعية لشعب أو قوم معين. فلذلك لا يشذ المندائيون عن هذه القاعدة، بأن لديهم لباساً خاصاً، كان انعكاسا لرؤى وفكر ديني آمنوا به. فالرستة ماهي إلا الملابس الدينية الطقسية، تخاط بطريقة معينة وتتكون من خمس قطع هي (اكسويا- القميص، شروالا-البنطلون، هميانا-الحزام، بروزينقا-العمامة، كنزالا - الطبرشيل) ومن اللون الأبيض وجوباً، وترمز للحواس الخمس، ولها أهمية روحية مقدسة، ورمزيتها تتجه اتجاهين اثنين فهي تعني من جهة عالماً نورانياً نظمه الخالق، فهي تدعى بكسوة النور (اصطلي اد زيوا)، ومن جهة أخرى التقرب أو التشبه بالكمال النوراني. والملبس من ناحية أخرى هو علامة الشخص الإنساني يدل على ذاتيته وتميزه عن غيره. وهي رمز النور والصفاء والنقاء والطهارة والحياة الجديدة. فالثياب وبريقها ومدلولها النوراني في الفكر المندائي هي التي تعبر عن جوهر الكائن وصفاته.

القبلة المندائية

المندائية تؤمن بالرب العظيم (هيي ربي) بأنه مقيم في جميع الفضائل، وأنه أي الحي العظيم، الحياة بما تعنيه هذه الكلمة من شمولية وخصوصية لاهوتية وفلسفية، ولكن تؤمن المندائية في نفس الوقت باعتبارها أول ديانة توحيدية، بأن جوهر الله ساكن في عوالمه النورانية العليا (بيت هيي) أي ملكوت الحي أو بيت

الله، والتي يكون اتجاهها نحو الشمال، لانه ذكر في هذا الخصوص في الكنزا ربا المبارك ما يلي ((ويسكن الشمال القاصي)). وإضافة إلى أن الملاك القائم على بوابة الملكوت هو (اواثر) وهو رمز الجمال من جهة، ورمز العدالة، لأنه صاحب الميزان الذي سوف تحاسب به الأنفس بعد مماتها. فلذلك يكون اتجاه المندائيين عندما ينوون أداء أعمالهم وصلواتهم الدينية، جهة الشمال .. موطن النور والسلام والصفاء وملكوت الحي. وإن هذا المكان المقدس من الكون تعرج إليه النفوس الطاهرة في النهاية لتنعم بالخلود إلى جوار ربها.

شروط الصلاة (البراخا)؟

تطهير النفس والقلب والأفعال من كل ما يشين علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان. وهذا هو بحد ذاته الالتزام بالصوم المندائي الكبير (صوم الحواس عن كل ما يشين حياتنا مع الرب وحياتنا مع البشر) ويستمر مادام الإنسان على هذه الأرض.

- يجب على البارخ (المصلي) أن يؤدي الرشاما .. وتكون في اليردنا أياً كان مصدرها، وشرطها كالآتي: جارية - نظيفة - حلوة المذاق - رائقة وشفافة - رائحتها طيبة.
- يجب على البارخ أن يؤدي صلاته في مكان نظيف ذي رائحة ذكية.
- عدم إحسار الرأس ووضع غطاء أبيض عليه رمزاً للنور .. واحتراماً عند ذكر الأسماء المقدسة.
- الاتصال الروحي: حيث يجب أن تعبر كل كلمة عن مداها في دواخل الإنسان.
- الاتجاه يكون نحو جهة الشمال .. موطن النور والسلام والصفاء وملكوت الحي.

الصلاة باتجاه نجم القطب

ان ديانة الصابئة المندائيين، ديانة رفيعة التوحيد، وإنها لا تؤمن بأي تجسيد مادي للمقدسات الإلهية. وهذا مما لاشك فيه البتة.

ما تمثله القبلة أو الاتجاه للمندائيين؟ إن النجم القطبي لا توجد له أي أهمية من الناحية الدينية والروحية في المعتقدات المندائية، ولكن يستعمله المندائيون حالهم حال بقية الأقوام الأخرى، للاستدلال بجهة الشمال لأن هذه الطريقة كانت ولازالت المتبعة في معرفة جهة الشمال لا غير، وللتطور الذي شهده العصر الحديث استخدم المندائيون كغيرهم، الوسائل والتقنية الحديثة (مثل البوصلة) عوضاً، لمعرفة جهة الشمال.

صلوات مندائية

الإنسان المؤمن دائما في احتياج لذكر ربه والإحساس بوجوده .. فلذلك تقول الآية المندائية من الكنزا ربا ما يلي :

((اذكروا الرب في قيامكم وقعودكم وذهابكم ومجيئكم وفي جميع الأعمال التي تعملون))

وأيضاً يجب على المؤمن المندائي ان لا يزول اسم الرب الحي العظيم من فمه وقلبه أبداً .. ويستطيع المندائي أن يصلي بتلاوة البوث المقدسة من الكتب الدينية وخاصة من كتاب الصلوات والأدعية (نياني الرهمي – تراتيل الرحمة) وفي أي وقت يشاء، فهذا الأمر متروك للمؤمن واحتياجه ووقته.

تكوين الإنسان حسب الفكر المندائي

إن الإنسان هو أحد إبداعات وخلق الخالق العظيم، ويتكون حسب الرؤية الدينية المندائية من ثلاثة أجزاء رئيسية هي:

١. **بغرا** = الجسد (يمثل الجزء المادي، أي وعاء النفس والروح، والهيكلية التي تعيش فيها في هذا العالم، والذي خلقه الله على صورة الملائكة، ومن الطين، وهو فانٍ وغير ذي أهمية وقدسية في المنظور المندائي، حال وفاته خاصة، ويسري في داخله الدم، والذي يعتبر مادة غير مقدسة).

٢. **روها** = الروح (تمثل المدركات والغرائز والطاقة في الإنسان والكائنات الأخرى، وتمثل أيضاً المادة والشهوة).

٣. **نشمثا** = مانا = النفس = العقل (وهي نفحة الخالق الطاهرة والضمير النقي في الإنسان، وهي موجودة في الإنسان فقط دون سائر المخلوقات، ولقد جلبت من ملكوت الحي = بيت الله (بيت هيي) بأمر من الخالق العظيم (مسبح اسمه) بعد أن فشل الملائكة في إحياء جسد آدم، ولقد جلبت بصحبة الملاك هيبل زيوا مع ثلاثة من الأثري، والنفس لابد أن ترجع إلى ملكوت الله، بعد إتمام دورتها الحياتية الطبيعية، وعروجها إلى أماكن الحساب (مطراثي) لتنقيتها من الشوائب والأعمال الباطلة التي لحقت بها أثناء وجودها الغريب في عالمنا الأرضي هذا).



محرمات الديانة المندائية

محرمات هذه الديانة مسندة بنصوص واضحة في الكتب المقدسة، ونوجز بعضاً من هذه المحرمات :

- **الكفر** بالله وتوطئة شأنه.
- **القتل**.
- السرقة.
- الخداع.
- الكذب.
- التأويل.
- شهادة الزور.

- الحسد.
- النميمة.
- الغيبة.
- خيانة الأمانة والمعشر.
- وكل ما يسيء التصرف الإنساني فهو حرام .
- الزنا (وهو من الكبائر العظمى المؤدية إلى النار المهلكة).
- السجود لغير الحي العظيم (مسبح اسمه).
- عبادة الكواكب والأفلاك و البشر والنار والماء، وكل شيء غير الخالق الأزلي (هيي ربي).
- السحر والشعوذة بكل أنواعه.
- قتل الحيوان بدون سبب، وتأذيته عند نحره.
- أكل دم الحيوانات والميتة منها ، وذبح الحامل، وأكل الحيوانات المفترسة.
- كل الأعمال التي تضرر صحة الإنسان الجسدية والروحية والعقلية فهي حرام.
- البكاء والنواح ولبس السواد على الموتى.
- إعطاء الصدقة والتحدث بها.
- الربا والتعاطي بالربا سراً .
- الختان وأي تغيير في جسد الإنسان الذي وهبه الله له (بأحسن خلق).
- تلويث الطبيعة والأنهر.
- الانتحار وإنهاء الحياة والإجهاض المتعمد.
- عدم أداء الفروض الدينية مثل الصلاة والصوم واعطاء الصدقة والتعميد.
- الحلف أو القسم إذا كان باطلاً.
- الرهبنة.
- التشبث إلى حد العبادة بالدنيا الفانية وبمقتنياتها الزائلة.
- تحريم الزواج من غير المندائي.

تحريم السحر

إن الديانة المندائية تحرم تحريماً قاطعاً وبشدة كل عملية سحرية وشعوذة وتنجيم يقوم بها أي شخص، لأنها منافية لعبادة الخالق الأزلي. وإن مصير الساحر أو الذي يقوم بهذه الأفعال هو القطع عن عوالم النور (الجنة) ويوعد بعقاب وحساب شديدين. وكما معروف إن الدين والسحر بينهما شعرة واحدة. ويقصد بهذه المقولة بأن الإنسان إذا فهم الدين فهماً مغلوطاً حوله إلى سحر وشعوذة. فالكثير من المؤمنين الآن يغلفون الدين بقضايا سحرية وبقايا وثنية من حيث يعلمون أو لا يعلمون. فعلى الإنسان أن يفهم معنى الدين وجوهره لكي يصل إلى غايته الروحية. أما مسألة السحر والتنجيم والعرافة فهي ليست لها علاقة أو مصدرها دين معين أو قوم أو حضارة معينة وإنما جميع الأديان والحضارات والشعوب القديمة والحديثة كان معروفاً ومستعملاً لديها، ولكل واحدة خصائصها في هذا الموضوع. أما لماذا هذا الترابط الغريب ما بين الدين والسحر .. فببساطة يجيب المتخصصون في هذا المجال بأن الاثنين (الدين والسحر) يتعاملان مع قوى خفية غير منظورة فلذلك من السهل اختلاط الأمر، إضافة إلى الكثير من الملابسات الأخرى. ودينياً يتهم الساحرون بالتشبث بالقوى المظلمة والشياطين وطلب دعمها ومساعدتها، وهذا مخالف لعبادة الخالق الأزلي الواحد.

تحريم الطلاق في الديانة المندائية

لا يوجد طلاق في الديانة المندائية بالمعنى الفعلي للكلمة، بحيث يستوجب بعده إعادة مراسيم الزواج أو العقد الديني الشرعي. وإنما يوجد هجران أو فرقة، يعود بعدها الزوجان أحدهما إلى الآخر بدون عقد ديني ثان. وتتحقق الفرقة بين الزوجين بأسباب كبيرة ومهمة أهمها الآتي:

- إثبات الزنا.
- إثبات خيانة المعشر.
- الخروج عن الديانة المندائية لأحدهما.

محرمات الأكل والشرب

- عدم أكل الميتة من الحيوانات، والدم.
- الأنثى الولودة.
- عدم أكل الذبائح إلا بعد أن يتم ذبحها حسب الطريقة المندائية بذكر اسم (هيي ماري مندا اد هيي) عليها.
- أكل الأسماك التي لا تحوي على صدف. أو الولودة.
- الحيوان المفترس من قبل حيوان وحشي.
- المشروبات المسكرة.
- المخدرات، ماعدا التي تدخل في الأدوية الموصوفة للعلاج الطبي.
- كل شيء ضار للإنسان وصحته.

تحريم الغناء

كل شيء في هذه الحياة له متضاد ووجهان، فإما أن يكون لصالح الخير والفائدة أو يكون لصالح الشر والخطيئة .. فلذلك إذا كان الغناء يبغي إفساد الإنسان وينمي عنده الشعور الخاطئ والابتعاد عن الدين فهو محرم جداً .. أما إذا كان لتعبير عن مشاعر إنسانية ودينية راقية، فلا باس به. لأن الترتيل والإنشاد المعروف دينياً ما هو إلا نوع من أنواع الغناء.

لا تحلف صادقاً أم كاذباً

العصر الحالي فيه الكثير من القضايا التي يجب على الإنسان أن يقوم بأداء اليمين والقسم (الحلف)، سواء أكان في نزاعات شخصية أم نزاعات قانونية في المحاكم الرسمية.

والتعاليم الربانية التي ضمها كتاب كنزا ربا المقدس، تنص على أن يكون الإنسان صادقاً دوماً سواء مع نفسه أو مع الآخرين، وأن يكون حكمه مبنياً على حقائق واضحة وعادلة .. فلا تمنع التعاليم المندائية من أداء القسم أو الحلف الصادق

الذي يكون فاعله على يقين من صحة وعدالة وصدق الأمر الذي يريد القسم أو الحلف عليه. وبالمقابل تنهي التعاليم الدينية المندائية من الحلف الباطل، فمنفذه يتوعده الله بحساب عسير.

((لا تعملوا أعمال الشيطان ولا تدلوا بشهادة زور. إذا ما أردتم أن تصدروا حكماً فأنصفوا بالعدل ولا تحرفوه أبداً. إذا دعيتم للشهادة فلتكن شهادتكم صادقة وعادلة. إن كل من يقلب الحق مصيره النار)).

تحريم الاهتمام بالقبور

الديانة المندائية هي مثل المسلمين السلف تحرّم الاهتمام بالقبور والمزارات، وتمنع من تعظيمها. فالمندائية تنظر بقدسية إلى (نشمثا) المتوفى، والمقصود بها روحه (نفسه)، والتي تعتق من سجنها (جسدها) وتنطلق نحو الاتحاد بالملأ الأعلى والموطن الذي جاءت منه في الأصل. فلذلك ينصب الاهتمام في الديانة المندائية على النشمثا. وبالمقابل فانها تحرم أشد التحريم الاهتمام بالجسد بعد انتهاء مدة الخمسة والأربعين الخاصة من يوم الدفن. لأن الجسد ليس إلا وعاء من طين ورجع إلى أصله، وليس له أهمية من الناحية الفكرية والإيمانية في الديانة المندائية. فلذلك تحرم تعاليم الديانة المندائية بناء القبور بشكل مضخم، وزيارتها وتبجيلها.

المبطلات الدينية عند المندائية

مبطل، باطل وهي نفسها بالعربية والسريانية، وتعني (ذهب خسراً وضياعاً، فسد وسقط حكمه) يقال مثلاً إن رجل الدين الفلاني مبطل، أي خسر رتبته وموقعه الديني نتيجة عمل ما، أو يقال لا باطل ولا مبطل اشمخ يا هيي (اسمك يا حي)، أي اسم الله أبدي لا يصيبه الهدر والضياع والفساد .. فلذلك يقال على هذه الأيام بأنها (مبطلة) لأنه لا تقام بها المراسيم الدينية البتة. وهذه الأيام التي يبلغ عددها (٣٦) يوماً، وموزعة على السنة المندائية .. هي عبارة عن أيام يطبق فيها

الصيام الأصغر (صوما زوطا)، وهو الامتناع عن تناول أكل اللحوم والأسماك والبيض، وذبحها أيضاً.

يقول أحد الباحثين المندائيين باعتقاده بأن بعض الأيام المبطلة وخاصة الغير ثابتة حسب التقويم المندائي، جاءت نتيجة الأضاحي الحيوانية وما يرافقها من مراسيم دينية ماجنة عند اليهود، فلهذا السبب جاء تحريم المندائيين لهذه الطقوس، وبالتالي اعتبارها أياما مبطلة لا يجوز فيها ذبح الحيوانات وتناولها.

حكم توزيع الميراث

إن حكم الميراث حسب الديانة المندائية لا يتعدى كون لا يوجد فرق ما بين حصة الذكر والأنثى في توزيع الميراث.

والمندائيون الآن يخضعون في مثل هذه الأمور، إلى قانون ودستور الدولة التي يعيشون فيها.

فبالإضافة إلى أن الديانة المندائية ترفض اكتناز الذهب والفضة والمال بدون الاستفادة منه في عمل الخير وتقديم الصدقات والمعونات للمحتاجين، فهي تعد اكتناز الأموال بسبق الإصرار على أن هذا الاكتناز بسبب البخل أو محبة الأموال لذاتها .. فهو من المحرمات، ويستثنى من ذلك عندما يكون لصالح خير المجتمع والدول والمؤسسات، لحماية المستقبل والحياة الاجتماعية.

المندا

مندا: العلم، المعرفة، الحقيقة. المعرفة الحية هي لب الديانة المندائية، وتعني معرفة علة الوجود (الرب) وتوحيده، والتأمل الحي بلاهوته وخلقه. وهي دائماً مرتبطة بالمقدسات المندائية. فمثلاً (بيمندا – بيت المعرفة) وجمعها (مندي). والتوحيد في اللغة (الإيمان بالرب وحده لاشريك له). وفلسفياً (تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان).

الملكي والأثري

أثري وملكي: ملك، ملاك، أثري، كائن نوراني من كائنات عوالم النور (تجليات الحياة في عوالم النور) .. لهم عوالمهم الخاصة، وخلقوا بأمر من رب الحياة. لهم أهميتهم في توصيل المعرفة والنور إلى جميع الأكوان والعوالم ومن ضمنها الأرض (فهم رسل النور للحياة). مفردها (أثرا وملكا)، وكل اثرا يجب أن يكون ملكا، لكن ليس بالضرورة ان يكون كل ملكا اثرا.

الرشاما

رشاما : من الجذر المندائي (- رشم) . وتعني الرسامة، الرسم، الختم، وضع العلامة، تمييز الشيء بوضع العلامة عليه. وهي من المراسيم الدينية المندائية الكثيرة التداول والتي تقام بدون مساعدة رجل الدين. ولها هدفان اثنان، ما هو روحي يهدف إلى ترسيم الجسد (كل عضو أو كل حاسة من الحواس الخمس) ويدخله في حيز التقديس والعبادة والتسبيح باسم الرب العظيم والحياة. وما هو مادي يهدف إلى تنظيف الأعضاء من الأدران والأوساخ العالقة. والرشاما تسبق جميع المراسيم الدينية المندائية (البراخا، المصبتا، النخاسا، المسخثا، الرهمي) وتقام بوجود الماء الجاري الحي (يردنا). فقد جاء في ك/ي ما يلي:

((كل من ارتسم برسم الحي وذكر عليه اسم الرب العظيم وعمل أعمالا صالحة لا يؤخره أحد في يوم الحساب)).

المعتقدات

الدين المندائي لايقوم على التراث الديني والاجتماعي فحسب بل على مجموعة من المذاهب والعقائد الدينية الكثيرة. وليس لديهم دليل ثابت وكامل وكاف يعتمدون عليه جميعاً. بل يمتلكون تراثاً أدبياً كبيراً، ومنه كتاب الكنزا ربّا المقدس لديهم. وكل الثراث شبه أسطوري يتناقله الناس فيما بينهم، يحوي قصصاً

دينية تاريخية ويتوجب على المؤمن أن يتعلم منها الحكمة الدينية ويتّعظ بها، ويجعلها قانونه وتراثه الديني. وإن كان يغطي مواضيع أساسية مثل eschatology، معرفة اللّه، والآخرة، إلا أنه غير منتظم، لكن رجال الدين والكهنوت، وعدداً قليلاً من المثقفين هم وحدهم القادرون على قراءتها وفهم بعض حكمها.

وبذلك تصبح المندائية ديانة ضائعة، فالباحثون الألمان يفهمون شرائعها ونصوصها أكثر من أي مندائي معاصر.

المبادئ الأساسية

ووفقاً لداط دريور drower في مقدمة *سر آدم*. ص ١٦ تتميز المندائية بهذه السمات:

ثنائية الكونية الأب والأم، مثل النور والظلام، اليمين واليسار، نقطة الاقتران الكونية وفي شكل مصغر.

الروح تكون محبوسة في الجسد، وتتحرر منه عند الموت. فتعودإلى مكانتها في الأعلى.

تؤثّر الكواكب والنجوم على البشر.

المنقذ أو المخلص هو روح الأرواح الذي يساعد الروح من خلال رحلتها في الحياة وبعد ثم يعيدها إلى عوالم النور.

يؤدي المؤمن الطقوس الدينية ليتم تطهير روحه.

تؤمن بوجوب الزواج والإنجاب، وتعطي أهمية كبيرة للأخلاق الفردية. كما تركّز على نمط الحياة الأسرية السليم. فلا عزوبية ولا رهبنة ولا وجود لحياة الزهد في المندائية، وهي بذلك تتفق مع شرائع الإسلام.

كتب المندائية

تمتلك المندائية مجموعة كبيرة من الكتب الدينية، وأهم ما فيها هو ***genzā rabbā*** أو ginza، ومجموعة من التاريخ، اللاهوت، والصلاة.

وتحدد النصوص سلالة غير منقطعة من الأنبياء والمؤمنين بهم من الصابئة. كما تحوي قصص تاريخ الجماعة في فلسطين وانتقالهم إلى العراق بعد تعرضهم لمذابح شنيعة على أيدي اليهود الملحدين.

كما استمرت الجماعة في ظل الحكومات الإسلامية المتتابعة. وحافظت على كيانها المتماسك. بل وتأثّرت بالإسلام.

ومن الكتب المندائية الهامة الأخرى: دراشا دي إياها**draša ḏ - iahia** والذي ترجم من قبل داط دريور .drower وهو من أهم الكتب المندائية. ويحوي محاورة بين يسوع المسيح عليه السلام، ويوحنا المعمدان.

كتب الطقوس: وهي مكتوبة باللغة الآرامية الأصلية، وتعتبر كتب رجال الدين المتفرغين للعقيدة. لأنها كتبت بلغة لايستطيع قراءتها إلا هؤلاء الكهنة. في حين يتكلم بها قسم من المندائيين المقيمين في إيران، ويبلغ عددهم500-300 مندائي فقط من مجموع مندائيي إيران ٥٠٠٠ .

الكوزمولوجيا

اللاهوت المندائي ليس منتظماً. فهناك أكثر من طرح ديني حول قصة الخلق، والكون. فقد تأثّرت المندائية بالديانات الأخرى عبر العصور، وأخذت عنها بعض الأفكار والعقائد، فنتج عن ذلك أن تطورت العقائد والديانة المندائية بشكل عام.

بعض الباحثين الغربيين ومنهم **ستيف ويلسون** أشاروا إلى أن نصوص قصة الخلق المندائية مشابهة لنصوص الميركابا الصوفية. لكن هذه مجرد أطروحات ونظريات فكرية غير ثابتة.

رئيس الأنبياء

تعـترف المندائيـة بالعديـد مـن الأنبيـاء الـذين مـن بيـنهم يوحنـا المعمـدان **(mandaic iahia iuhana)** وهـي الـتي تمنحـه وضعاً خاصاً ، أعلـى مـن دوره في المسيحية والإسلام . على عكس الاعتقاد السائد ، فهي لا تعتبر يوحنا المعمدان على أنه مؤسس دينهم. وإنماهي تبجله وترفع من مقامه. وتعتبره واحداً من أعظم المعلمين الذين امتلكوا أسرار وعقائد الديانة التوحيدية المندائية. وأنه اقتفى أثر الديانة إلى عصر آدم عليه السلام.

المندائية بشكل عام تعتبر دعوة المسيح غير صحيحة. ولا تعترف بنبوته، لأنها أوقفت زمن الأنبياء عند يوحنا. لكن وجدت فئة قليلة جداً من المندائية تعترف برسالة السيد المسيح، وهذه الفرقة بادت منذ قرون.

كهنة ورجال غير متخصصين

ثمة فصل صارم بين المندائيين: العلمانيين والكهنة. ووفقاً لداط دريور drower *سر آدم*، ص التاسع : في المجتمع صلة بين العامة والخاصة المتدينة.

فالجاهل أو شبه العلماني يسمى مندائي. 'mandaeans'، وعندما يبدأ التبحر في علوم الدين يسمى غنوصي.

وعلماء الدين عندهم يتوزعون في درجات ترتفع بحسب قدرة العالم. والدرجتان الدينيتان العاليتان لايشغلهما أحد من المندائية هذه الأيام. يذكر المؤرخون أنه في العام ١٨٣٠ تفشى وباء الكوليرا. وحصد معه كبار رجال الدين المندائي، وأنه منذ ذلك التاريخ افتقدوا لدرجات العلم العليا.

تأثيرات على المسيحية

تأثّر بالمندائية الكثير من العقائد. ففي المسيحية جناحان وهما المانية التي تنسب لمانية. والمسيحية المعمودية.

فالمسيحية المعمودية تلبس الزي الأبيض المشابه للمندائية. وتجري التعميد وتعتبره أساسياً في الدين. وقد سكنت المعمودية حين نشأتها في شرق يهودا وشمال بلاد مابين النهرين. وفي تلك المناطق تواجد المندائيون القدامى. كما ثبت بأن بعض نصوص المزامير مشابهة تماماً لنصوص المندائية، أي منتحلة عنها. ففي تحليل للنصوص أثبت العالم والمؤرخ: (سودربيرج säve – söderberg) أن الذي وضع نصوص المزامير كان قد اطلع على نصوص المندائية. وهذا يثير تساؤلات كثيرة عن نصوص مندائية تم إتلافها أو إخفاؤها في مناطق من فلسطين على أيدي اليهود.

الشروط الأخرى المرتبطة بها

في البداية اعتقد البعض في الغرب بأن المندائية هي من أصل مسيحي، وسعوا للتقرب منها اعتماداً على ذلك. لكن الباحثين الذين زاروا العراق في القرن السادس عشر وتعرّفوا على الصابئة، واستناداً إلى التقارير الأولية التي أدلى بها أعضاء من بعثة carmelite بيّنوا بأن إيمانها بنبوة يوحنا المعمدان لايقربها من المسيحية. بل هي تنفي نبوة المسيح وصلبه.

حركة الناصورائية الكنسية التي تعلن عن نفسها في السنوات الأخيرة هي حركة غير مرتبطة بالمندائية كما يؤكد المندائيون.

الإضطهاد

أوائل 2007

نقلت التقارير الإخبارية المتنوعة في أوائل عام ٢٠٠٧ من العراق، أن المندائيين يتعرضون لعمليات التحويل القسري والاغتصاب والقتل من قبل المتطرفين . وهناك أيضاً التقارير الواردة عن الاعتداءات على النساء اللواتي يمتنعن عن ارتداء الحجاب. ونتيجة ذلك نزح معظم المندائيين عن العراق، فأصبحت الديانة نادرة الوجود.

وفي إيران لا تخضع الجماعة لأي أعمال عنف طائفي كما هو الحال في العراق، لكنها محظورة من المشاركة الكاملة في الحياة المدنية في إيران من قبل القانون (الذي صدر في ١٩٨٥) هذا القانون وغيره من الأحكام ***gozinesh*** جعل الوصول إلى العمل، والتعليم، ومجموعة واسعة من المجالات الأخرى مشروطة بالإيديولوجية الدينية، إذ يجري فحص دقيق للمتقدمين، فالشرط الرئيسي هو شرط أساسي لإخلاصه لمبادئ الإسلام. هذه القوانين تطبق بصورة منتظمة للتمييز ضد الفئات الدينية والإثنية التي هي غير معترف بها رسمياً، مثل **mandaeans** المندائية والبهائية كما يفيد أحد المواقع الإلكترونية الأمريكية.

الشتات وحرب العراق

أكثر من ٦٠٠٠٠ **mandaeans** كانوا يعيشون في العراق في أوائل التسعينات، إلا أن العدد تراجع إلى حوالى ٥٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ لا يزالون هناك ؛ واعتباراً من أوائل عام ٢٠٠٧، أكثر من ٨٠ ٪ من المندائيين العراقيين **mandaeans** نزحوا باتجاه سوريا والأردن . وهناك نسب صغيرة منهم **mandaean** هاجرت إلى الشتات في أستراليا ٣٥٠٠ وحتى ٢٠٠٦، وكندا، والولايات المتحدة الامريكية ١٥٠٠ والسويد ٥٠٠٠ .

وفي العام ٢٠٠٧ اقترحت صحيفة نيويورك تايمز هذا الحل:

إن غزو الأمريكيين للعراق يعرّض هذه الطائفة لخطر الانقراض الحقيقي. ويدمر تراثاً وثقافة عمرها ٢٠٠٠ سنة. وهذه الطائفة مهددة اليوم بالاختفاء عن وجه الأرض.!. لم يبق في العراق سوى ٥٠٠٠ مندائي من أصل ٦٠٠٠٠ كانوا قبل الغزو. والولايات المتحدة لم تمنح حق اللجوء إلا لعدد قليل منهم يبلغ ٥٠٠ لاجيء مندائي. سمح لهم بالدخول في/ ابريل ٢٠٠٣ إلى / ابريل ٢٠٠٧، كان عدد قليل فقط وعلى الرغم من التزام إدارة بوش بالسماح ل ٧٠٠٠ لاجئ في السنة المالية التي انتهت [في ٣٠ أيلول / سبتمبر، ٢٠٠٧]، أقل من عام ٢٠٠٠، بما فيها ثلاثة فقط من الأسر المندائية العراقية، دخلت إلى البلد. واقترحت الصحيفة أن يسمح لجميع المندائيين العراقيين بالهجرة إلى الولايات المتحدة بغية الحفاظ على عقيدتهم وقوميتهم هناك. لقد ظلت

هذه الجماعة عنيدة طوال ألفي عام مضت، ورفضت أن تختفي، بل وصممت على البقاء. فهل غزونا العراق لنمحوها عن الوجود بسبب سوء تصرفاتنا هناك.؟

كتب المقال: ناثا نايل ماني، أستاذ الدين، *كلية سوارثمور*

المجتمع المندائي

ووفقاً لمقال١٠ شباط / فبراير ٢٠٠٧ من قبل وكالة أسوشيتدبرس newmarker، فان عدداً من نحو ١٥٠٠ mandaeans الذين يعيشون في الولايات المتحدة بما فيهم الأطباء والفنيون والمهندسون والجواهريون . يخشون أمراً واحداً. وهو القلق من استيعاب المندائية للثقافة الأمريكية، لا سيما التزاوج.

وإن بضع عشرات فقط منهم، وهؤلاء هم رجال الدين يمانعون الزيجات المختلطة لأنها تؤدي إلى اندثار القومية وبالتالي تقليل عدد أبناء الطائفة.

مفاهيم محددة

الدين هو مجموعة من المعتقدات والممارسات التي عقدت بصفة عامة من قبل مجموعة من الناس، كما دونت في كثير من الأحيان الصلاة، والطقوس، والقانون الديني . كما يشمل الأجداد أو التقاليد الثقافية، والكتابات، والتاريخ والأساطير، وكذلك الإيمان الصوفي والتجربة الشخصية.

كتب الصابئة

لديهم عدد كبير من الكتب المقدسة مكتوبة بلغة سامية آرامية، قريبة من السريانية وهي:

كنزا ربّا

الكنزا ربّا: أي الكتاب العظيم ويعتقدون بأنه صحف آدم عليه السلام، فيه موضوعات كثيرة عن نظام تكوين العالم وحساب الخليقة وأدعية وقصص، وتوجد في خزانة المتحف العراقي نسخة كاملة منه. طبع في كوبنهاجن سنة ١٨١٥م، وطبع في لايبزيغ سنة ١٨٦٧م.

دراشة إديهيا

دراشة إديهيا: أي تعاليم يحيى، وفيه تعاليم وحياة النبي يحيى عليه السلام.

الفلستا: أي كتاب عقد الزواج، ويتعلق بالاحتفالات والنكاح الشرعي والخطبة.

سدرة إدنشاماثا: يدور حول التعميد والدفن والحداد، وانتقال الروح من الجسد إلى الأرض ومن ثمّ إلى عالم الأنوار، وفي خزانة المتحف العراقي نسخة حديثة منه مكتوبة باللغة المندائية.

الديونان: فيه قصص وسير بعض الروحانيين مع صور لهم.

إسفر ملواشة: أي سفر البروج لمعرفة حوادث السنة المقبلة عن طريق علم الفلك والتنجيم.

النياني: أي الأناشيد والأذكار الدينية، وتوجد نسخة منه في المتحف العراقي.

قماها ذهيقل زيوا: ويتألف من ٢٠٠ سطر وهو عبارة عن حجاب يعتقدون بأن من يحمله لا يؤثر فيه سلاح أو نار.

تفسير بغرة: يختص في علم تشريح جسم الإنسان وتركيبه والأطعمة المناسبة لكل طقس مما يجوز لأبناء الطائفة تناوله.

ترسسر ألف شيالة: أي كتاب الاثنى عشر ألف سؤال.

ديوان طقوس التطهير: وهو كتاب يبين طرق التعميد بأنواعه على شكل ديوان.

كداواكدفيانا: أي كتاب العوذ.

طبقات رجال الدين

يشترط في رجل الدين أن يكون سليم الجسم، صحيح الحواس، متزوجاً منجباً، غير مختون، وله كلمة نافذة في شؤون الطائفة كحالات الولادة والتسمية والتعميد والزواج والصلاة والذبح والجنازة.

الرتب الدينية

١- **الحلالـي**: ويسـمى "الشـماس" يسير في الجنـازات، ويقيـم سـنن الـذبح للعامـة، ولايتزوج إلا بكراً، فإذا تزوج ثيباً سقطت مرتبته ومنع من وظيفته إلا إذا تعمد هو وزوجته ٣٦٠ مرة في ماء النهر الجاري.

٢- **الترميدة**: إذا فقه الحلالي الكتابين المقدّسين سدره إنشماثا والنياني أي كتابَيْ التعميد والأذكار فإنه يتعمد بالأرتماس في الماء الموجود في **المندي** ويبقى بعدها سبعة أيام مستيقظاً لا تغمض له عين حتى لا يحتلم، ويترقى بعدها هذا الحلالي إلى **ترميدة**، وتتحصر وظيفته في العقد على البنات الأبكار.

٣- **الأبيسق**: الترميدة الذي يختص في العقد على الأرامل يتحول إلى أبيسق ولا ينتقل من مرتبته هذه.

٤- **الكنزبرا**: الترميدة الفاضل الذي لم يعقد على الثيبات مطلقاً يمكنه أن ينتقل إلى كنزبرا وذلك إذا حفظ كتاب الكنزاربّا فيصبح حينئذٍ مفسراً له، ويجوز له ما لا يجوز لغيره، فلو قتل واحداً من أفراد الطائفة لا يقتص منه لأنه وكيل الرئيس الإلهي عليها.

٥- **الريش أمه**: أي رئيس الأمة، وصاحب الكلمة النافذة فيها ولا يوجد بين صابئة اليوم من بلغ هذه الدرجة لأنها تحتاج إلى علم وفير وقدرة فائقة.

٦- **الربّاني**: وفق هذه الديانة لم يصل إلى هذه الدرجة إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام كما أنه لا يجوز أن يوجد شخصان من هذه الدرجة في وقت واحد. والرباني يرتفع ليسكن في عالم الأنوار وينزل ليبلغ طائفته تعاليم الدين ثم يرتفع كرّة أخرى إلى عالمه الرباني النوراني.

الإله

يعتقدون من حيث المبدأ – بوجود الإِله الخالق الواحد الأزلي الذي لاتناله الحواس ولايفضي إليه مخلوق.

وتذكر بعض مصادر البحث الغربية، بأن المندائية يجعلون بعد هذا الإله ٣٦٠ شخصاً خلقوا ليفعلوا أفعال الإله، وهؤلاء الأشخاص ليسوا بآلهة ولا ملائكة،

يعملون كل شيء من رعد وبرق ومطر وشمس وليل ونهار... وهؤلاء يعرفون الغيب، ولكل منهم مملكته في عالم الأنوار.

هؤلاء الأشخاص الـ ٣٦٠ ليسوا مخلوقين كبقية الكائنات الحية، ولكن الله ناداهم بأسمائهم فخلقوا وتزوجوا بنساء من صنفهم، ويتناسلون بأن يلفظ أحدهم كلمة فتحمل أمرأته فوراً وتلد واحداً منهم. ويعتقدون بأن الكواكب مسكن للملائكة، ولذلك يعظمونها ويقدسونها.

ولم يؤكد لنا المندائيون صحة هذه المعلومات، وبنفس الوقت فهم لم يرفضوها.

المندي

المندي بالنسبة لهم هو بناء معدّ لإجراء بعض الطقوس الدينية من قبل رجال دينهم. وهو معبد الصابئة، وفيه كتبهم المقدسة، ويجري فيه تعميد رجال الدين، يقام على الضفاف اليمنى من الأنهر الجارية، له باب واحد يقابل الجنوب بحيث يستقبل الداخل إليه نجم القطب الشمالي، لابدَّ من وجود قناة فيه متصلة بماء النهر، ولا يجوز دخوله من قبل النساء، ولا بدّ من وجود علم يحيى قربه في ساعات العمل.

الصلاة

تؤدى ثلاث مرات في اليوم: قبيل الشروق، وعند الزوال، وقبيل الغروب، وتستحبّ أن تكون جماعة في أيام الآحاد والأعياد، فيها وقوف وجلوس على الأرض وسجود، وليس في صلاتهم ركوع. وهي تستغرق ساعة وربع الساعة تقريباً.

يتوجه المصلي خلالها إلى الجدي بلباسه الطاهر، حافي القدمين، يتلو سبع قراءات يمجد فيها الرب مستمداً منه العون طالباً منه تيسير اتصاله بعالم الأنوار.

الصوم

صابئة اليوم يحرمون الصوم لأنه من باب تحريم ما أحل الله.

وقد كان الصوم عند الصابئة على نوعين: الصوم الكبير: ويشمل الصوم عن كبائر الذنوب والأخلاق الرديئة، والصوم الصغير الذي يمتنعون فيه عن أكل اللحوم المباحة لهم لمدة ٣٦ يوماً متفرقة على طول أيام السنة.

تذكر بعض المراجع بأن ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥هـ في فهرسته، وابن العبري المتوفى سنة ٦٨٥هـ في تاريخ مختصر الدول ينصان على أن الصيام كان مفروضاً عليهم لمدة ثلاثين يوماً من كل سنة. لكن مندائية اليوم تنقد هذا الكلام.. فالمؤرخون المسلمون سلّموا بأن المندائية تغيرت وتطورت عبر السنين، وأنها تأثرت بالإسلام، لكن المندائية لاتعترف بذلك.

الطهارة

الطهارة مفروضة على الذكر والأنثى سواء بلا تمييز.

تكون الطهارة في الماء الحي غير المنقطع عن مجراه الطبيعي.

الجنابة تحتاج إلى طهارة وذلك بالارتماس في الماء ثلاث دفعات مع استحضار نية الاغتسال من غير قراءة لأنها لا تجوز على جنب. عقب الارتماس في الماء يجب الوضوء، وهو واجب لكل صلاة، حيث يتوضأ الشخص وهو متجه إلى نجم القطب، فيؤديه على هيئة تشبه وضوء المسلمين مصحوباً بأدعية خاصة.

مفسدات الوضوء: البول، الغائط، الريح، لمس الحائض والنفساء.

التعميد وأنواعه

يختلف المبدأ في التعميد عما هو معروف في المسيحية. فيعتبر التعميد من أبرز عقائد المندائية. ولا يكون إلا في الماء الحي، ولا تتم الطقوس إلا بالارتماس في الماء سواء أكان الوقت صيفاً أم شتاءً، وقد أجاز لهم رجال دينهم مؤخراً الاغتسال في الحمامات وأجازوا لهم كذلك ماء العيون النابعة لتحقيق الطهارة. ويتفق المندائيون اليوم أن الاغتسال بماء العيون كان محللاً طوال العهود المندائية.

يجب أن يتم التعميد على أيدي رجال الدين.

يكون العماد في حالات الولادة، والزواج، وعماد الجماعة، وعماد الأعياد. وترى الجمعية المندائية بأن العماد المندائي هو واحد في كل المناسبات، لكن بعض المراجع تفصّل أنواع العماد على النحو التالي:

١- **الولادة**: يعمد المولود بعد ٣٠ يوماً ليصبح طاهراً من دنس الولادة حيث يُدخل هذا الوليد في الماء الجاري إلى ركبتيه مع الاتجاه جهة نجم القطب، ويوضع في يده خاتم أخضر من الآس.

٢- **عماد الزواج**: يتمّ في يوم الأحد وبحضور ترميدة وكنزبرا، يتم بثلاث دفعات في الماء مع قراءة من كتاب الفلستا وبلباس خاص، ثم يشربان من قنينة ملئت بماء أُخذ من النهر يسمى (**ممبوهة**) ثم يطعمان (البهثة) ويدهن جبينهما بدهن السمسم، ويكون ذلك لكلا العروسين لكل واحد منهما على حدة، بعد ذلك لا يُلمسان لمدة سبعة أيام حيث يكونان نجسين وبعد الأيام السبعة من الزواج يعمدان من جديد، وتعمد معهما كافة القدور والأواني التي أكلا فيها أو شربا منها.

٣- **عماد الجماعة**: يكون في كل عيد (**بنجة**) من كل سنة كبيسة لمدة خمسة أيام ويشمل أبناء الطائفة كافة رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً، وذلك بالارتماس في الماء الجاري ثلاث دفعات قبل تناول الطعام في كل يوم من الأيام الخمسة. والمقصود منه هو التكفير عن الخطايا والذنوب المرتكبة في بحر السنة الماضية، كما يجوز التعميد في أيام البنجة ليلاً ونهاراً على حين أن التعميد في سائر المواسم لا يجوز إلا نهاراً وفي أيام الآحاد فقط.

الأعياد

أ- **العيد الكبير**: عيد ملك الأنوار حيث يعتكفون في بيوتهم ٣٦ ساعة متتالية لا تغمض لهم عين خشية أن يتطرق الشيطان إليهم لأن الاحتلام يفسد فرحتهم، وبعد الاعتكاف مباشرة يرتسمون، ومدة العيد أربعة أيام، تنحر فيه الخراف ويذبح فيه الدجاج ولا يقومون خلاله بأي عمل دنيوي.

ب- **العيد الصغير**: يوم واحد شرعاً، وقد يمتد لثلاثة أيام من أجل التزاور، ويكون بعد العيد الكبير بمائة وثمانية عشر يوماً.

ت- **عيد البنجة:** وهو خمسة أيام تكبس بها السنة، ويأتي بعد العيد الصغير بأربعة أشهر.

ث- **عيد يحيى:** يوم واحد من أقدس الأيام، يأتي بعد عيد البنجة بستين يوماً وفيه كانت ولادة النبي يحيى عليه السلام الذي يعتبرونه نبيًّا خاصاً بهم، والذي جاء ليعيد إلى دين آدم صفاءه بعد أن دخله الانحراف بسبب تقادم الزمان.

الزواج الأحادي

أن الديانة المندائية تؤمن بالزواج الأحادي سواء للرجل أم للمرأة . لان الزواج المندائي يعبر عنه بارتباط متكافئ ما بين نفسين (روحين) لرجل وامرأة. فلذلك لا يحق حسب الفلسفة المندائية الشرعية أن يكون الزواج متعدداً للرجل أم للمرأة.

مرتبة الشوليا

الشوليا هو طالب، سائل، مرشح للكهنوت، تلميذ تحت التجربة، جاءت من كلمة (شيالا) سؤال .. وسمي بهذا الاسم لكثرة الأسئلة التي يطرحها قلبه وعقله لشغفه بالمعرفة والعبادة. وهو الشخص البالغ الكامل جسديا (تلميذ الدين) يمر بفترة من الاختبارات الروحية من خلال فترة سبعة ايام متتالية تبدا بيوم السبت (التي لا ينام فيها، ويمر خلال السبعة أيام، هذه بسلسلة من الرموز الروحية المقدسة) .. ويمتحن من قبل الكهان (الأساتذة) ليروا مدى تفهمه وتفسيره للمعرفة الدينية المندائية، ومعرفته بالطقوس الدينية ... ويعتكف بعدها للصلاة والعبادة والدراسة لوحده مدة ستين يوماً، آخرها الامتحان الكبير وأداؤه مراسيم طقس (المسخثا) ثم يقوم بتعميده أستاذه المسؤول عليه (ربي) وبذلك يصبح كاهناً بدرجة ترميذا.



الختان الروحي

تـذكـر بعـض المراجـع أن المنـدائيين لا يختتنـون ويعتـبرون أي تبـديل في جسـد الإنسـان بغير حق، اعـتراض علـى عظمـة خلـق الخـالق. وأن المندائيـة تـؤمن بـأن الـرب العظيم خلـق الإنسـان علـى أكمـل وجـه، لأن صـورة الإنسـان مثيلـة لصـورة الملكـي والأثري في عوالم النور (المي اد نهورا).

اما المندائيون فقد ورد عنـدهم الختـان ولكـن لـيس الختـان المـادي الـذي يتعـرض للإنسان ويخرج منه الدم ويعرضـه لـلألم، وإنمـا ختـان الإنسـان المنـدائي المؤمن ختانـاً روحيا يتم بختم جبهته بالماء الجاري الذي يمثل نور الله، فيمثل ختـان القلـب والأفعـال بنـور الله، هـذا مـا يسـمى بالمندائيـة (روشمـة وهتمتـة) أي الرسـم والخـتم (الخـتن) المقدس. إذن فالختان المندائي هو روحي ومعنوي أكثر مما هو مادي.

الشهادة المندائية (الاعتراف)

الاعـتراف أو الشـهادة المندائيـة (سـهدوثا) تحتـوي علـى قـانون الإيمـان المنـدائي الجوهري وهو الإيمان برب عظيم هـو الحـي العظيم (هيـي ربـي) مشـبا اشمـي، الـذي يمثل الوجود (الحياة)، وبأنه قد تكون من ذاته (الاها اد من نافشي افرش)، وانبعث الخلق بالتالي منه وانتشر.

الانسان المندائي يعرفها ويتلوها دائما بقلب يعرف حقيقة الـرب والوجـود، ويـؤمن به أيماناً قاطعاً.

اكا هيي اكا ماري اكا مندا اد هيي.

اكا باثر نهور

بسهدوثا اد هيي وبسهدوثا اد ملكا ربا راما اد نهورا

الاها اد من نافشي افرش.

اد لا باطل ولا مبطل اشمخ ياهيي وماري ومندا اد هيي.

وترجمتها كالآتي:

موجود هيي ماري مندا اد هيي.

موجود بمكان النور

بشهادة الحياة، وبشهادة ملك النور السامي

الإله (الرب) الذي انبعث من ذاته.

اسمك يا هيي ماري مندا اد هيي أبدي لا يصيبه الفناء.

أوقات الصلاة الرسمية المندائية (الرشاما والبراخا)

الفرض الأول

(فراش زيوا) يكون في الصباح الباكر ومع انفلاق أشعة الشمس .. **الفرض الثاني** (شبا شايي) في منتصف الظهيرة، بعد سبع ساعات من صلاة الصباح ..

والفرض الثالث (فاينا) عصراً وقبل زوال أشعة الشمس. وممكن أن تقام في أوقات تقريبية.



لايجوز جمع صلاتين

لا يمكن جمع صلاتين في آن واحد في المندائية. وكل صلاة (براخا) تقام في زمنها المعين سواء صباحاً أم ظهراً أم عصراً .. وإذا تم ترك إحدى هذه الفروض

الثلاثة بسبب معذور، وإذا كان زمن الفرض قد انتهى، عندئذ يتم الانتقال وتأدية الفرض الآخر الذي بعده. وإذا كان المندائي لديه سبب معذور لترك إحدى صلواته فالحي العظيم (مسبح اسمه) هو الغافر الرحيم المحب لنا ولخلقه. وإذا استطاع أن يؤديها في نهاية زمن الفرض، فليؤدها، وان لم يستطع فليؤدِ الفرض الذي يليه.



صلوات شخصية مندائية

الصلوات الشخصية المندائية تشبه صلوات النوافل وصلاة السنة المستحبة عند المسلمين.

الإنسان المؤمن دائماً في احتياج لذكر ربه والإحساس بوجوده .. فلذلك تقول الآية المندائية من الكنزا ربا ما يلي :

((اذكروا الرب في قيامكم وقعودكم وذهابكم ومجيئكم وفي جميع الأعمال التي تعملون)).

إنهم يذكرون آية مشابهة كثيراً لآية قرآنية تقول: ﴿اذكروا الله قياماً وقعوداً . . ﴾ ولأنهم يعملون بها فهم يعملون بشريعة مشابهة لشريعتنا الإسلامية. وعلينا أن نتعامل معهم بما يعلنون. ومن ناحية أخرى تقول الكثير من المصادر التاريخية بأن كتابهم كنزا ربا كتب بعد ظهور الإسلام، أي في مرحلة الخلافات الإسلامية التي تحكم الأقطار العربية آنذاك. فمن الجائز أن يكون قسم من آيات كتابهم منتحلاً عن الأصل القرآني. ولربما كان هناك تشابه في الكتابين مايدل على أنهما من مصدر إلهي واحد. فالأمر يحتاج لبحث لغوي وتاريخي معمق.

وأيضاً يجب على المؤمن المندائي أن لا يزول اسم الرب الحي العظيم من فمه وقلبه أبداً .. ويستطيع المندائي أن يصلي بتلاوة البوث المقدسة من الكتب الدينية وخاصة من كتاب الصلوات والأدعية (نياني الرهمي – تراتيل الرحمة) وفي أي وقت يشاء، فهذا الأمر متروك للمؤمن واحتياجه ووقته.

شروط المكان الذي تتحقق فيه الصلاة

يجب على البارخ أن يؤدي صلاته في مكان نظيف وهادئ ذي رائحة ذكية. ويفضل أن يكون مكشوفاً ناظراً السماء، ولا بأس أن تكون (البراخا)الصلاة في غرفة نوم أو صالة جلوس أو حديقة، بعدما تكون مستوفية شروط النظافة.

الصوم الأكبر (صوما ربا)

الصوم يعني الامتناع عن شيء وعدم تقبله لفترة من الوقت، مؤقتة أو دائمة. والصوم المندائي .. الأول والكبير .. هو أعظم من الكف عن الطعام والشراب .. بل هو الكف والامتناع عن كل ما يشين الإنسان وعلاقته مع الرب الهيي ربي (مشبا اشمي) وإخوانه البشر .. وهذا الصوم يستمر ما دام في الإنسان حياة تنبض في عروقه. ولقد امرنا الرب العظيم به في كتابنا المقدس كنزا ربا، فهو يقول: ((**صوموا الصوم العظيم ولا تقطعوه إلى أن تغادر أجسادكم، صوماً صوماً كثيراً لا عن مأكل ومشرب هذه الدنيا .. صوموا صوم العقل والقلب والضمير**))
الصيام الصغير .. وما هو إلا تذكرة للإنسان بصيامه الأكبر .. ويتم بالكف عن تناول لحوم الحيوانات وذبحها خلال أيام معينة من السنة .. لكون أبواب الشر مفتوحة على مصراعيها، فتقوى فيها الشياطين وقوى الشر، لذلك نطلق عليها أيام (مبطلة) .. لذلك أيها المؤمنون، يجب على الإنسان فيها ان يجند نفسه بجوعه وحرمانه عن الطعام الدسم، واكتفائه بالقليل ليتذكر صيامه الأكبر فيمتنع عن كل الفواحش والمحرمات.

الصيام المندائي الصغير

تبلغ أيام الصيام المندائي ٣٦ يوماً، موزعة على أيام السنة، وتعرف من خلال التقويم المندائي، وتسمى (مبطل). ويمتنع خلالها المرء عن تناول اللحوم والأسماك والبيض، وكل أكلة (وجبة طعام) حاوية أو تدخل المواد السابقة في تكوينها. ويستمر يوم الصائم من شروق الشمس إلى نهاية ليلة اليوم.

الصابئة لايعبدون النجم القطبي

ان ديانة الصابئة المندائيين، ديانة رفيعة التوحيد، وإنها لا تؤمن بأي تجسيد مادي للمقدسات. وهذا مما لاشك فيه البتة.

ما تمثله القبلة أو الاتجاه للمندائيين. ان النجم القطبي لا توجد له أي أهمية من الناحية الدينية والروحية في المعتقدات المندائية، ولكن يستعمله المندائيون، للاستدلال بجهة الشمال لأن هذه الطريقة كانت ولازالت المتبعة في معرفة جهة الشمال لا غير، وللتطور الذي شهده العصر الحديث استخدم المندائيون كغيرهم، الوسائل والتقنية الحديثة (مثل البوصلة)، لمعرفة جهة الشمال.

البشملة المندائية

ينطق البشملة المندائية (البسملة) والتي هي:

(بشميهون أد هيي ربي)

وفي لهجات أخرى تقال: اشما اد هيي اشما اد مندا اد هيي مدخر إلخ = اسم هيي مندا اد هيي مذكور عليك).

ويردد المندائي صلاة ودعاء شخصياً، إضافة لشكر (هيي ربي – مشبا اشمي) على نعمه وبركاته.

مفهوم الديانة المندائية للصدقة (زدقا)

ان هذا الركن من الأركان المهمة والفرائض الواجبة ومن الأخلاقيات الكبرى التي يتصف بها الإنسان المندائي المؤمن.

فقد ورد في الكنزا ربا في هذا الشان ما يلي:

((أعطوا الصدقات للفقراء وأشبعوا الجائعين واسقوا الظمآن واكسوا العراة .. لأن من يعطِ يستلم .. ومن يقرض يرجع له القرض)).

وإن نبينا الحبيب يهيا يوهنا (مبارك اسمه)، يؤكد أن الصدقة خير من الزوجة والأبناء يوم الدين .. يوم التقائنا برب الخلق والحياة.

واهم ما في مفهوم الصدقة في المندائية، هو أن تشعر بواجبك تجاه أخيك الإنسان، الذي لا يملك مما وهبه الرب الحي العظيم لك من نعمة. فيجب علينا تقاسم هذه النعمة بيننا لكي يرضى عنا الله. فكما الرب العظيم وهبنا من نعمائه الكثيرة، وشاركنا بها كما يشارك الأب أبناءه، فيجب علينا، ان نتمثل برب النعمة وواهبها.

يأمرنا الهيي ربي (مشبا اشمي) في كتابه المقدس كنزا ربا .. بأن نعطي الصدقة سراً، وعدم المجاهرة بها .. فيجب أن تكون لوجه الرب العظيم وليس لغاية شخصية .. فقد جاء بهذا الخصوص ما يلي:

((إن وهبتم صدقة أيها المؤمنون، فلا تجاهروا .. إن وهبتم بيمينكم فلا تخبروا شمالكم، وإن وهبتم بشمالكم فلا تخبروا يمينكم .. كل من وهب صدقة وتحدث عنها كافر لا ثواب له)).

فيا إخوة الحق والنور .. إن من يؤدي الصدقة .. فإنه يفدي نفسه وعائلته وأهله من كل شر .. ويقترب من الحي العظيم.

إعالة الوالدين ليست من باب الصدقة

إن للصدقة أهمية كبيرة في التعاليم الدينية المندائية، لما لها من أهمية إنسانية وتراحم بين الناس .. إضافة إلى أنها الصفة الأكثر عظمة التي يتصف بها الإنسان

المؤمن، لما لها من جانب مهم يظهر الصفات الأخلاقية للإنسان عموماً. ويمكن تسمية الصدقة بالتضحية في سبيل الآخرين، فليس المال وحده يمكن أن نتصدق به، ولكن الكثير مما يمتلك الإنسان، يمكن أن يتصدق به إلى الخلق بأسره. فالمندائية توصي المؤمنين بأن يراعوا ويكافئوا ويهتموا بالوالدين والأهل .. وان إعالة الوالدين واجب وفرض مقدس على الإنسان المندائي ولا تدخل ضمن باب الصدقة والإيفاء بها وهي إحدى أركان الديانة المندائية.

عدد أسماء الرب (الله) في المندائية

إن المندائية لا تؤمن بأن الرب له عدد معين ومحدد من الأسماء والصفات، لأنها تؤمن بعدم محدودية الرب فلذلك تسميه الحياة .. وهذا ليس معناه بان المندائية لا تؤمن بمركزية الرب. وإنما المندائية تؤمن برب واضح المعالم، مفصح عن نفسه، مقيم ومتربع على عرشه، ليس لقوته ورحمته ومحبته حدود، وهو مقيم في الفضائل جميعاً.

بعض اسماء وصفات الرب العظيم في المندائية

المندائية تستخدم الاسم المندائي باللغة الآرامية. وفي كتاباتهم الحديثة، وفي حواراتهم اليومية، رأيناهم يستخدمون اللفظ العربي للتعبير عن الله بأحد أسمائه،

الحي: أو الحياة هيي

معرفة الحياة: مندا اد هيي

العظيم: ربا

السيد أو الرب: مارا

الأول: قدمايا

الغريب: نخرايا

الحق: كشطا

النور: نهورا

الضياء: زيوا

العارف: مندا

الطاهر: دخيا

المبارك: مبرخ

الإله (اللّه): الاها

المعظم: مرورب

الموقر: ميقر

المسبح: مشبّا

السامي: راما

الملك: ملكا

الثابت: قايم

الخالد أو الأبدي: لامبطل

الغفور: هياسا

التواب: تيابا

الحليم: ريوانا

الرحمن أو المحب: رهمانا

المخلص: بروقا

السلطان: شاليطا

الطيب: طابي

العزيز: ازيزا

الحكيم: هكيما

السيماء العظيم: برصوفا ربا

الوقار: ايقارا

الذي لا يرى: اد لاميتهزي

الذي لا يحد: اد لامستيخ

رب جميع الأكوان: ماريهون اد كلهون المي

البصير: هازايا

لا شريك له بتاجه: اد ليثلي هابرا بتاغي

لا شريك له بسلطانه: ولا شوتايف بشلطاني

رب جميع الملائكة: ماريهون اد كلهون ملكي

إله الثبات: الاها اد شرارا

الخالق: ناصبي

العالي: الايا

رب العظمة: مارا اد ربوثا

الأب: ابا

أب جميع الأثري: ابا اد كلهون اثري

المدبر العظيم: مانا ربا

الجبار: كابارا

الواحد: اهدا

المنتشر: فروشا

الأمل: سيبرانا

الجليل: كالايا

القدوس: شبيها

المبدع: مشاوزبنا

الباري: بارويا

الوهاب أو الرازق: ياهوبا

الشافي: اسي

المتين: ماشرانا

المبطل: مباطلنا

الحافظ: مناطرنا

المقتدر: هايلانا

الباعث: مشدرنا

المقيم: ماقم

الديان: دايانا

الزكي: زاكايا

الحارس: امزرزانا

شروط الذبح الديني المندائي (النخاسا)

نلاحظ تشابهاً في بعض شروط الذبح عند المندائية والمسلمين. بل إنهم أكثر تشدداً، فالذبح الحلال يحتاج عندهم لشهود ولسلامة تامة للحيوان المذبوح.. مايعني اهتمامهم الكبير بأكل اللحم المحلل. والحقيقة أن الإسلام كان يسيراً في كثير من الأمور.

- أن يكون الذابح حلالي (اذا كان الذبح لغرض ديني).
- أن يكون هناك شكندا (شاهد على صحة العملية).
- أن تكون السكين حادة لكي لا يتعذب الحيوان.
- أن يكون الذبح للحيوانات المحللة فقط.
- أن يكون الحيوان لا عيب فيه أو نقصان (أي لا يكون ذا عين مفقوءة أو زائدات لحمية في عنقه أو مكسور الارجل أو مقلوع الأظافر.الخ).
- أن تقرأ الصلوات الخاصة بالذبح.
- أن يكون الذبح لأجل الأكل.
- أن تطمش وتنظف الذبيحة بالماء الجاري.
- أن تسهد الذبيحة بعد الذبح (اي برش قليل من الملح على مكان النحر مع إمرار النار عليها ونطق البسملة).

لايجوز الذبح دون وجود شاهد. ومن الممكن ان يقوم الابن (حتى ولو كان قاصراً) بدور الشاهد (شكندا) في عملية الذبح الديني، وإذا تعذر وجوده فمن الممكن أن تقوم الزوجة بمثابة الشاهد (شكندا) لأنها تعتبر نصف الزوج المكمل.

المحرمات

تحريم لبس السواد واللطم والنواح وقص الشعر أو القيام بأعمال مؤذية للجسد والنفس. فجميع هذه الأفعال محرمة في الديانة المندائية، لأنها تؤثر على عروج النفس إلى باريها.

المقابر تجاه الشمال

يجب معرفة اتجاه القبلة (**بيت اواثر**) عند دفن الميت. والقبلة عند المندائيين هي باتجاه الشمال وهو (بيت اواثر).

يجوز وضع التخت مع جثة المتوفى في تابوت خشبي، ودفنها معه. ويجوز أيضاً استعمال خيوط مصنوعة من القطن أو الكتان الطبيعي.

الميت يجب أن يسجى على ظهره، أن يكون وجهه مواجها لجهة (بيت اواثر – القبلة المندائية) والتي هي الشمال دوماً، وأن يكون وضع يديه في حالة الانبساط بجانب جسده.

وإذا توفى أحد المندائيين ولم يكن لديه معيل، ولا يوجد لديه تركة مالية لتسديد نفقات الدفن يتحمل المندائيون كافة الأمور المادية والمعنوية لهكذا حالة، من الدفن واللوفاني وإقامة مراسيم العزاء.

الراشم والبارخ الذي يؤدي الصلاة عليه. من المحبذ أن يرتدي الملابس الدينية كاملة (الرستة)، وإن تعذر ذلك فمن الممكن أداؤه البراخا بأي ملابس نظيفة ومستورة، ومن المحبذ أيضاً أن تكون بيضاء، ولابساً للحزام الديني المقدس (الهيميانا).

الاجتماع والتطهير

مناسبة كنشي وزهلي

كنشي وزهلي (الاجتماع والتطهير): توافق هذه المناسبة في ٣٠ طابيت مندائي الموافق ٢١ تموز ميلادي وهو اليوم الأخير في السنة المندائية حيث يصطبغ فيه المندائيون ليتهيؤوا للكرصة، وإن النصوص الدينية تنص على وجوب صباغة الفرد المندائي في هذا اليوم والصباغة فيه بملابس دينية جديدة تعادل سبعين مرة.

مناسبة دك الفل

دكُ الفل: توافق هذه المناسبة في ١ آيار مندائي الموافق ٢٠ تشرين أول ميلادي حيث هبط الملاك هيبل زيوا بأمر من ملك النور العالي إلى الأرض كي يعمرها ويهيئها لخلق أبونا آدم (مبارك اسمه) حيث كانت الأرض خربة تكسوها المياه وكان غذاؤه التمر والسمسم وهو غذاء ملائكي لأن النخلة والسمسم الأبيض هما شجرتان مقدستان موجودتان في عوالم النور العليا ومزجهما مع بعض يسمى الفل. يحتفل المندائيون في هذه الذكرى إحياءً لها.

مناسبة دهفة اد ديما

دهفا إد ديما (عيد التعميد): يوافق هذا العيد في ١ كانون مندائي الموافق ٢٣ أيار ميلادي وهو يوم مقدس من أيام السنة المندائية يطلق عليه أيضاً (دهفا اد يمانه) حيث اصطبغ في هذا اليوم رسولنا ونبينا المبارك (يهيا يهانا) عندما كان عمره ٣٠ يوماً وكان رضيعاً هناك في جبل بروان (الجبل الأبيض) وكانت الأرواح النورانية ترعاه عندما أخذوه من أمه لينقذوه من توعد اليهود بقتله، وإن هذا اليوم هو يوم مهم بالنسبة للمندائيين يصطبغ الأطفال فيه وكذلك الكبار.

طهارة شخصية

إن الطهارة الشخصية، تسمى طماشا، والتي يقوم بها المرء المندائي بنفسه. تتحقق بثلاث غطسات بالماء الجاري (يردنا) مع تلاوة النص الديني المخصص، وهو:

((أنا (الملواشا) اصبينا ابمصبتا اد بهرام ربا بر رورِبي مصبَتَي تيناطري وتسق الريش اشما اد هيي واشما اد مندا اد هيي مدخر الي)).

وترجمته كالآتي:

((أنا (اسم المصبتا) اصطبغت بصبغة بهرام الكبير ابن العظمة، صباغتي تحفظني وترفعني إلى العلياء، اسم الحي واسم مندا أد هيي مذكور علي)).

تعريف الزواج مندائيا

الزواج ويسمى مندائيا (**قابين**) هو رباط مقدس يجمع بين رجل وامرأة، ليصبحا بعد إتمام سر الزواج عليهما من خلال مراسيم الزواج الدينية، جسدين في روح واحدة، ولا تفريق بينهما حتى بعد الوفاة.

شروط الزواج

بعض شباب المندائيين اضطروا أن يتزوجوا بدون أداء المراسيم الدينية المندائية لعدم وجود رجل دين مندائي في بلدهم، ولكن يجب عليهم ان يتقبلوا مراسيم المصبتا والزواج المندائي حسب أصوله وأن يأخذوا بركة الله في زواجهم وارتباطهم هذا .. وان يقطعوا الكشطا الخاصة بالزواج (العهد الديني المقدس) على نفوسهم، حال توفر رجل الدين.

طقوس الزواج

مراسيم الزواج في "المندي" وهو المعبد الخاص بهم وله أهمية كبيرة ودور بارز في حياتهم وهو مركز ديني تقام فيه الطقوس المختلفة وتؤدى الصلوات ويقع بالقرب من مساكنهم وعلى أحد فروع شط العرب في البصرة.

مراسيم التعميد في مناسبة الزواج تمارس في حوض كبير يتوسط المندي ويملأ بمياه شط العرب الصافية، وتبدأ مراسيم عقد الزواج بارتداء الملابس البيضاء تعبيراً عن الطهارة والنقاء، ويسمى الرداء الذي يرتديه العروسان بـ "**الرستة**" ويرتديه أيضاً الأهل والأصدقاء الذين يحضرون عقد الزواج في المندي.

تبدأ مراسيم الزواج بالتطهير أو التعميد وذلك بنزول العروس أولاً في الماء لتطهير الروح والجسد وتحصل العروس على درجة النور والضياء، وأثناء التعميد، كما يعتقدون، تذهب الأوجاع والأمراض والأحقاد، لذا فكل الحاضرين يعمدون في الماء في هذه المناسبة.

وعادة ما يعقد الزواج **يوم الأحد** لأنه باعتقادهم له قدسية خاصة لأن الخالق هو واحد أحد، وهو اليوم الذي تنزل فيه الرحمة على العباد، أثناء وجود العروس في الماء يتلو عليها الشيخ بعض التراتيل الدينية والأدعية وهو واضع يده على رأسها وعادة تكون هذه الأدعية من كتاب الكنزاربا، وبعدها تخرج العروس من الماء وتتبخر ببخور خاص من أجود أنواع البخور يتكون من المسك والعنبر والورد والجاوي والزعفران ويوضع البخور في وعاء طيني يسمى بـ "الطريانة" يحتوي على قسمين قسم للبخور والقسم الآخر للجمر.. والنار والجمر ترمز إلى نبض الحياة ودوران العروس حول الطريانة تمثل دوران الدنيا وقوة الدم التي تعطي للإسنان الحياة، ويكون إصبع العروس مربوطاً بنبات الآس الذي يرمز إلى قدسية الزواج والأمل في الحياة.

ومن عادات الصابئة القديمة **فحص عذرية العروس**، وكان يتم ذلك من قبل امرأة خاصة تعين من قبل الشيخ، وحديثاً ترسل العروس إلى طبيبة نسائية لمعرفة عذريتها وبحضور أهل العريس والعروس وهو تقليد ديني ورثوه منذ سنين طويلة. وفي آخر مراسيم الزواج يقوم شيخ الطائفة بتعميد العريس كما فعل مع العروس، ويجلس العروسان داخل حجرة طينية محاطة بالقصب والبردي ويكون عدده بالزوج ويفترشان الأرض بحصيرة بسيطة ترمز إلى الحياة البدائية التي كان يحياها أهل الطائفة قديماً وتقدم لهما وجبة من الطعام تتكون من سمكة بنية مشوية وخبز

وجوز ولوز وفستق وينثر عليهما الورد ويقتسمان الطعام رمزاً لبدء الحياة الزوجية، وكل مراسيم الزواج تتم في جو من الفرح ما بين زغاريد النساء ورقص الأطفال.

وتقول المراجع المندائية بأن كل المناسبات المندائية تبدأ بطقوس التعميد العادي ومنها الزواج، فيصبح التعميد حدثاً تطهيرياً مستقلاً عن احتفالية الزواج نفسه. إذ بعد التعميد يتم البدء بمراسم واحتفالات الزواج العادية.

ليست كل المخطوطات المندائية مقدسة

إن اللغة المندائية وكما هو معروف عند أهل اللغات، هي لغة آرامية شرقية. واللغة عموماً معبّرة عن هوية المجتمع الذي يتكلم بها، فهي معبرة عن أفكاره في مختلف نواحي الحياة. ومنها الدينية أو الروحية التي تشبع رغبته في العبادة. فالمندائية كلغة، وحسب الدلائل المهمة المتوفرة، ولو على قلتها، كانت منتشرة في نطاق معين في بلاد الرافدين وفلسطين بالذات .. فكانت اللغة معبرة عن أفكار المندائيين القدماء بمختلف نواحي حياتهم، والتي وصلتنا عن طريق الكتب والدواوين والمخطوطات المندائية. فليس كل شيء مكتوب باللغة المندائية بالضرورة أن يكون مقدساً، فالكتب الدينية المندائية المقدسة معروفة وأهمها الكتاب الكبير (كنزا ربا) مبارك اسمه. أما الكتب الأخرى فهي إما أن تكون تاريخية أو علمية أو شرحاً لقضايا طقسية مندائية ... الخ. مع إيماني بأن الكثير من هذه الكتب وخاصة الغير مقدسة، قد فقدها المندائيون من خلال الاضطهاد والملاحقة التي تعرضوا لها أو من خلال الظروف الطبيعة التي أحاطتهم مثل تعرضهم للمرض والحريق والغرق.

مناسبة البرونايا (الأيام الخمسة البيضاء)

البرونايي: الأيام الخمسة البيضاء (البنجة)..... توافق هذه المناسبة بين شهري أيلول وتشرين المندائيين،

- **في هذه الأيام خلق الزمن**، وتوافق هذه المناسبة المقدسة (١٩- ٢٣) آذار ميلادي .

- هـذه الأيـام الخمسـة البيضـاء **تجلـى فيهـا الـرب** وأعلـن عـن نفسـه في الوجـود حيث انبثقت صفاته وأسماؤه في تلك الأيام:

١. انبثقت صفة الحياة في اليوم الأول.
٢. والعظمة في اليوم الثاني
٣. والمعرفة والعلم في اليوم الثالث،
٤. أما اليوم الرابع فانبثقت واحدة من صفاته ألا وهي الحق،
٥. وفي اليوم الخامس تفجرت المياه الجارية.

البروناي هي سر من أسرار هيي قدمايي ومنها خلق الزمن والسنة المتكونة من ٣٦٥ يوماً وكذلك خلقت عوالم النور (مكان الرب) من تلك المياه، فهي أيام طاهرة زكية لا تعد من الأيام ولا تدخل في عداد الزمن لأنها أسمى من أن تكون زمناً يعد، إنها خمسة أيام كأنها يوم واحد لا يشطره ليل، ،لا ظلام فيه . ليس للشر والشيطان حصة فيها، إنها أيام الرب .. خير في خير، صفاء في صفاء. فيها يصطبغ المندائيون ويجددوا صبغتهم وينحروا ذبائحهم من أجل أن يقيموا اللياقة لموتاهم وفيها أيضاً تكرس المنادي **(بيث مندي)** وتقام الملابس الطاهرة للموتى (طرطبوني طابي دخيي)(القماشي) ويسمى اليوم الأخير يوم التذكير .

أداء المندائي في الأيام الخمسة البيضاء (البرونايا)

- **الصباغة أو التعميد** بالمياه الجارية النظيفة على يد أحد رجال ديننا.
- عمل طقس (اللوفاني) على أرواح (نشماثا) أحبابنا وأهلنا وأسلافنا الذين غادروا اجسادهم .. لتذكارهم ونبقى على اتصال معهم في عوالمهم، ولكي نهبهم المحبة والراحة.
- **الطماشا (الاغتسال الصغير)** مع بداية كل يوم .. مع قراءة البوثة الخاصة.
- **البراخا والرشاما** .. وهي من الضروريات القصوى والمفيدة والمطلوبة في هذه الأيام .. وتكون الصلوات والأدعية في كل يوم وفي أي وقت .. لأن الدعاء في هذه الأيام مستجاب إذا كان من قلب نقي وطيب.

· **إعطاء صدقة مناسبة** (زدقا) في هذه الأيام كأن تكون مبلغاً مالياً، حاجة معينة، مساعدة، تطبيباً مجانياً .. إلى آخره.

· كل انسان في قلبه ظغينة أو مشكلة مع أحد أهله أو أصدقائه فليتخلص منها ويحل مشكلته مع الآخرين ويزيل الغضب والبغضاء من قلبه، وليتجه لدخول هذه الأيام بكل فرح وسعادة وإيمان عميق بذاته والحياة بأسرها.

· عدم أكل **اللحوم** الغير مذبوحة على الطريقة المندائية في هذه الأيام بالذات .. ويفضل أكل الأسماك.

· **نطق البشملة** على كل شيء يؤكل وهي (اشما اد هيي واشما اد مندا اد هيي مدخر الخ – اسم الحياة واسم مندا اد هيي مذكور عليك).

· إشعال **بخور** ذي رائحة طيبة وشموع في هذه الأيام.

· **زيارات** بين الطائفة جميعاً، للتهاني والمباركة.

يقول النص المندائي: ((**طوبى لمن سمع وآمن بك يا حي .. وتخلص من أذى هذا العالم**)) كنزا ربا.

مناسبة العيد الصغير

دهوا هنينا(العيد الصغير): يوافق هذا العيد ١٨ آيار مندائي الموافق ٦ تشرين الثاني وفي هذا اليوم عرج الملاك هيبل زيوا إلى السماء بعد أن جبلت الأرض على يديه وتفجرت المياه الجارية فيها وخلق جميع الكائنات الحية بأمر الحي الأزلي وبصعوده ابتهجت عوالم النور والملائكة. وهذا نص يوضح هذه المناسبة :

((مبارك سبحانك ملك الأنوار العالي هذا اليوم وإلى أبد الآبدين، بكلماتك خلق ونودي أرسل أثيري اسمه جبريل الرسول وأمرناه، اذهب واحسر الظلام وبسر منا جبلت وصلبت الأرض ونجدت رقعة السماء وسيرت بجوفها الكواكب، أوهب الشمس نوراً والقمر تقناً والكواكب كلها لمعاناً، هب المياه بسمة والنار أسواً، وأنبت الأشجار والأعناب واجعلها مزدهرة في ذلك العالم،أوجد الحيوانات والدواب والطيور الجميلة وكل أصنافها ذكراً وأنثى أعطِ ماء الحياة واجعل الماء يروي العالم كله وهب رياحاً أربعة ونسيماً تتنسمه الدنيا)).

اليوم المقدس في المندائية

إن اليوم المقدس في المندائية، هو يوم الأحد ويسمى مندائياً (هبشبا) وهو اليوم الأول من الأسبوع، والملاك القائم على هذا اليوم والمسمى باسمه (ملكا اد هبشبا) هو الذي يقود الأنفس في عروجها إلى ملكوت الحي (بيت هيي) .. وتعني كلمة هبشبا، من هاب (واهب) شبا (التسبيح) أي واهب التسبيح أو التسبيح الأول.

شروط رجعة المرتد عن المندائية

إن ترك الديانة المندائية والكفر بها، خطيئة كبرى يحاسب مرتكبها في حياته المؤقتة على هذه الأرض وحياته الدائمة في الآخرة بعد وفاته، بأشد العقوبات، وأهمها وأشدها حرمانه من عظمة الحياة بالنور والبهجة ورؤية الملكوت .. ولكن الحي العظيم (هيي ربي) مسبح اسمه رحيم غفور لعباده ومحب لأبنائه .. فلذلك قبلت تعاليم الديانة المندائية رجوع المرء إلى المندائية بعد تركه لها، بشروط أهمها:

- أن لا يكون مختتن (مكزور).
- إعلان توبته وندامته.
- تناول المعمودية المندائية (الصباغة، المصبتا).

وتتطبق هذه الشروط على المرأة أيضاً.

الواجبات التي يؤديها ذوو متوفى

هنالك الكثير من العادات الاجتماعية التي يزاولها المندائيون متأثرين بها من البيئة القاسية التي كانوا يعيشون بها .. إن هذه العادات أو التصرفات لا تمت بصلة إلى جوهر التعاليم المندائية، وإلى ما تبغيه المندائية من أبنائها في مثل هذه الظروف التي يتعرضون لها، ومنها حالة الوفاة.

تنهى التعاليم المندائية عن اللطم والعويل والنواح وأذية الجسد وتمزيق الملابس ولبس السواد على الميت .. لأن هذه الأفعال سوف تؤذي روح المتوفى في عروجها إلى الباري سبحانه وتعالى، بالإضافة إلى أن هذه التصرفات ليست مفيدة لروح المتوفى ..

وإنما تؤيد التعاليم المندائية من يفرق الصدقات على المحتاجين في سبيل روح المتوفى، ومن يقرأ الصلوات والأدعية والتراتيل في سبيل راحة روحه .. وكذلك لبس البياض من الملابس وعمل اللوفاني في سبيل اتحاد روحه بعالم الأنوار ووهبه الرحمة والمغفرة لخطاياه وخطايا سلالة الحياة الحية.

المندائية دين

المندائية ليست طائفة وانما هي تعتبر نفسها ديناً مستقلاً بذاته له أركانه التي يستند عليها .. وبما أن المندائيين قليلو العدد أطلقت كلمة طائفة عليهم، والأصح في التسمية أقلية دينية.

ذكر الصابئة في القران الكريم

لقد ورد ذكر الصابئة وبصورة مستقلة في القران الكريم وفي الآيات الآتية: الآية ٦٢ من السورة الثانية (سورة البقرة) ورد:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

وفي الآية ٦٩ من السورة الخامسة (سورة المائدة) ورد:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

وفي الآية ١٦ من السورة ٢٢ (سورة الحج) ورد :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

ومثلما هو واضح، أن القران وضعهم بصورة مستقلة عن اليهود والنصارى واعتبرهم من أهل الكتاب، ومساوياً بينهم وبين اليهود والنصارى والمسلمين أنفسهم

.. ومما هو معروف عند المتبحرين بعلوم الشريعة والفقه الإسلامي بان الأمام أبو حنيفة النعمان قد أفتى بأخذ الجزية من صابئة العراق على هذا الأساس، ووافقه على ذلك الإمام أبو يوسف .. وكذلك ذهب السيد الخوئي إلى كونهم من أهل الكتاب.

آية الله علي خامنئي مرشد المسلمين الشيعة يقول في بحث له عن الصابئة، قال: ((وعلى هذا، فالتمسك بدعوى الصابئة في بيان عقائدهم وما ينتحلونه من المعارف والأحكام أمر عقلاني موافق لبناء العقلاء في أمثال ذلك. فلو فرض انهم يدعون الإيمان بالله واليوم الآخر والاتباع لنبي من أنبياء الله المعروفين لدينا والعمل بكتاب من الكتب السماوية التي يفرض نزولها من عند الله، فمقتضى القاعدة العقلانية التي لم يردع عنها الشارع هو الأخذ بكلامهم بغير تطرق وسوسة وريب في ذلك)).

معتقدات المندائية

البكارة: تقوم والدة الكنزبرا أو زوجته بفحص كل فتاة عذراء بعد تعميدها وقبل تسليمها لعريسها وذلك بغية التأكد من سلامة بكارتها.

الخطيئة: إذا وقعت الفتاة أو المرأة في جريمة الزنى فإنها لا تقتل، بل تهجر، وبإمكانها أن تكفر عن خطيئتها بالارتماس في الماء الجاري.

الطلاق: لا يعترف دينهم بالطلاق إلا إذا كانت هناك انحرافات أخلاقية خطيرة فيتمّ التفريق عن طريق الكنزبرا.

السنة المندائية: ٣٦٠ يوماً، في ١٢ شهراً، وفي كل شهر ثلاثون يوماً مع خمسة أيام كبيسة يقام فيها **عيد البنجة**.

يعتقدون بصحة **التاريخ الهجري** ويستعملونه، وذلك بسبب اختلاطهم بالمسلمين، ولأن ظهور النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان مذكوراً في الكتب المقدسة الموجودة لديهم.

يعظمون يوم الأحد ولا يعملون فيه أي شيء على الإطلاق.

ينفرون من اللون الأزرق النيلي ولا يلامسونه مطلقاً.

ليس للرجل غير المتزوج من جنة لا في الدنيا ولا في الآخرة.

يتنبؤون بحوادث المستقبل عن طريق التأمل في السماء والنجوم وبعض الحسابات الفلكية.

لكل مناسبة دينية ألبسة خاصة بها، ولكل مرتبة دينية لباس خاص بها يميزها عن غيرها.

تنص عقيدتهم على أن يكون الميراث محصوراً في الابن الأكبر، لكنهم لمجاورتهم المسلمين فقد أخذوا بقانون المواريث الإسلامي.

الملائكة تسبح بحمد الله

والعقيدة المندائية تؤمن بوجود عدد لايحصى من الملائكة الصالحين يقطنون العوالم النورانية ويحيطون بالإله السامي. يسبحون ربهم ويأتمرون بأمره، ولهذه الكائنات النورانية شأن كبير ومنزلة عالية لدى المندائيين تأتي من خلال المكانة السامية التي منحهم إياها الحي العظيم والتي تجسدت بالواجبات والمهام الجسام التي يكلفهم بها الحي العظيم في الخلق وإدارة شؤون الكون ومن أرفع وأقدس الملائكة لدى المندائيين هم:

١. **الملاك المقدس ماري**.
٢. والملاك المقدس **مندادهي**.
٣. والملاك المقدس **هيبلزيوا**.
٤. والملاك المقدس **اباثر**.
٥. والملاك المقدس **بثاهيل**.

وجود عالمين

العقيدة المندائية وكما في الإسلام تؤمن بوجود عالمين،

١. عالم مادي وهو الحياة التي نعيشها.
٢. وعالم آخر وهو المأوى الأخير والأبدي للروح أو النفس البشرية بعد الممات.

فإما أن تكون نفساً زكية طاهرة فيكون مأواها عالماً تستوطنه النفوس الطيبة المطمئنة ويسمى عالم الأنوار، أو أنها تذهب إلى الجحيم حيث مقطن النفوس الشريرة مرتكبة الذنوب والآثام ويسمى عالم الظلام .

ويحدثنا الكتاب المقدس (كنزا ربا) بإسهاب عن رحلة عجيبة تسلكها النفس البشرية وبأسلوب يبعث الرهبة والخشوع في نفوس القارئين لما فيه من وصف دقيق ومجل لرحلة قاسية وصعبة تمر بها الروح بمسالك خطرة ووعرة قبل وصولها إلى يوم الحساب، ويعتقد المندائيون أن الفترة الزمنية التي تستغرقها هذه الرحلة هي ٤٥ يوماً، يتم خلالها إجراء الشعائر والطقوس المأتمية الخاصة التي تطلب فيها الرحمة والغفران للنفس العائدة، وعلى العكس تماماً فإنه لايسمح بالبكاء والعويل واللطم على الميت، فهذه الأمور تعتبر من المحرمات في العقيدة المندائية، والمحرمات صفة تتطابق فيها جميع الأديان لحفظ التوازن الإيدولوجي والخصوصية لدى الفئات المنضوية تحت الدين الواحد،

المحرمات المندائية المعادلة لمحرمات المسلمين :

- التجذيف باسم الخالق أي الكفر.
- القتل.
- الزنى.
- السرقة.
- الكذب.
- شهادة الزور.
- خيانة الامانة والعهد.
- عبادة الشهوات.
- الشعوذة والسحر.
- الربا.
- أكل الدم والميت والطيرالجارح والكاسر.

تكوين الخلق والانبياء

يخبرنا الكتاب المقدس عن مراحل التكوين والخلق والتي حدثت عن طريق سلسلة من الانبثاقات وهي:

- تولدت الحياة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة.
- وهذه الاخيرة أسفرت عن تكثيف الأرض وصنع جسد سيدنا آدم (ع) وإنزال الروح فيه من قبل الخالق.
- يأتيه أرفع الملائكة مقاماً وهو الملاك (هيبلزيوا) ليكشف له أسرار الكون ويعلمه الحروف والأسماء ليساعده على كسب المعرفة والحصول على طريق الخلاص الأخير الذي يتجسد في عودة الروح ثانيتا إلى خالقها بعد تحررها من قيودها في الجسد البشري.
- لذلك يعتبر سيدنا آدم (ع) أول المرسلين على الارض ويعتبره المندائيون أول الأنبياء وعلى رأس السلالة البشرية.
- وقد امره ربه أن يعلم ذريته من بعده التعاليم السماوية.
- وبوحي من الخالق تعاقب الأنبياء والرسل بعد سيدنا آدم فجاء النبي شيتل والذي يسمى النبي شيت ثم نوح ثم سام بن نوح ثم إبراهيم الخليل، وآخر انبيائهم هو النبي يحيى (يهيا يهانة) أو يوحنا المعمدان أو مايسمى بالعربية يحيى بن زكريا (ع).
- وليحيى لدى المندائيين مكانة عالية جداً حيث كان بطلهم التاريخي ومعلمهم المصلح ولو أنه لم يأت بهذا الدين كما هو الاعتقاد الخاطيء والسائد لدى الكثير، إلا أنه جاء بتعاليم جديدة لإصلاح النفوس البشرية بعد أن تفشى فيها الانحلال والفساد لذلك كانوا يسمونه النبي المصلح أو نبي الحق، وبعكس القصة المعجزة في ولادة النبي يحيى والتي هي معروفة لدى كافة الأديان، فإن قصة مماته يكتنفها الكثير من الغموض، أما صلة القرابة التي تربط النبيين يحيى و عيسى فإنها تأتي من خلال صلة القرابة التي تربط أميهما، فأم يحيى (أليصابات) هي خالة مريم، أما هما فالاثنان في نفس العمر تقريباً، وكان ظهورهما في نفس الحقبة من الزمن، ماعدا أن يحيى كان ظاهر النبوة ويمارس طقوسه الدينية قبل عيسى

بكثير، وقد انتشرت المسيحية عند الصابئة بالرغم من ظهور يحيى كنبي معروف ويمارس طقوسه علناً، وسبب ذلك غير معروف بل ويكتنفه الكثير من الغموض.

معنى كلمة صابئي مندائي

إن كلمة صابئة جاءت من جذر الكلمة الآرامي المندائي (صبا) أي بمعنى (تعمد، اصطبغ، غط، غطس) وهي تطابق أهم شعيرة دينية لديهم وهو طقس (المصبتا – الصباغة – التعميد) فلذلك نرى أن كلمة صابئي تعني (المصطبغ أو المتعمد)..

أما كلمة مندائي فهي آتية من جذر الكلمة الآرامي المندائي (مندا) بمعنى المعرفة أو العلم، وبالتالي تعني المندائي (العارف أو العالم بوجود الخالق الأوحد الأزلي).

وإن اللغويين العرب يرجعون كلمة الصابئة إلى جذر الفعل العربي (صبأ) المهموز، وتعني خرج وغير حالته، وصار خلاف حاد حول أصل الكلمة أهو عربي من صبأ أم آرامي من صبا!!.. وأعتقد أن صبأ يمكن ان تعطي معنى كلمة الصابئي أيضاً، أي الذي خرج من دين الضلالة واتحد بدين الحق، فمن الممكن جداً أن هذه الكلمة كانت تعبر عن فترة من التاريخ عندما كان الناس يتركون (يصبؤون) عن ديانتهم ويدخلون الدين المندائي الموحد، أو الذين دعوا بالأحناف. وبما أن المندائيين ولغتهم ليسوا عرباً فأخذ العرب هذه التسمية لتكون صفة مميزة لهم وخاصة قبل الإسلام، أضف إلى ذلك أن هذه التسمية قديمة ولها أصولها في اللغة العربية. ومن الجدير بالذكر بأن حتى النبي محمد (ص) وأتباعه دُعوا بالصباة، عندما جهروا بدعوتهم لأول مرة في مكة ودَعوا إلى الإله الواحد الأحد، فدعاهم مشركو مكة بالصابئة .. على العموم اتفق أغلبية الباحثين والمستشرقين على أن كلمة صابي أو صابئي جاءت من الجذر الآرامي وليس العربي للكلمة أي الصابغة أو المتعمدين أو السابحة . والأخيرة اقترحها عباس محمود العقاد، في كتابه (إبراهيم أبو الأنبياء)، جعل سببها كثرة الاغتسال في شعائرهم (أي الصابئة المندائيين) وملازمتهم شواطئ

الأنهار من أجل ذلك. وذهب المستشرق نولدكه إلى أن كلمة صابئة مشتقة من صب الماء، إشارة إلى اعتمادهم بالماء (صباغتهم بالماء).

مناطق تواجد الصابئة

إن موطن الطائفة هو العراق أو لنكون دقيقين أكثر (بلاد ما بين النهرين)، ويسميهم العراقيون الجنوبيون بالعامية «الصبَّة»، ويعيشون على ضفاف النهرين الرئيسيين في العراق (دجلة والفرات)، وهم جزء من سكان العراق الأوائل عبر تاريخه الحضاري. ويشكلون قلة دينية في المجتمع العراقي ذي الغالبية المسلمة، ومازالت تمارس هذه الطائفة طقوسها وديانتها إلى الآن. لقد ذكر في كتب المؤرخين العرب القدماء بأن الصابئة كانوا يسكنون بطائح العراق، وفي أماكن أخرى غير بلاد وادي الرافدين منها حران وفلسطين والشام.

وهم عموماً يسكنون على ضفاف الأنهار لما للماء والطهارة من أهمية في حياتهم الدينية والروحية .. وعند الفتح الإسلامي وإقامة الدولة الإسلامية كان الصابئة وبأعداد كبيرة في بطائح العراق، في المناطق السفلى لنهري دجلة والفرات بالذات، وفي بطائح عربستان من إيران حول نهر (كارون). وهم أول الأقوام الذين قابلهم الفاتحون المسلمون الأوائل لبلاد وادي الرافدين، عندما توغلوا جنوباً. ولقد عرض أحد قادة الطائفة الروحيين، كتابهم المقدس على القائد الإسلامي الفاتح، وقد أقرهم بدينهم بشرط دفعهم جزية أهل الكتاب.

أما الآن فمركز الطائفة هو مدينة بغداد إضافة إلى تواجدهم في أغلبية المحافظات العراقية مثل العمارة والبصرة والناصرية والكوت وديالى والديوانية إضافة إلى تواجدهم في مدينة الأهواز والمحمرة في إيران.

وبالأحداث السياسية والاقتصادية التي المت بالمنطقة في الخمس عشرة سنة الأخيرة، اضطر الصابئة المندائيون للهجرة إلى البلاد الأوربية وأمريكا وكندا وأستراليا، ولقد شكلوا بتجمعاتهم الجديدة جمعيات تعنى بشؤونهم ويحاولون جاهدين إلى الآن، المحافظة على تراثهم العريق وهويتهم الأصيلة. ويبلغ تعدادهم الآن تقريبا ١٠٠ ألف نسمة في العالم .. الأغلبية في العراق.

أهم النقاط في التاريخ المندائي

إن تاريخ الصابئة المندائية يلفه الغموض من أغلب جوانبه، وهذا باعتراف الكثير من الباحثين في المجال المندائي. يرجع السبب إلى انزوائهم وانغلاقهم الديني الشديد ومنذ فترات طويلة، وذلك بسبب الاضطهاد الكبير الذي تعرضوا له على فترات متعاقبة فآثروا الانزواء والانغلاق للمحافظة على دينهم وتراثهم. وأيضاً إلى ضياع وحرق الكثير من الكتب التي تتحدث عن تاريخهم وتراثهم. على العموم هم يرجعون دينهم إلى نبي الله آدم (ع) ويقولون بأن صحفه لازالت لديهم إلى الآن (وهي من ضمن كتابهم المقدس كنزا ربا – الكنز العظيم) .. وهذا الكلام يتفق تقريباً مع ما ورد عند المؤرخين والكتبة العرب القدماء، والذين يرجعون الصابئة إلى أصل قديم جداً .. فمنهم من يرجعهم إلى آدم أو إلى ابنه شيث أو شيتل كما يدعى بالمندائية!! .. فمثلاً يرجع ابن الوردي تاريخهم إلى النبي شيت بن آدم والنبي إدريس (هرمس) (ع). وفي كتاب الملل والنحل للشهرستاني يقر المؤلف بأن الصابئة يوحدون الله تعالى ويؤمنون بتلقي المعرفة العليا بواسطة الروحانيات.

وإن الباحثين في القرن الماضي انقسموا في أصل الصابئة المندائيين إلى قسمين: فمنهم من يرجح الأصل الشرقي للمندائيين (أي من بلاد وادي الرافدين) ومنهم من يرجح الأصل الغربي (أي من فلسطين) .. ويبقى الأصل الشرقي للمندائية، الرأي الأكثر ميولاً له من قبل الباحثين.

ومتفق عند الباحثين الآن بأن المندائية كانت منتشرة في بلاد وادي الرافدين وأيضاً فلسطين قبل المسيحية، أي قبل أكثر من ٢٠٠٠ عام.

وللطائفة كتاب تاريخي يسمى (حران كويثا – حران الداخلية أو الجوانية)، يتحدث هذا الكتاب عن الهجرة التي قام بها المندائيون الفلسطينيون من فلسطين- أورشليم (على الأكثر حصلت في القرن الأول الميلادي عند اجتياح القائد الروماني تيطس فلسطين وتدمير هيكل اليهود سنة ٧٠ م) بعد الاضهاد الذي حصل لهم من السلطة الدينية اليهودية والسلطة الزمنية المتمثلة بالحكم الروماني المستعمر لفلسطين آنذاك. وصعد المندائيون الفلسطينيون المهاجرون إلى أعلى بلاد الشام

وخاصة إلى (حران)، لأن لهم اخوة في الدين. فبقي منهم في حران، والبقية الباقية آثرت النزول إلى وادي الرافدين عن طريق النهرين، وخاصة عن طريق نهر الفرات حسب اعتقادي، ومروا أيضاً بـ(بصرى – حوران) عاصمة الأنباط، للالتقاء والاستقرار أخيراً مع إخوتهم أيضاً الصابئة الموجودين في البطائح .. وكانت هذه الهجرة تحت رعاية الملك أردوان (يعتقد بأنه الملك البارثي أرطبانوس الثالث)،هذا ما ذكره الكتاب المندائي التاريخي (حران كويثا).

الكشف عن الصابئة

وفي منتصف القرن السابع عشر الميلادي عرفت هذه الطائفة لأول مرة في أوساط الباحثين في أوروبا وخاصة برع في مجال البحث أو الاهتمام بهذه الطائفة الباحثون الألمان. وقد قام الباحث الالماني البروفيسور **ليدزبارسكي** بترجمة الكتاب المقدس لهذه الطائفة. ولا ينكر جهود الباحثة والمستشرقة الإنكليزية **الليدي دراور** (E.S. DROWER) في إزاحة الكثير من الغموض عن معتقدات هذه الطائفة وتاريخها وتراثها الديني. وللعلم أن هذه الباحثة قد عاشت في جنوب العراق متنقلة ما بين المندائيين لدراسة ديانتهم وتراثهم، حوالي الربع قرن. واستطاعت أن تترجم أغلبية الكتب والمخطوطات المندائية إلى الإنكليزية.

أما الآن وخاصة في الربع الاخير من القرن الماضي برز من أبناء هذه الطائفة الكثير من رجال الدين المثقفين والباحثين والمهتمين، في إزالة غبار الزمن عن معتقداتهم وتاريخهم ولتعريف المجتمعات الأخرى بهذه الديانة، واستطاعوا أن يؤسسوا المجالس التي تسير أمورهم الإدارية والدينية، وأيضاً المراكز الثقافية والدراسية والبحثية.. والآن المكتبات العربية لم تعد فقيرة من الكتب التي تهتم بدراسة أمر هذه الملة بكل علمية وجدية وحيادية.

الشعائر والطقوس

يتجه الصابئة المندائيون في صلاتهم وفي ممارسة الشعائر الدينية الأخرى نحو جهة الشمال وذلك لاعتقادهم أن عالم الانوار (الجنة)، الذي تعرج إليه النفوس

الصالحة في النهاية لتنعم بالخلود إلى جوار ربها ، يقع في هذا المكان المقدس من الكون، ويستدل على الشمال بالنجم القطبي جغرافياً.

ومن اهم الطقوس التي يمارسها المندائيون هو التعميد في الماء الجاري مما جعل أماكن عبادتهم تنشأ على ضفاف الأنهر ويسمى مكان التعبد بالمندي، ويعتقد الباحثون أن تسمية المندائيين بالصابئة قد أتت من الكلمة الآرامية (صبا) أي تعميد في الأنهر، وأحب أن أشير هنا إلى الخطأ الكبير الذي يقع فيه الكثير من خلال الخلط الخاطئ بين كلمة صبا وكلمة صبأ بالهمزة فالأولى تعني تعمد والثانية تعني خرج عن دينه، واللغة العربية غنية بالكلمات المتشابهة كتابة ولكنها مختلفة المعنى.

ومن الطقوس والشعائر الأخرى بالديانة الصابئية، الصوم بجزأيه الكبير والصغير، ويتجسدان في الامتناع عن نحر الحيوانات والامتناع عن تناول اللحوم في أيام معدودة من السنة وكذلك الامتناع عن كل مايشين علاقة المرء بربه، وتوصي الديانة المندائية بالصدقة (المادية والمعنوية) وتؤكد على الزواج وتحض الشباب عليه كونه من الأمور المستحسنة دينياً، أما فيما يتعلق بالنحر فإن الديانة المندائية تؤكد وتتشدد في ضرورة اتباع الطقوس الكاملة في نحر الحيوان باستخدام سكين حادة تنحر فيها رقبة الحيوان بعد قراءة التراتيل الخاصة والتي يطلب فيها الشخص الناحر من ربه الرحمة والغفران عمّا يقوم به من عمل.

الرموز المندائية



أهم رموز المندائيين هو درفش يحيى أحد رموز التعميد وهو عبارة عن قطعتين متقاطعتين من الخشب يغطيهما وشاح من القماش الأبيض، ونظراً لقدسية هذا الرمز فإنك تجد صوره معلقة على الجدران في دور العبادة وبيوت الصابئة .

الزي

لا يوجد لباس خاص يتميز به الفرد الصابئي، إلا أنهم يرتدون اللباس الديني الابيض خلال التعميد وممارسة الطقوس الدينية،

السنة المندائية

والسنة المندائية مكونة من ٣٦٥ **يوماً** وليس هناك سنة كبيسة، وللمندائيين أربعة أعياد في السنة وهي:العيد الكبير وهو رأس السنة المندائية، والعيد الصغير ويسمى عيد الازدهار بظهور الحياة على الأرض بأمر من الخالق السامي، والعيد الثالث هو عيد الخليقة والذي يحل علينا هذه الأيام ومدته خمسة أيام مباركة يحتفل فيها الصابئة بإتمام وإكمال عملية الخلق، وأخيراً عيد التعميد الذهبي، وفي كل من هذه الأعياد ترى المندائيين يقدسون هذه المناسبات الدينية ويعطونها الاهتمامات الخاصة دينياً واجتماعياً.





الانتشار

الصابئة المندائيون الحاليون ينتشرون على الضفاف السفلى من نهري دجلة والفرات، ويسكنون في منطقة الأهوار وشط العرب، ويكثرون في مدن العمارة والناصرية والبصرة وقلعة صالح والحلفاية والزكية وسوق الشيوخ والقرنة وهي موضع اقتران دجلة بالفرات، وهم موزعون على عدد من الألوية مثل لواء بغداد، والحلة، والديوانية والكوت وكركوك والموصل. كما يوجد أعداد مختلفة منهم في ناصرية المنتفق والشرش ونهر صالح والجبابيش والسليمانية.

كذلك ينتشرون في إيران، وتحديداً على ضفاف نهر الكارون والدز ويسكنون في مدن إيران الساحلية، كالمحمرة، وناصرية الأهواز وششتر ودزبول.

تهدمت معابدهم في العراق، ولم يبق لهم إلا معبدان في **قلعة صالح**، وقد بنوا معبداً مندياً بجوار المصافي في بغداد، وذلك لكثرة الصابئين النازحين إلى هناك من أجل العمل.

المهن

يعمل معظمهم في **صياغة معدن الفضة** لتزيين الحلي والأواني والساعات وتكاد هذه الصناعة تنحصر فيهم لأنهم يحرصون على حفظ أسرارهما كما يجيدون صناعة القوارب الخشبية والحدادة وصناعة الخناجر. وتقول مراجع أخرى بأنهم أكبر وأهم الصياغ والمتاجرين بالذهب في العراق.

مهاراتهم في صياغة الفضة دفعتهم إلى الرحيل للعمل في بيروت ودمشق والإسكندرية ووصل بعضهم إلى إيطاليا وفرنسا وأمريكا.

ليس لديهم أي طموح سياسي، رغم أن عدداً قليلاً منهم كان ينتمي إلى الحزب الشيوعي العراقي. وتتجلى أهم مساعيهم اليوم في الحفاظ على أبناء الجماعة، ولمّ الشمل ونشر فكر العقيدة في صفوفهم. وثمّة محاولات ضعيفة لإحياء اللغة الدينية القديمة والحفاظ عليها من الاندثار.

الشيطان

يمكن أن تقسم الأديان إلى قسمين رئيسيين و ذلك حسب الوظيفة التي يشغلها الشيطان فيها أو حسب مفهومها للشر والغاية من وجوده ممثلاً بالشيطان كقوة روحية معبرة عنه (لا يعني هذا التقسيم بين أديان موحدة وأخرى غير موحدة إنما هو تقسيم مبني فقط على وظيفة الشيطان فيها ليس إلا)، وعليه فإن الأديان التي تنظر إلى الشيطان كقوة ذات طبيعة شريرة نابعة من تكوينها والشر مرتبط بوجودها ومعبر عن كيانها التركيبي و بأن فعلها للشر إنماهو تعبير عن هذه الطبيعة التي جبلت عليها ونرى ذلك واضحاً في الأديان القديمة.

إن أي باحث في الأديان القديمة ستصيبه الحيرة و الإرباك و هو يحاول البحث عن شخصية معينة واحدة أو عن الشخصية الشريرة المميزة التي يمكن مقارنتها بالشيطان كما هو معروف في باقي الأديان الحديثة، إذ أن هناك عدداً كبيراً جداً من تلك الكائنات الشريرة الظلامية والتي تتبوأ مكانة كبيرة في عالمها الظلامي ولها قدرة غير إعتيادية على فعل الشر و ذلك واضح من خلال أسماء العديد منها في تلك الأديان مثلما نرى في المندائية :

أطرفان (يضرب بقوة، يؤذي).

أماميت (معتم مظلم).

كرفيون (الملتهم).

نمروس (الماردة، الساحقة، الهارسة).

أور (قائد جيوش الظلام، المارد، التنين).

الروهة

الشخصية الرئيسية التي تلفت الانتباه من بين تلك الكائنات الشيطانية القديمة هي **الروهة** (روح الشر) و التي هي أم الشيطان و الكواكب السبعة والعلامات الزودياكية (البروج الإثني عشر) وأم كل الكائنات الشيطانية في مملكة الكون، إن هذه المكانة الكبيرة للروهة تتعاظم لدينا إذاما علمنا أن ولادة ملك الظلام

كانت من قبل الروهة وكذلك سيد الظلام (أور) هو ابن لها و يسمى كاف– قن– كرون. إن تعدد الكائنات الشريرة وصعوبة تحديد من يقف على قمة عالم الشر نراها كذلك في ديانة مابين النهرين حيث تقسم الشياطين إلى ثلاثة أنواع وذلك حسب الأصول التي تنحدر منها ،

فالصنف الأول هو (**ذرية الإله العظيم آنو**) و يقصد بهم المنحدرون من أصل سماوي ،

والصنف الثاني من أصل بشري و هم **أشباح الموتى**،

أما الصنف الثالث فينحدرون في أصلهم من **العالم الأسفل** و كانوا حشداً غفيراً من مختلف الأنواع ولهم القدرة على إلحاق الأذى بأرواح الموتى الموجودة في العالم الأسفل وبكل المخلوقات على الأرض، كما تشير إلى ذلك إحدى التعاويذ المندائية:

(عبر الأسوار العالية السميكة، يمرون كالطوفان

يمرقون من بيت إلى بيت

لا يمنعهم باب و لا يصدهم مزلاج

فهم ينسلون عبر الباب كانسلال الأفاعي

و يمرقون من فتحته كالريح

ينتزعون الزوجة من حضن زوجها

و يخطفون الطفل من على ركبتي أبيه

و يأخذون الرجل من بين أسرته)

بل وصل الأمر إلى أن يكون لهذه الكائنات الشيطانية نوع من التخصص في عمل الشر وإيذاء الآخرين :

(**أشاكو**) الذي يتغلغل في أجسام الناس يسبب الصداع.

(**رابيصو**) الذي يختفي أثناء النهار ويظهر في الليل يسبب أمراض الجلد.

(**لبرتو**) تسبب الكوابيس.

(**لباسو**) يسبب الصرع ...

إضافة إلى أن أشكالهم تتميز بالقبح والشذوذ كما تشير إلى ذلك إحدى التعاويذ المندائية :

(إنهم ليسوا ذكوراً و لا إناثاً
إنهم الرياح المهلكة
لا يعرفون شفقة و لا رحمة
إنهم الشر و كل الشر)

ومع ذلك فإن كل الكائنات الشريرة الموجودة في حضارة ما بين النهرين وما تمثله من شر قد جمعت في شخصية واحدة تعتبر للعراقي القديم مصدراً وأساساً لكل البلايا التي تصيب البشر بل و حتى الآلهة دونما تمييز، وهي شخصية **الربة تياميت** التي تعاظم شرها وازداد بلاؤها ليصيب الأرباب أنفسهم مما حدا بهم أن ينتدبوا الإله الشاب مردوخ لمقاتلتها والقضاء عليها.

عالم النور في الديانة المندائية يرسل عدداً من الأثري (منداد هيي – هيبل زيوا) في رحلات إلى عالم الظلام لسحقه و قمع قواه الشريرة، كذلك في البابلية عندما تبعث الأرباب بالإله الشاب مردوخ لمقاتلة الربة تياميت والقضاء عليها وهذا ما تم فعلاً عندما استطاع هزيمتها وتقديم قائد جيوشها كنكو إلى الآلهة ليحكموا عليه بالموت وليخلقوا من دمه الإنسان،

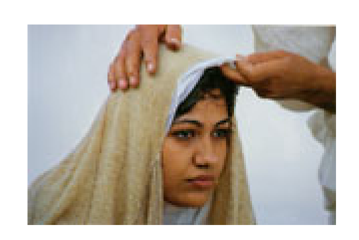
عالم النور في المندائية هو الذي يرسل الأثريين لمقارعة عوالم الظلام وكائناته وليس في يد الكائنات الشريرة إلا القتال و الدفاع عن نفسها من هذا الخطر المحدق بها دون أن تستطيع أن تتخذ فعل المبادرة كما هو الحال في الجانب الآخر، وقد بدا ذلك واضحاً عندما رغب ملك الظلام أن يعلن الحرب على ملك النور و العوالم الأخرى :

(.. سأصعد على تلك الأرض المشعة و أعلن الحرب على ملكها، سأنتزع منه تاجه و أضعه على رأسي، و سأكون ملك الأعالي و الأعماق)

إلا أنه يعجز عن ذلك تماماً ويكتفي بالصراخ والزئير دون فعل حقيقي يذكر .

ما زال المندائيون يستعملون **السكندولة** كوسيلة من وسائل الحماية ضد الكائنات الظلامية الشريرة مع ما تحمله السكندولة من رموز عالم الظلام نفسه.





الأعياد السبعة

هناك سبعة أعياد يحتفل بها الصابئة المندائيون:

١. دهوا ربا أو ألعيد ألكبير.

٢. عيد شوشيان

٣. دهوا حونينا أو ألعيد ألصغير .

٤. بروانا أو عيد ألبنجة .

٥. دهوا ديمانه . يوم ميلاد سيدنا يحيى .

٦. عيد الفل .مناسبة سنوية وليست عيداً دينياً.

٧. العاشورية .مناسبة سنوية وليست عيداً مندائياً.

١- دهوا ربا أو العيد الكبير:

يكون عيد المندائيين [رأس السنة المندائية الجديدة] والذي سمي أيضاً بداية البناء في الأول من شهر شباط [دولا] المندائي. ورد ذلك في أحد كتبنا الدينية المقدسة الذي هو [ألف وتريسار شيالي]. وقد صادف هذا العيد في [٢٣] تموز (١٩٩٩) لأنه يزحف باتجاه الشتاء بمقدار ربع يوم تقريبا مقارنة بالسنة الميلادية. فيه يحتفل المندائيون بمناسبة خلق (مانا ربا) نفسه بنفسه. لقد ورد نص في نفس المصدر يقول: "الفترة التي خلق بها مانا ربا الجبار نفسه، وهذا يوم عظيم وجيد الذي فيه العوالم والأجيال "انتظروه . لذلك فإن المندائيين يمكثون في بيوتهم طيلة فترة يوم ونصف اليوم بالضبط أي [٣٦] ساعة، حيث نقرأ النص الآتي من نفس المصدر: "كل من يسيطر على نفسه [يكرص] لفترة الـ [٣٦] ساعة والتي هي ليلتين ويوم سيعود لي،

سيكون لي، أنا أبا الأثيريين". قبل يومين من العيد الكبير يبدأ أغلب المندائيين عادة بتنظيف بيوتهم وحاجياتهم وقبل العيد بيوم واحد أي في يوم الكنشي وزهلي "النظافة والاجتماع" يذهب بعض المندائيين مبكرين إلى النهر للقاء رجال الدين لغرض أن يصطبغوا، حيث ورد نص في كتابنا المشار إليه أعلاه يقول: "أي شخص لم يصطبغ في الكنشي وزهلي سيصبح من حصة النار وسيضرب ستين ضربة، لكن كل من يصطبغ في ذلك اليوم، ستحسب له ستون صباغة." بعد الصباغة يبدأ المندائيين بملء الماء من النهر، وبتحضير الوجبة الطقسية "النظيفة" ووضعها في [الطريانة] التي توضع عند النافذة المقابلة لقبلة المندائيين "الشمال"، وقديماً كانت توضع وجبة "غير نظيفة"خارجاً .

يعتقد المندائيون، بأن مانا ربا قد خلق نفسه بنفسه في هذا اليوم، لذلك فإن ملائكة النور الموجودين في الأرض يصعدون لتقديم التهنئة والولاء له في هذه المناسبة مما يعني بأن الأرض ستبقى خالية بدونهم. إن رحلتهم تستغرق(١٢) ساعة صعوداً و[١٢] ساعة نزولاً عند عودتهم إلى الأرض و(١٢) ساعة يمكثون بقربه. تبدأ هذه المناسبة من الساعة السادسة من مساء يوم الكنشي وزهلي أي أن ذلك هو وقت صعود ملائكة النور، وليس عند نجمة المساء كما يعتقد البعض. والسبب في ذلك هو أن رأس السنة يصادف في شهر شباط عند ظهور التقويم المندائي لأول مرة في بلاد الرافدين، كان في فصل الشتاء والذي تظهر فيه هذه النجمة في حدود الساعة السادسة مساء. من ناحية أخرى فإن اليوم المندائي يبدأ من الساعة السادسة صباحاً لنفس السبب المذكور. إضافة إلى أن التقويم المندائي يقل بمقدار ربع يوم في السنة تقريباً عن السنة الميلادية لأن طول السنة المندائية هو [٣٦٥] يوماً. وإذا لم يكن الأمر كذلك فماذا سيقول المندائيون الذين يعيشون في أوربا عن ظهور النجمة في الساعة الحادية عشرة مساء وشروق الشمس في الساعة الرابعة صباحاً [٢٩] ساعة في شهر تموز، الشهر الذي يقع فيه العيد الكبير حالياً ؟ وهذا مخالف للنص الديني الذي يحدد الكرصة بـ(٣٦) ساعة يوم ونصف بالضبط .

سبب مكوث المندائيين في دورهم [٣٦ ساعة] هو غياب الملائكة الأثريين عن الأرض مما يجعلها غير محصنة ضد ملائكة قوى الظلام، ولهذا فهم يقومون بجلب

الماء من النهر قبل ذلك، لأنهم يعتقدون بأن الأنهار وقنواتها ستكون غير صالحة لأنها ستخضع لقوى الظلام في وقت الكرصة، كما يقومون بنحر الخراف والطيور ويجلبون المأكولات واللوازم الأخرى قبل الكرصة.

إن الكرصة توجب المندائيين بالطهارة القصوى وتجنب التلوث إلى أقصى حد طوال وقت الكرصة [٣٦ ساعة]. كان المندائيون سابقاً [وبعضهم لحد الآن] يتجنبون لمس أي شئ غير طاهر، حتى أطفالهم الذين لم يصطبغوا، أو من تعرض لنضح دم أو نجاسة وما إلى ذلك، ولهذا فهم يتناوبون الحراسة وهم في يقظة تامة طوال ليلتي الكرصة. وفي اليوم السادس من السنة المندائية الجديدة يذهب رجال الدين إلى النهر ويطمشون ويطرسون التاغا [التاج] وأكاليل عديدة من الآس أو الغرب ويقومون بتوزيعها على عامة المندائيين [وهذا واجب رجال الدين] ليعلقوها على أبواب منازلهم لتقيهم من الشر طوال السنة الجديدة.

٢- **عيد شيشان:** أو (ليلة القدر)، وهو يسمى أيضاً بعيد شيشلام. بعد صلاة الأكاليل تأتي ليلة القدر والتي تقع بين يومي السادس و السابع من السنة الجديدة، حيث يطمش (يستحم) المندائيون ويبقى المتدينون منهم ساهرين في بعض الأحيان حتى صباح اليوم السابع خاشعين ومبتهلين إلى الرب الحي سبحانه وبيته الموقر معتقدين بأن المؤمن الحقيقي أو الزاهد منهم سينال مطلبه في هذه الليلة.

يعتبر المندائيون يومي عيد شوشيان مبطلات ثقيلات. نقرأ في كتاب "ألف وتريسار شيالي": (لأن اليوم السادس من الشهر خلق فيه الأثري لم تنجح أعماله). الأيام الأربعة عشر الأولى من السنة مبطلات، والمندائي الذي يتوفى في أول يوم من السنة (في الكرصة) يجب أن تقام طقوس المسخثا (الارتقاء) على روحه من قبل ثمانية من رجال الدين، وتسمى (مسخثا سمندرئييل) . أي منتدى الصابئة.

٣- **العيد الصغير:** يوم واحد شرعاً، وقد يمتد لثلاثة أيام من أجل التزاور، ويكون بعد العيد الكبير بمائة وثمانية عشر يوماً.

٤- **عيد البنجة :** وهو خمسة أيام تكبس بها السنة، ويأتي بعد العيد الصغير بأربعة أشهر.

٥- عيد يحيى: يوم واحد من أقدس الأيام، يأتي بعد عيد البنجة بستين يوماً وفيه كانت ولادة النبي يحيى عليه السلام الذي يعتبرونه نبيًّا خاصاً بهم، والذي جاء ليعيد إلى دين آدم صفاءه بعد أن دخله الانحراف بسبب تقادم الزمان.

البنجة
عيد الخليقة المندائي

أي الأيام الخمسة الكبيسة البيضاء. وتعد لقدسيتها بمثابة يوم واحد أتم بها الخالق خلقه للكون والأرض والإنسان. هي أيام دائمة الأنوار والإشراق ولذلك يقيم فيها المندائيون عبادتهم وطقوسهم حتى في الليل ويفضل الورعون خلالها ارتداء الملابس البيضاء وتوخي النظافة التامة والزهد في المأكل والمشرب .أبواب الدعاء في هذه الأيام مفتوحة والطريق إلى عالم النور لا تقطعها روح شريرة فهي سالكة منيرة بقدرة الخالق. تصادف هذه الأيام في الشهر التاسع من السنة المندائية ولذلك فهي على المستوى الدنيوي تمثل اكتمال الجنين وعلى مستوى الطبيعة والفصول نضج المحصول والاستعداد للحصاد في الخريف.ويعود الاحتفال بهذا العيد في جذوره إلى مهرجانات الخصب والوفرة في العراق القديم، في سومر وبابل. هذا الطفل المندائي يدعو الحي الأزلي، ملك السلام، بالخير والسلام والفرج لشعبه العراقي، وكلنا وراء هذا الطفل نقف رافعين الدعاء لملك العدل والرحمة الذي لا يخذل أبداً محبيه.

البرونايا
أيام النور الخمسة

كتبت السيدة المندائية رمزية فندي:

الحمد لك ! مسبح ومبارك وممجد سبحانك أيها القوي الرب العظيم وملك النور العظيم الذي لا يخبو، الرؤوف الغفور، التواب، مخلص كل المؤمنين،ومقوم كل

الطيبين رب كل العوالم النور العليا والوسطى والدنيا، الذي لا يُرى ولا يُحد، لا شريك لك في تاجك، ولا شريك لك في سلطانك لاوجود لشئ قبلك، وما من شئ لولاك؛ لايدركك الموت ولا تهلك، نورك يضيء وبريقك يشع على جميع العوالم والأثري الذين يقفون أمامك مضاؤون بتألقك وبالنور العظيم الذي يشع منك....نورك وعظمتك ليس لها مقياس أو عدد أو حدود، أنت المليء بالنور والصفاء والحياة والعدل والحب والرحمة والغفران والفهم والإدراك والإلهام والمليء بأسماء العظمة. .. سبحانك ملك النور السامي، مبارك بجميع التبريكات من البدء وإلى أبد الآبدين، الأول منذ البدء، خالق جميع الظواهر، ومصمم الأشياء الجميلة، المحروس بحكمتك .....أنت النور الذي لا ظلام فيه، الصالح الذي لاشر فيه، الحكيم الذي لاهيجان ولا غضب فيه...تسكن في الشمال القاصي، أنت القوي الجميل البديعُ .... جميع الأثْري والملائكة والعوالم (الكائنات) يقفون هناك يمجدون ويسبحون باسمك أنت يا ملك النور العظيم . تنبعث منك خمس خصال جبارة وعظيمة . الأولى هي النور، الذي يشع على الكائنات النورانية، والثانية هي الأريج الذي يفوح بعطره عليهم، والثالثة عذوبة القول التي بها يسرون، والرابعة كلامك الذي به يبعثون، والخامسة جمال المحيا الذي من خلاله يتكاثرون . .. لا أحد من العوالم يعرف اسمك ؛ ملائكة النور يقفون هناك ويقول أحدهم للآخر (ما هو اسم هذا النور العظيم) ؟ فيقولون : ليس هناك اسم كاسمه ولا يوجد من يستطيع أن يعرف اسمه الحقيقي أو يدرك (طبيعته) ..... لا أب لك ولا مولود كائن قبلك ولا أخ يقاسمك الملكوت، ولاتوأم يشاركك الملكوت . لاتمتزج ولا تتجزأ ولا انفصام في موطنك .... مسبح الحي (كنزا ربّا الأيمن) هذه الاسطر الرائعة هي جزء من ترتيله مندائية لصفات الخالق العظيم (هيي ربي) الذي يفوق كل وصف .

والتي استحوذت بعظمتها الروحانية صفة (التوحيد) المبجل والاعتراف المطلق لوحدانية الخالق وقدرته ؛

وكأول حكمة ومعرفة إلهية كشفت عن ذاتها عندما تجلت صفات الخالق السامية في عالم النور، وسمي هذا الحدث الإلهي العظيم بـ (البرونايا) وهو الانطلاق الأول لشعاع نورحكمة الإله الواحد، لذا تعرف البرونايا- أو عيد الخليقة- هي خمسة

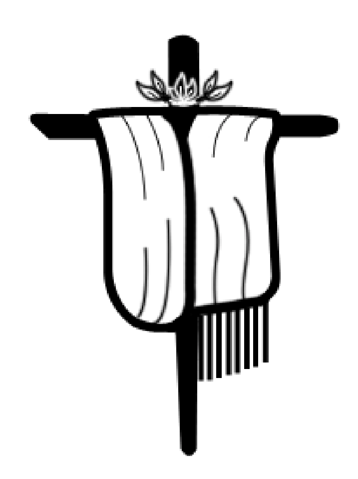
أيام من السنة مستقلة بذاتها وعظيمة بناموسها الأزلي الذي منه انطلقت نواميس تنظيم سيرورات العوالم والأكوان جميعاً.

من ناحية موعدها حسب التقويم المندائي فيكون بعد انتهاء شهر أيلول المندائي الذي يتوافق مع (ميصاي كيطا)ولايوجد توافق بوقوعها في وقت ثابت ومحدد من السنة الميلادية وذلك لكون الفارق هو ست ساعات سنويا بين التقويم المندائي والتقويم الميلادي ويطلق عليها اسم الخمسة البيضاء أو النورانية، والتي لاتحسب من الزمن لأنها أسمى وأنقى من الزمن المادي، لذا تتكون السنة المندائية من ٣٦٠ يوماً وتعد أيام البرونايا من أسعد أيام السنة على الإطلاق، فيها يقام أكبر عيد عمادي نهري، وفيها تفتح أبواب عالم الأنوار(آاما اد نهورا) ؛ حيث تفرح وتبتهج بها كائنات السماء والأرض بالنسبة للتفسير اللاهوتي الإلهي لهذه الأيام المقدسة، و حسب ما ذكر بالنصوص الدينية كتب الترميذا الحكيم خلدون ماجد ما يلي: هو بداية الخلق العلوي كما شاء الخالق العظيم، حيث تجلت في هذه الأيام المباركه صفاته السامية في عالم النور معلنة بداية الخلق العلوي الذي استوعب كل الأكوان دون تجسد مادي، ففي ديوان (ألف ترسر شيالة) أي ألف واثنا عشر سؤال جاء ضمن الأسئلة من١٧- ١٩ وصايا للخالق الجليل كما يلي ((هي الأيام الخمسة من مجموع الـ ٣٦٥ يوماً، تلك هي أيام التذكر العظيمة التي لا ظلمة فيها، ولا حكم للظلام ولا يوجد هناك ليل يشطرها)) ثم يستمر النص ((إن اليوم الأول هو لملك الملوك أبي العوالم (رب ايلايا) الرب العلي الذي بعث نفسه بنفسه (اد من نافشي افرش) أما اليوم الثاني فهو يوم (مارا اد ربوثا اليثا) أي رب العظمة السامي، أما اليوم الثالث فهو يوم (مندا اد هيي) أي ا لعارف - عالم الحياة، أما اليوم الرابع فتجلى بـ (دموث كشطا) مثال الحق من نفسه، أما اليوم الخامس والأخير من أيام النور المباركة (البرونايا) فهو - يوم الذكر - وزعت فيه الأنهر الجارية.

(وتكون الماء الجاري العظيم (يردنا) الذي لا حدود له، (وبقوة الحي العظيم) انبثقت منه مياه جارية ((يردني)) بلا نهاية ولا عدد) (كنزا ربّا الأيمن).

نرى من خلال هذه النصوص الربانية أن تلك الأيام الخمسة من أنقى وأطهر الأيام، كطهارة النفس نسبة للجسد وأسمى الأيام كسمو الرأس على الجسد.....

إنها رأس للثلاثمائة والستين يوماً الباقية .... حيث إن كل الأسرار تنبثق منها وإن الحي العظيم (هيي قدمايي) يفصح عن نفسه فيها وفي كل يوم بصفة أساسية سامية واسم يدل على ماهية تلك الصفة الجوهرية الخاصة بالخلق، وإنها وجدت قبل ملايين ملايين السنين قبل الخلق المادي الذي تجسد لاحقاً على أساس ذلك التخطيط الرباني الأساسي الذي حصل في (برونايا) وهي البداية لكل شي حيث تجلى مسبح اسمه بأولى حالاتة (صفاته) الرب العلي (ربا ايلايا) ثم تجلى كرب سام سيداً على الكون وبعدها أنشأ الحياة الأولى بقوته وعلمه (مندا اد هيي) وكان ثبت الحق في أساس خلقه بعد (دموث كشطا) . أي سر الصفة الرابعة لليوم الرابع . وأسفر كل ذلك عن نظام تدفق المياه الجارية ذات الماء الحي في عالم النور (يردنا ربا ادميه هيي) كأساس للحياة . هذا يؤكد لنا أزلية الحدث للسر الإلهي الأول، والمعرفة الحقيقية التي وصلتنا هي علم ودراسة لمبادئ الحكمة الإلهية المهيمنة على الأكوان جميعاً ، والادب المندائي غني بالنصوص والتعاليم المتنوعة حول مصدر وتكوين (عالم النور) العالم العلوي بصيغة لاهوتية عميقة الأغوار يقف الذهن أحياناً عاجزاً عن الخوض في سبَر أغوارها أو فهمها ، إلا أن استقراءها وعمق التأمل فيها يؤكد على مصداقيتها وتناغمها بحيث يمكن اعتمادها كحقيقة تفتح أبوابها الواسعة للأذهان لخوض عمقها الروحي .



الفصل الثاني

كنزا ربا
الكتاب المقدس عند المندائية

قصة آدم
في نصوص كنزا ربا

فتح عينيه،

جال ببصره ؛

أمامه قبّة زرقاء تحيط بالمنظر الذي يمتد ضمن الأفق الممتد،

كان مستلقياً على ظهره،

حرّك جسمه؛

فاستجاب له قعد على مؤخرته ونظر :

بساط أخضر،

مياه رقراقة تنساب بهدوء كأفعى،

وهناك بعيداً

تنتصب أشياء مرتفعة شاهقة العلو تكاد في ارتفاعها تطال تلك الأشياء المتناثرة في القبّة الزرقاء،أصوات تنطلق من أماكن مختلفة ؛هناك أصوات تأتي من الأعلى وأخرى من خلفه ومن أمامه ومن مختلف الاتجاهات .

كان مرتبكاً حائراً عارياً وتساءل : أين أنا وما هذه الأشياء التي تكاد تطبق على صدري وتكتم أنفاسي وما الذي أتى بي إلى هنا ومن الذي وضعني في هذا المكان الغريب العجيب؟ وما هي إلا لحظات حتى غفا واستغرق في سنة من النوم .

نهض وهو يرفع يده اتقاء شيء آذى عينيه وكاد أن يحرقهما،والآن ما هذا الوهج المتدفق من القبّة الزرقاء وأين ذلك الضوء الهادئ وتلك الحبّات المنثورة في تلك القبّة ؟،وماهذه ؟هنا وبالقرب من قدميه كانت أفعى تزحف على بطنها بهدوء دون أن تعير هذا المخلوق أدنى اهتمام أو أهمية .طفق حائراً متسائلاً لا يعرف الإجابات الآنية على أسئلة تتزاحم في رأسه ؛من أنا ؟ وأين أنا ؟ولماذا أنا وحيد في هذا المكان الموحش،ولكنّه وبعد لحظات أدرك أن المكان الذي هو فيه ليس بتلك الوحشة

التي أحسّ بها منذ وهلة فهو بديع يانع الخضرة،وعاد يتساءل :وما تلك الأشياء البعيدة العالية التي تحيط بها تلك الأشياء البيض المتناثرة في القبّة الزرقاء؛ من أين تأتي وأين تتجه ؟. نظر إلى أسفله ؛

شيئان طويلان يمتدان من وسطه ليصلا إلى شيء أخضر،كلا الشيئين متشابهان ينتهيان بأشياء صغيرة ولكن بأشكال

مختلفة عن بعضها،نظر اليهما بتمعن (هو) يستطيع أن يحرّك هذين الشيئين الطويلين الممتدين من وسطه حتى (الأرض) حاول أن يرفعهما كليهما معاً فسقط على ظهره،عاد واستقام وحرّك إحداهما فاستجابت له،رفعها ووضعها ثانية على الأرض بعدها رفع الثانية وأعادها إلى مكانها وفكّر ماذا سيحصل لو أنه وضع (رجله) في مكان أبعد عنه قليلاً؛ ونفذّ فكرته حالاً؛ رفع (اليمنى) ووضعها في مكان يبعد قليلاً عن موضع جسده فألفى (جسده) يتحرك.

أثبت اليمنى ورفع (اليسرى) ووضعها بجانب اليمنى فتحرك جسده كلّه ولأول مرة ارتسمت على محيّاه علائم فرحة لم يكن يشعر بها من قبل؛ فلقد خطا (هو) (الخطوة) (الأولى) . أجال بصره ثانية ليتعرف على ما يحيط به،(سهل أخضر)،(جبال بعيدة)، تحرّك ليجرّب (رجليه) ماهذا ؟شيء لا(لون) له (ينساب)(بهدوء) وبدون أي (صوت).

و(تذكّر) ذلك الشيء الذي مرّ بالقرب (منه) قبل قليل إنه يشبه هذا (النهر) إلا أن هذا أوسع منه ويمكن أن (نرى) ما بداخله بوضوح وكأنه (مرآة) صقيلة صافية .

اقترب من حافة النهر ومدّ (يده) فإذا بـ (صورة) يده ترتسم على صفحة (الماء) سحبها،اختفت الصورة،مدّ (عنقه ورأسه) وإذا به يرى (وجهاً) ينظر إليه من تحت الماء. جفل لأول وهلة إلا أنه أعادها ثانية بعد هنيهة وبعد أن هدأ وجيف (قلبه) كان القابع في الماء (حنطي الوجه،يعلو رأسه شعر أسود منسدل على كتفيه، في الوسط كان هناك وجه وفي وسطه شيء ينصّفه و في أسفله فتحتان تحتهما شيء مستعرض غير منطبق،على جانبي الشيء المنصّف فتحتان تكادان تكونا مدورتين فيهما شيئان متحركان وفوقهما خطّان أسودان وفي بعض الأحيان تنغلقان وتنفتحان، يحيط بهما شعيرات رقيقة صغيرة)عاد بنظره إلى ذلك الشيء المرتفع

الذي ينصّف وجهه إنه يستطيع أن يفتحه ولكن ...ماذا هناك؟ في تلك اللحظة نطت (سمكة) صغيرة قفزت والتمع جسمها النحيل تحت أشعة (الشمس) ورجعت إلى الماء فرحة غير عابئةٍ بما حولها وبعودتها ارتسمت دوائر بدأت تكبر وتكبر واختفت صورة الوجه مدّ يده محاولاً إيجاد ذلك (المخلوق) فلم يفلح، بل زادت الدوائر وتعذر عليه إيجاده. ظل صامتاً مترقباً (ظهور) المخلوق ولم يطل انتظاره فسرعان ما هدأت الدوائر واختفت ليظهر الوجه بشعره الأ سود وذاك الشيء المستعرض الذي حاول فتحه قبل أن تنط تلك السمكة الصغيرة وتعكّر صفو خلوته، فتح (فمه) كان هناك صفّان من أشياء بيضاء يمتدان إلى الداخل،كان الضوء قليلاً فلم يستطع أن يتبين إلى أي مدى تصل تلك (الأسنان) والآن ما هذا الشيء المتحرك بين تلك الأسنان، إنه... إنه ...... ولم ينتظر طويلاً ليعرف ما هو فلقد علم أنه (لسان) . كانت المعرفة تأتي إليه دونما عناء .

كان هذا المخلوق يشعر بالوحدة وأنه يائس من خروج ذلك القابع تحت الماء، رجع إلى الوراء و خطا خطوة وأخرى..

إنه يبحث عن شيءٍ ما، شيءٍ .... ما الذي كان يجدُّ في البحث عنه ويعرف أنه يمكن أن يبعد عنه هذا الضيق وهذا اليأس الذي بات يؤرقه ويقلقه ولم يجد له تفسيراً، وخطوة وخطوة أخرى ورابعة وخامسة فوجد ما سعى إلى معرفته والتعرّف إليه فلقد وجد (شيئاً) يشبهه ولكن ذا شعر أطول وجسمٍ أرشق وصدرٍ خالٍ من الشعر كالذي يغطيه هو، وشيئين ناهدين شهيين وعلم أنها حـــواء وهـــو آدم.

نصوص تربوية
كنزا ربّا الأيمن

"يقول منداد هيي :

كل نفس تسال عن أعمالها

لا تشارك نفس نفساً

ولا تتحمل نفس نفساً

وكلهم يومئذ منخطفون هالكون عن هالكين مشغولون

لا يلتفتون ولا يلقون السلام ولا يستطيعون الكلام مثلهم مثل ناصورائي ترك تعاليم الحي وسار في طريق الظلام، هؤلاء أيضاً في الظلام يقعون، يسأل بعضهم بعضاً إلى متى هم في عذابهم مقيمون؟".

- في هذا الحديث التربوي درس من دروس المعرفة الربانية في كتاب الكنزا ربا (م) .. حيث يقول (كل نفس تسأل عن أعمالها لا تشارك نفس نفساً) وهذا هو الحساب في ميزان الآخرة بعد أن تفارق النفس عالمها المادي جاءت للامتحان فيه تغادره لتاخذ معها حقيبة أعمالها أعمال هذه الدنيا لتخضع لسؤال عن أعمالها في عالم الحساب ثم تمثل أمام الديان وصاحب الميزان .. من يبلغ عنا أبناءنا أننا غارقون في الديجور وأن أعيننا لا ترى النور وأن أبواب الظلام موصدة علينا منذ دهور في الليل والنهار يسألوننا جميعاً ويقطعوننا تقطيعاً كل يوم توضع أعمالنا أمام أعيننا ونسحب من أرجلنا لنحدق فيها عملاً عملاً ثم لندفع عنها العذاب بدلاً . يتضح من هذا النداء المؤلم الذي تنادي به كل الأنفس التي تمثل للحساب أن نرفع أعيننا صوب آبائنا لنطلب لهم الرحمة .. وهنا سؤال يطرح نفسه. هل إن الأنفس التي في عالم الحساب بعد وفاتها لها علاقة أو صلة مع عالمنا المادي .؟ للجواب على هذا السؤال تتحدث الوصايا ..(من أحب موتاه فليطلب لأنفسهم الرحمة وأقيموا عليها الصلاة والتسبيح واقرأوا الابتهلات وأقيموا مسقثا الرحمة من أجلها عند ذلك يسير الضياء أمامها ويأتي النور وراءها ورسل الحي عن يمينها وملائكة النور عن شمالها

فتتجوا من مطراثا ومراجل النـار) إذاً ... نـداء الوصـايا يحثـاء ويعظنـا ويفـتح أبصـارنا بـأن نترحـم لنـرحم موتانـا وأن نصـلح مـن أنفسـنا حتـى لا نكـون علـى مـا كـان عليـه آباؤنا.. وهذا نداء آخر ينادي به من وافاهم الأجل .. (من يقـول لأولادنـا أن لا يسـلكوا الطريق الذي سلكناه، من يقول لهم أن لا يفعلوا ما فعلناه من يقول لهم أن لا تهلكوا أنفسكم فتدخلوا الظلام الذي دخلناه) وهذا نداء آخر يوصينا بـأن نصـحو مـن غفـوة الحياة ومغرياتها وعلينا أن نبدأ بداية جديدة أساسها العهد(كشطا) ونعاهـد أنفسـنا أن لا نسـير في طريـق الضـلالة، الطريـق الـذي تجرنـا إليـه الشـهوات وهـو الفـخ الـذي يضـعه الشـر امامنـا .. فـإذا منحنـا الحـي (م) نعمـه وخيراتـه علينـا في عملنـا وشـقانا .. فعلينا أن نعي ونتحكم بهذه النعم بخير العمل لهذه الـدنيا الزائلـة وهـذا هـو سـر (سـر الطاعة) لكل العباد الصالحين الذين وهبوا النعم .

وبذلك لا نتجاوز حدود الله ونقف أمام طاعته ووصاياه وذلك هـو الصـوم الكـبير فمبارك هو الإنسان الذي يحـترم حـدود الله ويقـف عنـدها .... ولكـي نـرحم أمواتنـا علينا أن نقيم إليهم الصلاة والتسبيح ونلاحظ أن الصـلاة تسـبق التسـبيح فهـي أكـبر درجـة والـتي مـن خلالهـا يـبين الإنسـان طاعتـه للخـالق (م) أمـا التسـبيح فهـو التوسـل والرجاء ثم الدعاء .. والصلاة هنا طلب قبول الطاعة لمن وافاهم الأجل لأنها فرصتهم الوحيدة في الحياة والأمل بمـن هـم في هـذه الـدنيا أن يرفعـوا الرحمـة .. أمـا الابتهـالات فهـــي طقـــوس طعـــام الغفـــران (اللوفـــاني) والصـــدقة المباركـــة (زدقـــا بريخـــا) ويغلفها طقس المسقثا المبارك والذي به تحصل الأنفس علـى غفـران الخطايـا وتخلـص مـن العـذاب الألـيم ولـذلك سيسـير الضـياء أمامهـا والنـور مـن خلفهـا ورسـل الحـي عـن يمينهـــا وملائكـــة النـــور عـــن شمالهـــا فتنجـــو مـــن مطراثـــا ومراجـــل النـــار .
أما قـول (كلهم يومئذ منخطفون) فهـذا هـو حصـاد الـدنيا والمنخطفـون قـد حصـدوا الأدران والأشواك والعليـق مـن هـذه الـدنيا ولم يحصـدوا منهـا الثمـر الصـالح طالمـا لم يزرعـوه فكـان هـذا هـو الجـزاء .. لا تـنفعهم الأمـوال ولا القصـور الـتي كـانوا لهـا يكنزون .

وفي قـول (هـالكون عـن هـالكين مشـغولون) فهـؤلاء هـم أصـحاب السـوء الـذين يزرعـون الشـر في النفـوس الصـالحة فيهلكـون مـن حـولهم ولـذلك .. إلى بعضـهم لا

يلتفتون ولا يلقون السلام ولا يستطيعون الكلام لأن الشروالكراهية تولد التفرقة في الأنفس الصالحة .. وكما يقول أبونا (انوش اثرا (م)) (إن الكره والحسد والنميمة من سموم الأشرار ولن تصعد بصاحبها إلى بلد النور) ولذلك .. فإن الناصورائيين الذين يتركون تعاليم الحي ويسيرون في طريق الظلام هؤلاء أيضاً في الظلام يقعون .. تتحدث الوصايا . (اسمعوا ما اوصيكم به فإن لم تسمعوا أو سمعتم ولم تفعلوا ففي الظلمة التي وقع بها الأشرار تقعون إنهم باقون فيها لا يصعدون) .. ولذلك يسال بعضهم بعضاً إلى متى هم في عذابهم مقيمون .. ومن هذا الحديث المبارك ننادي أحبتنا وإخواننا وعوائلنا المندائية في أي مكان وزمان أن لا يتركوا أمواتهم بلا جزاء كتقديم (الثياب الطاهرة) أي القماشي .. أو طعام الغفران (اللوفاني) أو طقس المسقثا وهو اعظم الطقوس رحمة للمتوفي أو العمل الصالح الصدقة المباركة بإكساء وإشباع الفقراء المساكين من إخوتك المندائيين جزاء أو دفع بلاء. ولكن يجب أن لا نتحدث بها أو نشهر بها .. وهذا حق المتوفي علينا ونكون قد برينا بأجدادنا وترحمنا لهم حتى يترحم علينا أولادنا .

باسم الحي العظيم

حينما كانت الثمرة [بيرا] داخل الثمرة [بيرا] ......

الثمرة تعني بيرا /

ولعل المراد بذلك النشوء والخلق في عالم النور .

وحينما كان الأثير [آيَر] داخل الأثير [آيَر] .....

آيْر/ الهواء أي هواء عالم النور ويعود هذا الهواء إلى ريح الشمال

وحينما كان [مانا] ذي الوقار العظيم هناك،

[عندما تتوقف ريح الشمال يوماً ما ..

ستنتهي كل الأنفس من العالم الأرضي]

ومنه تكونت المانات العظيمة الكبيرة، ....

مانات المفرد مانا / الوعاء،العقل الذهن/ وتطلق أيضاً على كائنات نورانية عليا .

انتشر بريقها وعظم نورها،

وما كان قبلها في الثمرة العظيمة شيء،

فانتشر نورها بلا حدود،

أكثر من انتشار الكلام،

وجلّ نورها عن أن يوصف باللسان،

والتي كانت وقتئذ في تلك الثمرة،

ثم تكونت منها آلاف الآلالف من الثمار بلا نهاية،

وملايين ملايين المواطن بلا عدد،

تقف هناك وتمجد [مانا] الموقر العظيم، ....

هنا ياتي [مانا] بمعنى كائن نوراني . الذي يحل في [آيَر] العظيم هنا [آيْر] بمعنى موطن أو مكان أو أرض .

ويكون الماء الجاري العظيم [يردنا]

الذي لا حدود له، . ....[يردنا] : نهر أو ماء جارٍ أو الماء الحي والجمع : [يردني]

[وبقوة الحي العظيم] انبثقت منه مياه جارية [يردني] الماء الأبيض الذي يحيط بارض آيْرعالم الكائنات النورانية العليا بلا نهاية ولا عدد .

وهو [شريان الحياة العظيم] لذا يمكن القول إن كل يردنا

جارٍ يمكن إجراء طقوس التعميد،

ولكن ليس كل ماء جارٍ = يردنا

باسم الحي العظيم

من قبل أن تكون العوالم [الكائنات] كلها،

حينذاك كانت الثمرة العظيمة .

وإذ كانت الثمرة العظيمة، داخل الثمرة العظيمة

كان [ملك النور العظيم] ذو الهيبة

[قبلها وقبل كل شيء] .

ومن [ملك النور العظيم]

ذو النور والهيبة،

كان أثير البهاء العظيم

ومن أثير البهاء العظيم كان الإشعاع الحي ......

الإشعاع الحي / يأتي أيضاً بمعنى [الحرارة الحية] ويمكن أن يكون ومن الإشعاع الحي كان الضياء

القوة الموجودة في كل الأشياء .

بقوة [ملك النور] كانت [الحياة]

والثمرة العظيمة كانت داخل الثمرة العظيمة،

وكان فيها الماء الجاري [يردنا]،

وكانت [يردنا] عظيماً .

وكانت المياه الحية الجارية،

وكانت المياه الصافية البهيجة [الرائعة].

ومن تلك المياه الجارية الحية،

كانت تلك [الحياة] .....

الحياة

وتاتي [الحياة] بصيغة الجمع والمقصود هنا تكوين [الحيوات الثلاث ومن ثم تكون جميع الأثري . والحياة الأخرى وهي الحياة الثانية والثالثة والرابعة] أو [الانبثاق الثلاثي] ومن هذا يتضح أن فكرة الخلق المندائية تستند إلى أن هناك كائناً سامياً هو [الحي العظيم ـ الخالق العظيم]

هو الأول الذي انبعث من ذاته (اد من نافشي افرش)

وانبعثت من لدنه (الأثري)

كائنات نورانية خلقها،

قامت هي أيضاً بنداء كائنات نورانية أخرى وبأمر منه،

خلق ٣٦٠ كائناً نورانياً شاركوا في عمليات التكوين اللاحقة في عالم النور والعالم المادي بأمر وبتوجيه منه (وهم ليسوا آلهة)،

كما أن لهم وظائف يقومون بها بأمر منه في عالم النور .

جزء من نص حب المؤمن للحي
كنزا ربا الأيمن

باسم الحي العظيم

"أحببتُ العَدل منذ أحببتك

وأحببتُ الحقَّ منذ أحببتك

منذ يوم عرفتك، عرفت أن الدنيا باطلة

وأن جميع نعَمها زائلة

صرت أحبّ إلي من أبي وأمي

أحبَّ إلي من أخواتي وإخوتي

ومن أبنائي و زوجتي

لم تعُد تهُمني الأموالُ ولا القصور

لم تعُد تهُمني الثياب ولا العطور

لا الجاهُ ولا السلطان

إ ني وجدتُ نفسي .....فمالي وللأكوان "

.. .. ..

جزء من النص (١٨) من كتاب التعميد

باسم الحي العظيم

ياسيدي المالك العالي للنور

الذي عيناه مفتوحتان، تبحثان عن العدالة

والذي يصنع العدالة لهؤلاء الذين يحبونه

وينفذ العدالة على هؤلاء الذين اضطهدونا

وعلى المضطهد ين الذين يلاحقوننا

وعلى الشريرين وعلى الغـاضبيـن .

الذيـن يحتالون لعمل الشر علينـا .

أذا كنا نرضيك يامالك النور العالي

انظر إلى هذه النفس التي تؤمن بـك

ومن أجل اسمك حضروا على الأرض واضطهدوا .

أرنـا الهـواء الطـاهر

كـي ننسـى اضطهادنـا الدنيـوي

حتى ننسـى اضطهاد الأرض

وإغاظـة الشريـرين والكذابيـن

قـوِّ بصيرتنا وصوتنا ويقظتنا وتسـبيحنا

لأننـا بهذه الوسيلة نستطيع أن نصلك أيها الحـي العظيم

مـن البداية إلى النهـاية

أدعية وصلوات

طوبى لمن عرفك (يا ملـك النور)،

وطوبى لمن يتكلم بمعرفتـك .

طوبى لمن تعلم حكمتـك

وتحرر من الأخطاء و فوضى هذا العـالم .

طوبى للمخلصين المتقين المؤمنين المستقيمين الذين يسبحون لك، سيصعدون

منتصرين ويرون موطن النور . ...

أكا هيي أكا ماري أكا منـدا أدهيي ....

المسختا

تراتيل قدّاس الصعود

في بنيان يبنيه الحي،

تزدهر الأشجار الحسنى.

شذي عطر الأشجار

بعطر من مندادهيي

تتحنى.

قد أرسى الحي السكنى،

وعم ضياء

أثير قدسي

وأنا والأثريون من الأصحاب،

بسطنا ما لزم من الأطياب،

وبسطنا للأعظم السهم المكنى .

لمقام النور رفعناه بطهر.

بنيان يبنيه الحي

لن يفنى أبد الدهر.

نكست الظلمة في الظلمه

ورفع النور إلى ركنه.

قد قبل الحي صلاتك،

وقبل الأثريون مديحك

لربه قد خص طعام الذكر،

ووهب لصاحبه الأجر.

ولتتثبت هذي الروح. الاسم الديني.

وهذي الأرواح المعنية

بهذي المسخثة

في وطن النور الأعظم والدار الأبدية.



تراتيل صابئية مندائية

تراتيـــل وصـــلوات ترينـــا جماليـــة الـــتراث الأدبـــي المنـــدائي وروعتـــه. ترجمة المستشرقة آي.أس. دراور

الترتيله ١٥٣

شق شق الأرض

رعد عصف بصهيون الأكبر،

الموكول برأب الأصداع

على قدرته ما استطاع

وقف الرعد.

آخر بمعيته كان،

حائك لشباك الصيد،

ألقى شبكة للأسماك كباراً وصغارا.

السمك الأقوى

اخترق الشبك وولى.

السمك الأضعف

استسلم للثقلان.

في يوم لا شق به إلا مغلق

في يوم ناعورات الماء به تتدفق،

في يوم لا خرق به إلا مرأب،

أيتها السمكة. إلى أين المهرب ؟

أنتم يامعتاشين على السوط وحكم الطغيان

ما العمل بيوم للديان ؟

أنتم يامزدانين بورد وحرير

ماذا سوف تقولون للرب العادل

الذي عنده الميزان ؟

قد تم القول بكل لسان،

وختمت كل الآراء وكل التصريحات؛

ألا من صوت يأتي

يهذب كل الأصوات،

ألا من قول يأتي

يعلم كل الأقوال.

ألا من كائن يأتي،

يجليها الواحد بعد الاخر.

أنا من يمدحك يامولانا ،

لخطايانا ومثالبنا

أنت الغافر

أنت الغافر لخطايانا ومثالبنا ،

بسفه من دنيانا نحن جنيناها ،

سنداً منك لنهج الحق الطاهر

لمن آمن بك.

والحي هو الظافر

وظافر من غادر هذا العالم.

الترتيلة ، على الأرجح، تعود إلى زمن النبي يحيى بن زكريا ، تمجد اسمه ، وتتميز بعمق انحيازها للفقراء وإدانتها للجلادين والطغاة.

وإن ورود كلمة ناعورا الأكدية الأصل، وكذلك كلمة سليتا ـ السلتية المعروفة وهي شبكة دائرية مثقلة بكتل رصاصية على محيطها تستخدم للصيد في دجلة والفرات كما تشير إليها السيدة دراور ، يثير إشكالية مكان كتابة الترتيلة ، فالمحتوى يرجح أورشليم في حين أن الرموز رافدينية أصيلة.

الترتيلة ١٥٧

أقول للجبال

منعشة عطورك ،

ومبهج شذاك

بك الأشياء كلها ترفل بالسناء

تردد الجبال

ـ الكائن الذي مر بنا

ليس له لمس ولا بنيان

ليس له بنيان أو لمس

وليس فيه أيما نوع من النقصان.

الكائن الذي مر بنا ،

أطلق في وهادنا ،

البعض من قدرته المحيية.١

ويمسك الخطاة فيهم قدرة الأثمار ،

لينظموا السؤال والهذار.٢

والقدرة المحيية

للحي هل تدرك بالسؤال والهذار

أم أنها بالحق والإيمان،

بهما يعتصم الأصفياء

مبدءاً حياً لهم.

وكل من يعتصم،

مبدأه الحي، له أمين

يستيقظ الحياة،

ليعضد الحياة.

ومن لا يعتصم

مبدأه الحي،وليس ثابت الوفاء،

فإنه من بادئ ابتداء،

من ابتداء بادئ،

من فاقدي العزم،ومن نصيب عالم الفناء.

والحي هو الظافر.

نصبتا

نصبتا كلمة ذات معنى شديد التعقيد.أساساً تعني الحافز على التوالد والإنجاب، العنصر الإحيائي، التكثير، الزرع والغرس. في بداية الترتيلة يخبر الشاعر من قبل الجبال التي تعجبه بشذى عشبها الحلو،أن القدرة المحيية للحي هي التي أنتجت عطرها وجمالها.ولذلك فإن مفعول الحافز الحيوي في الإنسان يوصف كتوق للحياة الحقيقية،حياة الروح، في أدب مندائي لاحق تعبر كلمة نصبتا عن الزوجة أو العروس، نصاب نصبتا ـ اتخذ امرأة له زوجة.

شوليا

شـويليا تعـني أسـئلة. وشـول تشـير إلى الأعضـاء التناسـلية وهنـا قـد يكمـن المعنـى.تورية ربمـا كانـت مقصـودة.E.Drower المبـدأ الحيـوي في الفلسـفة الغربيـة يظهـر في عقلانيـة كانـت و سـبينوزا الـذ ي يقـترب جـداً مـن الفكـر المنـدائي.تنتقـد الترتيلة بشدة الإفلاطونية التنسكية التي تدعو إلى قتل الحواس والامتناع عن الـزواج والإنجاب،والإفلاطونيـة نسـخة مشـوهة عـن المعرفيـة الشـرقية والمندائيـة قامـت عليهـا فلسفة عصر الإقطاع في اوربا. في الإسـلام يقـترب جـداً هـذا المفهوم،كمـا أعتقـد،من العبارة القرآنية العروة الوثقى.

الترتيلة ١٦٤

بسم الحي العظيم

مجد النور السامي.

إني شهدت جبلاً أبيضَ،

بياض جمع فوقه التأم.

إن هبت الريح عليه يوماً هللت،

من عطرها الأمم.

وإن الريح يوماً في وديانه جرت،

بالنور أشرقت.

إني وقفت في مكاني رافعاً

دعائي العظيم،قد دعوت

أن أوهب،هبة ، من موطني الجبل

من موطن الجمع العظيم ذاك

شاف يطبب النفوس أن يجيء من هناك

يشفي ولا يسأل أي أجر.

كنت في مكاني واقفاً إذ استجيب ما دعوت

و قد وهبت الهبة التي رجوت

من موطني الجبل

من موطن الجمع العظيم ذاك

وصرت شافياً للنفوس

شافياً للنفوس صرت

يشفي ولا يسأل أي أجر.

عندها شددت راحلاً وسرت

حتى بوابات بابل بلغت.

وكان أن أغلق بعض أهل بابل

في وجهي الأبواب.

وبعضهم قد فتح الأبواب.

من أغلق الأبواب كاره للحي عاشق للموت،

لهم قرار بهيم

به سيلزمون.

من فتح الأبواب عاشق للحي كاره للموت،

هم في نقاء سوف يعرجون

لهم مقام منير

له سيشهدون

و الحي ماجد كثيراً والحي ظافر

وظافر من بلغ المنتهى.

الجبل هو رمز التوق للوصول إلى الله

الجبل في هذه الترتيلة يختزل العديد من المعاني، فهو رمز التوق الصوفي في الوصول إلى الله، وهو الوطن،والطبيعة الحية التي تعكس الجمال الإلهي. يرتبط مفهوم العقاب في الترتيلة بمفهوم الموت في العالم السفلي وهو مفهوم سومري وبابلي

للعقاب مما يرجح انتساب الترتيلة إلى زمن قديم جداً في الألف الثاني قبل الميلاد يوم كانت الديانة المندائية تبشيرية، حيث الداعية الصابئي يجوب مدن الشرق القديم الوثنية وهو يدعو إلى الله واليوم الآخر. وتشير الترتيلة إلى انتشار المندائيين في المناطق الجبلية غرب بحر قزوين فكردستان حتى وادي حران.

الترتيلة ٢٠٧

بسم الحي العظيم

مجد النور السامي.

عجلة أنا

عجلة صغرى

رسا النور على فكري.

أرتحل، أغذ في المسرى،

أنا ومن قد وصلوها بي

في رحلة الحيا.

سألتها، رفيقة المسرى

من وصلها بي

قلت لها،

إن كنت أنا بقوتي أجري ؛

فأي قوة أنت تسيرين بها ؟

تكلمت رفيقتي في رحلة الحيا

قائلة كما تسير أنت في اضطراد

بقوة فيك إلى أمام

أسير بالإيمان.

بالحق في الفؤاد

عيناي عينا ضيا

والقلب مني امتحن الأصفياء.

وإننا في كسوتين قد حللنا وحجبنا النفس

وحل في الكينونة فعل الغرس.

فعل الغرس في الوجود آن

صفيان قد ابتدآ وسوف يثبتان.

والحي معروف وظافر،

وظافر من بلغ المنتهى.

العجلة

ترمز العجلة، في المندائية، إلى العقل، مانا، وهو موجب وبالنور نهوراً يكتسب حركته الذاتية.وتشير الرفيقة المقترنة به في رحلة الحياة إلى النفس، اللاوعي المختص بالغرائز والأحاسيس والنوازع، وهي سالبة وتتعادل مع الضوء، زيوا، الموجب الذي تكتسبه بالإيمان والحق أو القسط، كشطا، والاختبار بالتجربة.

الغرس: التكاثر والإنجاب

فعل الغرس أو التكاثر والإنجاب يعطي معنى كونياً عاماً لطقس الزواج و يرتبط هذا المفهوم بطقوس الزواج المقدس في حضارة وادي الرافدين الإروائية. ورغم الطابع المعرفي التأملي لهذه الترتيلة فهي قوية الصلة بالواقع الموضوعي، زاخرة بشكل أخاذ بعناصر الجدل، وهي مع تراتيل أخرى للزواج ترتبط بنيوياً بحقب قديمة جداً، وكما يعرف زمن القطعة الأثرية بالفحص المختبري يمكن الاهتداء إلى زمن هذه التراتيل بدراسة علمية منهجية.

الترتيلة ٢١٢

بسم الحي العظيم

ممجد النور السامي.

هناك كرمة لشيتل وأخرى لأنوش ١

لشيتل كرمة هناك

بك ياأرض الأوفياء،

محملة بالجزاء، محملة بالثواب، محملة بالناصروت.

البراعم في نهايات أوراقها

مكنوزة بالصلوات، والتراتيل والقصص الساميات.

حينما قمت واقفاً في مكاني

دعوت دعاءاً وكان دعاءاً عظيماً ؛

سائلاً أن أوهب سلماً عالياً

أركنه على الكرمة مرتقى للارتقاء،

مرتقى للارتقاء أركنه على الكرمة،

لعلي به أعتلي كرمتي،

أكبر نفساً وأمسك أوراقها،

أطعم وأورف في فيئها

وأنعم بإيراقها،

لعلي أجدل إكليلاً لنفسي من براعمها

وأحكمه على هامتي.

حينما قمت واقفاً في مكاني،

استجيب دعائي الذي قد دعوت .

منحوني سلماً عالياً

أركنه على الكرمة

مرتقى للارتقاء.

على الكرمة مرتقى أركنته.

صعدت على كرمتي،

كبرت نفساً،

وأمسكت أوراقها،

طعمت،

وأورفت في فيئها

نعمت بإيراقها ؛

ومن براعمها

جدلت إكليلاً وأحكمته على هامتي.

والتأم الناس من كل فج،

والذرايا التقت،

وجدل الجادلون على صورة إكليلي أكاليلهم،

ولم يك ما جدلوه بشبه له.

وراحوا وقد قلدوا نفسهم ورق الكرم

يقولون،

يا أنت،

من أين إكليلك،

ومن أين هو الكائن الذي جدله ؟

وإني أجيب عليهم، تباً لكم،

أما تغربوا عن وجودي،

موتى، خطاة لم تعرفوا الحي .

أما أنا، فليس إكليلي من الأرض ؛

وليس من العالم هذا الكائن الذي جدله.

إن إكليلي من كرمة الروض

والكائن الذي جدله،

من موقع النور.
والكائن الذي جلبه،
وعلى هامتي ثبته
من موطن الخلد.
والحي معروف وظافر
وظافر من بلغ المنتهى.

الروح والنفس

شيتل ـ شيت ـ وأنوش يرمزان إلى الروح والنفس ـ ملاحظة آي . أس دراور.

الكرمة وحدة الوجود

كرمة الروض ـ رواز، الكرمة هي التعبير عن وحدة الوجود، التدرج من الملموس والمحسوس إلى العقلاني فالروحاني، ويوظف السلم الذي يرتقيه الصوفي لأجل هذا الصعود حتى درجة الكشف النوراني، والإكليل هو التعبير عن نجاح المسعى وبلوغ الغاية.هذا العشق للطبيعة وقواها الحية هو ما يميز المعرفية المندائية ويدل على جذورها الرافدينية وتعارضها مع الاتجاهات الغنوصية ذات الصبغة التشاؤمية المحتقرة للجسد ونعم الحياة وبشكل خاص الإفلاطونية الحديثة ذات النزعة الهروبية الرجعية التي شكلت الأساس للفكر الإقطاعي في أوروبا العصور الوسطى.

صوفية وواقعية

رغم النفس الصوفي التأملي للترتيلة فإنها، كأغلب التراتيل المندائية، تعود لتلمس الواقع الحياتي في نقد أو حتى تهكم، وهو ما نلحظه في انتقادها للطقوسية المظهرية التي تهمل الجوهر الحقيقي للدين وتأخذ ما هو شكلي منه وتعتبر أصحابها من الخطاة والموتى الأحياء.



أدعية مندائية

يارِبِّ قِنا عذاب الأرض والسماء

وأخلِّ ضمائرنا مما يثقلها

واجعل ليالينا هانئةً خاليةً من الشكِّ فيما سيكون عليه الغد؛

فاللحظة التي نحن فيها الآن ملك لنا

لكن ما بعدها سيكون ملكاً لك وحدك،

ولك أن تقرر أتمنحها أم تمنعها،

نحن رهن إشارتك

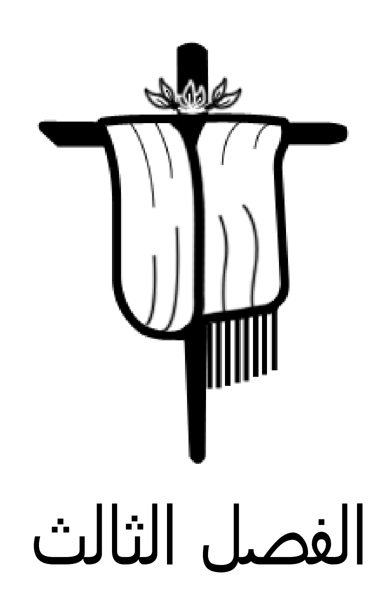
فإن أومأت سنأتي إليك صاغرين طائعين

وإن أشحت ولو لوهلة واحدة

سنكون شاكرين ممنونين ..

لك ندعو ولعطفك نرجو

والحي المزكّي للأعمال والنيّات



الفصل الثالث

روعة أن تعيش اليوم في عصور الأنبياء

أقدم الديانات السماوية على وجه الارض

الديانة الصابئية من أعرق وأقدم الديانات السماوية التي نزلت على البشرية.

الصابئة طائفة موحدة ومن أصحاب الكتاب، إلا أن قلة عددهم ولكون تواجدهم محصوراً في العراق وغالبيتهم في العاصمة بغداد وقلة منهم تقريبا ١٠٪ يسكنون جنوب إيران، ونتيجة للظروف الصعبة التي مر بها المجتمع الصابئي والتي أدت إلى انغلاقه على نفسه، كل هذه الأمور وغيرها جعلت الكثيرين يعتقدون بأن الدين قد انقرض أو أنه لم يعد له وجود، على العكس من ذلك فإن الدين الصابئي لايزال باقياً، وإن معتنقي الديانة المندائية يعتزّون بدينهم وملتزمون بتطبيق تعاليمه إلى يومنا هذا .

تقديس الأيام المباركة

يقول الترميذا الحكيم خلدون ماجد :

ما وصلنا عبر بعض المؤلفات في هذه النصوص والقصص المحكية وما عاصره أجدادنا قد أعطانا تصوراً عن شدة التزام المندائيين آنذاك بالتمسك بالتوجيهات والتعاليم الدينية التي توجب على كل مندائي نسيان كل ما حوله من عوامل دنيوية مادية في تلك الأيام، فهو ينظر إليها كأيام غير محسوبة من عمره ولا من الزمن، ويتولد لديه شعور بأنه كما يعيش قي أيام السنة في دنياه لحقها عليه، يعيش هذه الأيام الخمسة للخالق العظيم، بمعزل عن الدنيا وما فيها فتراه لايشتري ولا يبيع ولا يعمل من أجل كسب أو ربح مادي ... أما اليوم (فرواه ماري)(الحمد لله) ونحن على أعتاب مرحلة جديدة من شيوع وانتشار مباديء المندائية بين أبنائها وخاصة بين النشئ الجديد المتطلع، بما يوحي بأن فهماً واعياً ومتطوراً قد لاح في العقول والأفكار نحو بناء قاعدة إيمانية ثابتة في العائلة والمجتمع المندائي . وتعميماً للفائدة سأوضح أهم الواجبات الدينية المفروضة علينا في هذا العيد المبارك وهي :

١- وجوب الاصطباغ فعلى كل مندائي أن يصطبغ (ويجدد ولاءه وطاعته للرب العظيم من خلالها [من الناشر]) ويجدد معموديته مع ملاحظة عدم جواز الاصطباغ في حالات (الصورثة، الزهريثة، الأخطاء الكبيرة).

٢- التقيد بشروط الأكل النظيف من الناحية الطقسية وعدم جواز النحر في هذه الأيام إلا من قبل أناس مؤهلين لهذا ـ ٣ ـ إنجاز عمل ملابس الوفاة (القماشي) وإجراءاته الدينية الأخرى للذين لم يحظوا به قبل وفاتهم أي (الوفاة النازلة) التي لم تتم وفق الشروط الدينية المعروفة وذلك بعد الـ ٤٥ يوماً من وفاتهم لأن ذلك لا يقام إلا في هذه المناسبة حصراً .

٤ ـ تقديم الصدقات بكل أنواعها لذوي القربى واليتامى والمساكين مع مراعاة السرية في إتيانها .

٥ ـ تجنب الأعمال والسلوكيات المرفوضة التي تشين علاقة الإنسان بربه ومحاولة حصر التفكير باتجاه الخالق العظيم بقدرتة وخلقه وحكمته، والتسبيح بصفاته التي انبثقت وتجلت في مثل تلك الأيام .

٦ ـ نبذ كل الخلافات بين المندائيين .

٧ ـ تجنب الممارسات الخاطئة التي تمس الدين والعرف .

٨ ـ أداء فريضة الصلاة (الرشامة والبراخة) والإكثار منها قدر المستطاع .

٩ ـ وجوب تقديم الوجبات الطقسية (اللوفاني ـ طعام الغفران) من قبل المندائيين عموماً لذويهم وآبائهم وأجدادهم الأقدمين والتبرع بإطعام الجياع وإكساء الأيتام وغوث المحتاجين .

مساواة كاملة بين الرجل والمرأة

هل حواء خلقت من ضلع آدم الرجل حسب المفهوم المندائي؟ حسب هذا المفهوم تصبح حواء ثانوية في عملية الخلق، وهذا ما ترفضه المندائية، التي تؤمن، وحسب ما ورد في كتابها المقدس كنزا ربا، بأن حواء خلقت من نفس الطينة التي تشكل منها آدم الرجل الأول. فبذلك تصبح حواء موازية للرجل في عملية الخلق، ومكملة له.



إن الفكر المندائي يعطي قدسية عظيمة للعنصر الذكري والعنصر الأنثوي في هذه الحياة، ويعتبرهما من التكوينات السماوية الأولى والمتوازية في الخلق، حيث يرمز للعنصر الذكري ب(سيندركا- النخلة أو رمز التكاثر والثبات) ويرمز للعنصر الأنثوي ب (اينا – عين أو ينبوع المياه). من هنا نفهم أن المندائية تؤمن بأن العنصر الأنثوي ليس طارئاً على الخليقة، وإنما موجود في الأصول الأولى للخلق. فهناك نرى ورود عدد كبير من أسماء الكائنات النورانية الأنثوية، التي لها قداستها في الإيمان المندائي، والتي تأتي مصاحبة للكائنات النورانية الذكرية (من ملائكة، أثري، ناطري) وقرينة لهما. ومن أمثال تلك الكائنات النورانية الأنثوية نورد بعضها:

- سيمات هيي (أم الحياة)،
- ازلات ربتي (ازلات العظيمة)،
- مركنيثا دكيثا (الجوهرة الطاهرة)،
- بهرات أنانا ...

فقد جاء في كنزا /ي ما يلي:

((اذهب واخلق رجلاً واحداً وامرأة واحدة

وأطلق عليهما الاسمين آدم للرجل وحواء للمرأة.

وبعد ذلك خلق هو آدم وامرأته حواء

وأنزل النفس (نيشمثا) على جسديهما)).

ونرى صدى تلك الأفكار في الميثلوجيا السومرية والبابلية القديمة التي ازدهرت في بلاد وادي الرافدين قبل آلاف السنين. فالمندائية في صميمها تؤمن وتدافع عن

مسألة التساوي ما بين الجنسين، ولكن على الرغم من ذلك نرى إجحافاً بحق الأنثى يتخذ هنا أو هناك من الناحية التطبيقية، وهذا لسببين مترابطين:

الأول منهما هو تاثير البيئة التي عاشها المندائيون ولفترة طويلة في ظل التطرف القبلي والعشائري في جنوب وادي الرافدين.

الثاني فهو الجهل في المعرفة المندائية والذي بدأ بالتقهقر تدريجياً.

ومن أمثلة الإجحاف بحق المراة، أن المندائيين يسمحون برجوع الرجل الذي يتزوج من خارج محيط الطائفة، إلى الجماعة المندائية ويؤهلونه مرة أخرى، ولا يسمحون للمراة التي أثمت بزواجها من خارج محيط الطائفة، للرجوع في رحبها ثانية!!

الزواج المندائي

الزواج عند المندائيين من الأمور الجوهرية في العقيدة والإيمان، فالمرء الغير متزوج يعتبر غير كامل دينياً وروحياً، لأن فلسفة الزواج هو الاقتران بقصد التكامل في الطبيعة والحياة، ولغرض الإنجاب وديمومة العنصر أيضاً. والمندائية عموماً تحرم أشد التحريم الرهبنة (أي الامتناع الإرادي عن الزواج بأي قصد) وتعتبره من محرماتها، كما أن النصوص المندائية تنتقد بشدة الرهبان الذين يعزفون عن الزواج.

إن الزواج المندائي لا يتم إلا بولي وشهود، وعقد القران (المهر) إذا كان لامرأة (ثيب – غير عذراء) لا يقوم به رجال الدين العاديون بدرجة كنزابرا أو ترميدا، وإنما من المفروض أن يقوم به رجل دين يسمى (أبيسق). وحالياً لا وجود لتلك المرتبة من رجال الدين، ويستعاض عنه برجال دين، ولكنهم يقومون بخلع أو بعدم تصعيد تيجانهم فوق رؤسهم. وكان آخر رجل دين بدرجة أبيسق هو المرحوم الذي خرج من جسده. كما يقال، الشيخ آدم.

إن المندائية تعتبر أشد موقفاً حتى من المسيحية والتي أخذت من الأولى الشيء الكثير، حيث تعتبر الأخيرة بأن ما يجمعه الله لا يفرقه إنسان، وأن علاقة الزواج لا يفصمها إلا الموت، حيث يسمح لأحد الزوجين بالزواج مرة أخرى بعد وفاة شريكه ..

ونرى تشدداً أكثر قوة في المندائية والتي لا تسمح بالزواج مرة أخرى لأحد الزوجين بعد وفاة أحدهما ، لأنها تعتبر الارتباط الذي جرى فيما بينهما أثناء مراسيم الزواج بالروح وليس الجسد .. وفي الوقت نفسه لأنها لا تؤمن بالموت إلا على أنه بوابة انتقال من حياة إلى حياة أخرى. فشخصية الإنسان باقية من خلال رمز نسمته (النفس - نشمثا) والتي هي نفحة من نفحات الملأ الأعظم، والتي أخذت من ملكوت الحياة وأنزلت في جسد الإنسان الأول (آدم وهوا - آدم وحواء). فلذلك نرى أن المندائية تؤمن ببقاء الولاء الزوجي والحب ما بين الزوجين حتى بعد الوفاة.

شفافية طقوس الزواج المندائي

إن طقس الزواج المندائي والمسمى (قابين اد شيشلام ربا)، من أروع الطقوس التي يشتهر المندائيون بأدائها، لما تحمله من مفاهيم قيمة وراقية عن الحياة الزوجية، وعلاقتهم بالمثيل النوراني في عالم الأنوار، وأيضاً روعته تأتي من خلال الطريقة العملية التي تخرج تلك الأفكار والمفاهيم، والفلسفة المندائية من خلال ما تثيره من رموز لها دلالاتها الروحية والاجتماعية. ولو انتبه رجال الدين والمندائيون المهتمون لتلك الطقوس وخاصة طقس (الزواج المندائي)، ودرسوه دراسة حقيقية دينية اجتماعية تراثية صحيحة، لأصبح هذا الطقس لولب المراسيم الدينية وشعار المندائية بعد التعميد (المصبتا). لأن هذا الطقس قد تحمل الكثير من شوائب الزمن والبيئة القديمة التي كان المندائيون يعيشونها في الماضي، والتي حولت تطبيقه مع الزمن، وانعدام الدراسة الدينية له، إلى حالة من الميكانيكية الفارغة الغريبة عن الإنسان المندائي.

حالات استثنائية

١. **الزواج من خارج المندائية:** هذا الموضوع يقسم إلى حالتين:

الحالة الاولى: هنالك عدد من أبناء \ بنات الطائفة الصابئية المندائية الذين تزوجوا من خارج الطائفة لأسباب متعددة .. وفي نفس الوقت مصرّون على إيمانهم المندائي، وترغب ذريتهم بالانضمام إلى الجماعة المندائية.. فهل نتركهم ونقطعهم من

الجماعة المندائية وبالتالي خسرنا فئة مؤمنة ومتمسكة بمندائيتها. وماذا سيكون وضعهم الديني في داخل الجماعة المندائية، وهل يؤثر ذلك على البناء والهيكلية الروحية الدينية المندائية من جانب آخر؟!.

٢. **حالات الطلاق المتزايدة** فيما بين أبناء الطائفة .. وهذا أمر يجب بحثه ودراسته، فهو سيكون أحد عوامل اضمحلال الطائفة واختفائها.

٣. **البهارة** (أو ما يسمى شعبياً بالكشافة): هذا الموضوع المراد منه (العفة والأخلاق) باعتبار أن الحفاظ على الامتناع عن تكوين العلاقات الجنسية إلا من خلال إطار الزواج .. فهو تاج الإنسان سواء أكان ذكراً أم أنثى .. وإن هذا الموضوع نجد صداه في ديوان ألف ترسر شيالا.

فلا يمكن القول بأن غشاء البكارة هو دليل الشرف والعفة .. لأن هناك الكثير من الفتيات اللواتي يمارسن الفحشاء وهن بواكر، ومن الجانب الآخر فما الذي عملناه بخصوص البنت التي تفقد غشاء بكارتها بحوادث عرضية. هل من المعقول ان تكون الديانة المندائية مجحفة بحق تلك الفتاة ؟!

٤. **الاختلافات فيما بين رجال الدين في أداء ذلك الطقس**: هنالك اختلافات ظاهرية وباطنية في كيفية أداء هذا الطقس وأصبح هذا الطقس محط مزايدات ما بين فئة من المندائيين.

٥. **زواج غير البكر (الثيب)**: من الأمور التي يعتبرها البعض خطأ دينياً، يرتكبه بعض رجال الدين بموضوع زواج الأرملة، والتي يجب وضع حد لها من خلال فهم ديني مندائي مع تطبيق طقسي صحيح. إذ يقوم بعض رجال الدين بإسناد هذا الطقس إلى أحد أولادهم أو رجل آخر لايملك أدنى معرفة، ومن جانب آخر لايحق له أصلا ممارسة الطقوس لأنه غير مكرس ومتوج دينياً !!! فيصبح الطقس عبارة عن شكل فارغ وفاقد لشرعيته الدينية والروحية والاجتماعية.

٦. **الذرية التي أنجبت من طرفين أحدهما مندائي**: وهذا يعود بنا إلى النقطة الأولى أعلاه، ويجب وضع دراسة صحيحة بهذا الشان بعيداً عن التعصب والعاطفة .. آخذاً بنظر الاعتبار المصلحة المندائية بشكل عام وليس بشكل شخصي. وإن حل

هذا الموضوع لايتم بتكميم الأفواه. لأن التاريخ الإنساني يؤكد لنا أن نظرية تكميم الأفواه لاتدوم طويلاً.

٧. **الزواجات التي حصلت بدون عقد المراسيم الدينية**: هنالك عدد من أبناء طائفتنا الذين لم تساعدهم الظروف لكي يؤدوا مراسيم الزواج المندائي .. أعتقد بأننا يجب أن نلتفت إليهم ونضع حداً لمعاناتهم الروحية. لأن الديانة المندائية ديانة رحمة ومحبة وهي جاءت لتخليص الإنسان وجعله مطمئناً روحياً.

٨. **مسألة زواج أخت الزوجة بعد وفاتها** ولايسمح بزواج الزوجة من أخ زوجها المتوفي .. وهنا السؤال المهم .. كيف جاء إباحة الأولى وتحريم الثانية ؟!!! وعلى أي أسس استند التحليل والتحريم ؟! يمكن أن أقول هنا بأنني من المؤيدين للراي القائل بتحريم الحالتين وعدم إباحتهما.. لأن علاقة أخت الزوجة أو أخ الزوج هما في كلتا الحالتين ضمن سياق العلاقة الأخوية في الدين بالنسبة للزوج والزوجة .. وهذا ما يصطلح على تسميته في البلاد الغربية بـ Brother in Law و Sister in Law. على العموم هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة أعمق وبحث أكثر تفصيلاً في هذه المسألة وكذا المسائل الاخرى.



ولو تفحصنا التاريخ الديني والفقهي المكتوب للمندائية بالإضافة إلى التراث الشفهي المتناقل، لوجدنا الكثير من المعالجات العصرية التي وضعها علماء الدين المندائيين. فلذلك يجب على رجال الدين المندائيين أن يدرسوا المتغيرات التي طرأت على الحياة العملية ومدى تجاوبها مع الحياة الدينية المندائية. وأحب أن اؤكد هنا في الجهة المقابلة لهذا الموضوع بأن على رجال الدين المندائيين الحفاظ على النظام الجوهري العقائدي الروحي في الديانة المندائية وجعله متفاعلاً مع الحياة والفكر.

نقاش مسألة تعدد الزوجات

يبحث متخصص مندائي في مسالة تعدد الزوجات محاولاً إيجاد مبرر للتعدد أو للطلاق وغير ذلك، وهو في الحقيقة يبحث عن كيفية وطريقة ومبرر لتطبيق الشرائع الإسلامية في المندائية. فكل مايطالب به لايتخطى الشرع الإسلامي بل يوازيه. فكثير من الأدلة التاريخية تشير إلى استفادة المندائية من الإسلام عبر العصور السابقة. فما يفعله هذا الباحث هو نفس ماقام به المندائيون طوال التاريخ الإسلامي. فلنقرأ مايقوله هذا الباحث ورجل الدين المندائي المجدد:

هل هو جائز مندائياً دينياً ام لا ؟ وهو بالطبع أمر لايزال محط جدال ما بين رجال الدين وأبناء الطائفة عموماً. من الأمور المسلمة في المندائية بأن المندائية من مؤيدي الزواج الأحادي (أي ترفض مبدأ التعدد) وتجعل هذا الزواج في قمة التقديسiii .. وعلى الرغم من ذلك نشاهد حالات زواج ثنائية أو ثلاثية وتصل في أمثلة محصورة جداً إلى رباعية وخماسية !!!.. وأعتقد بأن هذا يرجع إلى ما عاشه المندائيون من ظروف صعبة وفي بيئة قاسية كبيئة أقصى جنوب وادي الرافدين، وخاصة في فترة القرن الخامس عشر فما فوق تعرضهم إلى اضطهاد وضغط ديني واجتماعي كبيرين .. والتي أدت بالتالي إلى موت الكثير من رجال الطائفة ومنهم رجال الدين، إما من خلال الأمراض والأوبئة التي انتشرت آنذاك وفي عصور مختلفة كالطاعون الذي ضرب اهالي مناطق وسط وجنوب العراق في عام ١٨٣١م والذي راح ضحيته الكثير من أبناء الطائفة ورجال الدين. والأمر الثاني يعود للغزوات (iv) والقتل الكثير الذي تعرضت له الطائفة من قبل بعض القبائل والعشائر العربية، ومثال على ذلك ما حصل من مجزرة جماعية (v) للطائفة في مدينة (شيشترvi) راح ضحيتها مئات الضحايا من الرجال وخاصة الفئة الشابة منهم. فهذه الأمور قد تكون غير مؤثرة على طائفة كبيرة العدد، أو قد يكون تاثيرها محصوراً على قضايا معدودة، ولكن في طائفة صغيرة العدد كطائفة الصابئة المندائيين وبالوضع القاسي الذي كانت تعيشه، كان لها تاثير كبيراً جداً، ليس على حياتها الاجتماعية فقط، وإنما اندرج أيضاً على تفكيرها الديني وحتى على مراسيمها الدينية.

فمـن جملـة القضـايا الـكـثيرة الـتي راح المنـدائيون يجابهونهـا ، هـي مسـألة **زواج الأرملة** وغيرهـا مـن القضـايا الـكـثيرة. فلقـد شـعر المنـدائيون في ليلـة وضـحاها بـأن هنالـك الـكـثير مـن النسـاء مقارنـة بالرجـال، وأن نـوعهم وديمـومتهم كطائفـة بـدأت بالتاثر السلبي (وخاصـة أنهـم طائفـة صـغيرة تتـأثر بتلك الأمـور مثلمـا أوضـحنا أعـلاه) فلـذلك ارتـأى أصـحاب الشـأن أن يسـمحوا حتـى ولـو بحـدود ضـيقة بتلـك الزواجـات المتعددة في سبيل ديمومة ووجود الطائفة. أعتقد شخصياً ومثلما يؤكدها الكثير من البـاحثين والمهـتمين بـأن الحيـاة والبيئـة والإشـكاليات الحياتيـة والمعيشـية والظـروف (وحتى الاقتصادية منها) التي يعيشها الإنسان وعلى مختلف العصور والأزمان لها تأثير كبير جداً على التفكير الإيدولوجي والديني والاجتماعي والنفسـي للانسـان، فتلك الامور استطيع ان امثلها كالبوصلة التي تحدد الطريق للتفكير الإنسـاني مـن حيـث يـدري أو لا يـدري. السـؤال الـذي يطـرح نفسـه هـو كيـف نسـتفيد مـن تلـك الظـروف ونحولهـا قـدر المسـتطاع لفائـدة ومصـلحة الطائفـة والفكـر الـديني الإيمـاني لأبنائهـا وبالتالي ديمومتها وبقائها ؟!!.

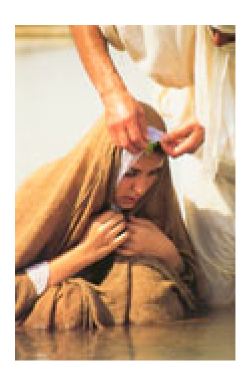
الظـروف الـتي تعيشـها الطائفـة مـن كافـة النـواحي، والـتي اختلفـت تمامـاً مـع ظروف القرن الماضي .. والأكثرية وخاصـة المثقفة مـن الطائفـة تتحسـس المشـاكل لا بـل الإشـكاليات الـتي تواجـه الطائفـة كمنظومـة دينيـة، وهويـة اجتماعيـة، وهويـة تاريخيـة. اهـم هـذه الإشـكاليات هـي البنـاء الروحـي للفـرد المنـدائي والـذي يبـدأ مـن مسـلماته الصـغيرة إلى أن ينتهـي بمسـلماته الـكبيرة والـتي ترتكـز علـى الأسـس الصحيحة للإيمان المندائي كفكر ومعتقد وفلسفة حياتية. ومن أولى هـذه المسلمات الصغيرة هي الطقوس والمراسيم الدينيـة المندائيـة، والـتي يصـطدم بهـا الفـرد المنـدائي وتكون إحدى مشاهداته الأوليـة للـدين المنـدائي. هـذه الطقـوس الـتي لهـا أهميـة جـداً كبيرة علـى روحيـة الفـرد المنـدائي وإيمانـه، هـي لا تقـل أهميـة عـن الإيمـان بالمعتقـد والفكـر المنـدائي إذا لم تكـن هـي بدايـة النفـق للـدخول في رحـب الديانـة المندائيـة .. والسـؤال الـذي يطـرح نفسـه: هـل طقوسـنا تجـري بالشـكل المطلـوب لا بـل بالشـكل الصـحيح الـذي نبغـي بـه تحقيـق الأهـداف الإيمانيـة والاجتماعيـة للفـرد المنـدائي ؟!!

ومثلما قال البعض بأن فهم السؤال وطرحه، تعني نصف الإجابة، أي نصف معرفة الحقيقة وإعطاء الحل الصحيح.

هذا الموضوع يشغل بال الكثير من رجال الدين ومثقفي الطائفة في كل مكان، ولاننسَ ما عرضته الكثير من المجلات المندائية من مقالات تمس هذا الموضوع من قريب أو بعيد، وخاصة تلك المحاولة الجريئة التي قامت بها مجلة الصدى في عام ٢٠٠١، والتي أحدثت زوبعة من النقاشات والمجادلات .. ولكن للأسف تم إخمادها بسبب أو بدونه، فحبذا لو تستمر هذه النقاشات وتتحول بالتالي إلى بحوث ودراسات هادفة، لكي تسند عليها الطائفة هيكليتها الروحية وحتى الاجتماعية.

مخالفات في شريعة الزواج

إن الديانة المندائية لاتقر مبدأ تعدد الزوجات، ولكن هنالك مندائيين متزوجين من عدة نساء ومنهم رجال دين ؟!. إن هذا الأمر لا يعطي شرعية مبدئه الديني .. مثلما نقول بأن المندائية ليس فيها طلاق، ولكن هنالك امثلة كثيرة على الطلاق بين أبناء طائفة الصابئة المندائيين. وإن زواج أخت الزوجة محرم في الديانة المندائية، ولكن بالفعل هنالك حالة أو حالتين بين أبناء الطائفة، وهو بالتالي لا يدعو إلى إباحته أو يدلل على شرعيته الدينية المندائية.



إن مراسيم الزواج المندائي ترتبط اجتماعياً في بعض الأحيان مع العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة، لأن أي فكر وأي ممارسة لا تنفصل عن البيئة

الاجتماعية التي يعيشها الناس عامة ... فلذلك يجب الحذر عند اتخاذ المواقف والرؤى الدينية فيما يخص المراسيم الدينية ، ويجب الفصل فيما بين العادات والتقاليد والتأثير البيئي وفيما بين جوهر الطقس ومفهومه الروحي الذي لايمكن المساس به لأي الأسباب لأن ذلك يأخذنا إلى نتيجة مفادها ضياع وزلزلة المنظومة الدينية الروحية المندائية ..

الأبيسق

الأبيسق وهو رجل دين برتبة ترميذا ، يقوم بعقد قران لإحدى الثيبات، فتنزل مرتبته الدينية ويسمى بعد ذلك أبيسق ويختص عندها بعقد قران الثيبات الغير عذراوات .. لأن أي رجل دين يقوم بتصعيد تاجه ويعقد قران لامرأة ثيب يعتبر تاجه ملوثاً ، ولا يحق بعدئذ أن يعقد قراناً لأي فتاة عذراء. وهذه الرتبة الدينية (أبيسق) استحدثت في المندائية عبر تاريخها ولظروف معينة مر بها المندائيون، للتخلص من مسألة زواج الأرملة والمطلقة التي تكاثرت حالاتها.



الصلاة

الركن الأساس الذي يعتبر من أهم أعمدة الطقوس المندائية وهي فرض على كل مندائي.

الصلاة هي الصلة التي تربط المؤمن بالخالق (م) جاعلاً من هذه الصلة بذراً صالحاً ينبت في جوهر الذات والضمير وهذه البذرة الصالحة لا يمكنها النمو والنضج ما لم يكن هناك إيمان صادق وفكر واعٍ مؤمن بعظمة الخالق يجعل هذه الصلة تسمو شيئاً فشيئاً لتصل إلى باريها ..

من هذه الصلة تنبع الصلاة عبر علاقة التواصل والتفاعل أي الاتحاد (اللوفا) ليصبح عملاً صالحاً يدعى الصلاة فتتحدث الوصايا (**ادعوا من تحبونه ليستمع إلى التسابيح التي وهبكم ربكم لعله يؤمن ويطيع) الكنزا ربا (م)** .

أما لماذا نحتاج الصلاة ؟ فالجواب هو العمل .. فاليوم نحن نعيش في وسط عالم مليء بالمغريات والرغائب وحينما نقع في شدة الحاجة والعوز نتضرع إلى الباري لسد حاجتنا وعند حصول المنال نقدم الشكر له .

وهنا تظهر صورة الإيمان الحقيقي للداعي فمنهم من قُضيت حاجته وزاد خيره وتناسى الشكر إلى صاحب الفضائل ومنهم من لم تقضَ حاجته فترك إيمانه الضعيف على صاحب القدرة لضعف إرادته في السعي . ولكي يقوى إيماننا نحتاج إلى التسلح بالصبر والعزم والحلم .. كي نتحمل مصاعب الحياة .. فلا شيء يأتي إلا بالشقاء والتعب حيث تصف تلك الوصايا (**إن أصابكم سوء فاصبروا واثبتوا في إيمانكم .. لا تلووا ألسنتكم ولا تثنوا ركبكم ولا تحنوا رؤوسكم) الكنزا ربا (م)** .

ومنهم من يصاب بسوء في صحته متضرعاً لطلب الشفاء والعافية. الخ

لذلك علينا أن نعلم أن الشكر في حوائجنا كان في دافع تحقيق الغاية فينا فقط .. لذلك نحتاج إلى أن نتفرغ لوقت خالٍ من حوائجنا لطلب الشكر والاعتراف بجميع الفضائل.. ولذلك يا إخوتي ..

(إن أردتم إن تدركوا الصلاة فليس لحاجة فيكم أو غاية في غرائزكم أو حوائجكم أو في ضعف عافيتكم .وإنما ليأتي الواحد منا بكامل صحته ووفرة

خيرا تـه ليطلب الشـكر والطاعـة والاعـتراف الحقيقـي معبراً عـن اعترافـه بفضـائل الخالق (م) مطيعاً خاشعاً مؤمناً بأنه يعرف حاجتنا في ذاتنا قبل أن تنطق بها أفواهنا.. لذلك فإن الصلاة رحمة لنا منقذ ومخلص لخطايانا وصلة الاقتراب من رحمـة ومحبـة الخالق علينا).

لـذلك تعتـبر فرضـاً واجبـاً علينـا كمـا يصـف تحـذير منـداة هيـي للمـؤمنين (**يا أصفيائي مع انفلاق الفجر تنهضون وإلى الصلاة تتوجهون وثانية في الظهر تصلون ثم صلاة الغروب فبالصلاة تتطهر القلوب وبها تغفر الذنوب)** كنـزرا ربـا (م) .. كمـا إن هنـاك هـدفاً أسـاسـياً يجـب أن يتحقـق في رحمـة الصـلاة وهـي الحيـاة أي التجـدد والتفاعل، فهناك الكثير ممن يردد الصلاة على لسانه وهو لا يعـرف لماذا ومـنهم مـن يشرد فكـره خـارج ارتبـاط صلة الصـلاة ليجعـل هـذا الفـرض عمـلاً روتينيـاً ناسـياً أن يؤدي الواجب في أتم صورة .. ومـنهم مـن يتكـاسـل في أداء الفـرائض ومـنهم مـن يـدمج الفرائض ومنهم من يجتهد فيقول .. فرض خير من العدم ليؤديها . وهـذا مـا يتحـدث بـه الكتاب التاسع:

(**يـا انـوش ❖ علـم النـاصـورئيين والمنـدائيين علمهـم الصـلاة في أوقاتهـا وعلمهـم التسبيح وليعلمـوا أن كـل صـلاة تتـأخـر عـن ميقـاتهـا .. تبقـى عنـد بـاب بيـت الحـي لا تصعد حتى يفتح باب اباثر العظيم والذين لا يؤدونها في أوقاتها سوف يسألون عن كل ما يفعلون)** الكنزا ربا (م) .

فحبل الحياة قصير جداً يـا إخـوتي ولا يعـرف أحـد منـا متـى أجلـه .. فهـل الـدقائق القلائل التي نعترف بها بذنوبنا وخطايانا شـاكرين معترفـين بكـل الفضـائل تشـكل عائقاً كبيراً في حياتنا أو تاخـذ وقتـاً مـن الحيـاة الـتي وهبـت لنـا وهـذا مـا يتحـدث بـه التسبيح الثامن

(**إنــه صــوت الحــي العظــيم الــذي ينــادي مــن لــه آذان فليســمع وليحــذر نفســه ويخشع.. طوبى لمن عرف الصلاح وسعى إليه وويل لمن ينصح غيره ولا ينصح نفسه، ويل لمن عرف طريق الحق فعدل عنه إلى الباطل .. إن أعمالكم ستذهب قدامكم يوم الضيق إنها زادكم في الطريق)** الكنزا ربا (م) .

ان دعوة الحي العظيم تناديكم وتقول لكم (أدركوا مقدار أنفسكم قبل أن يغمركم سر الموت) ولذلك يا محبي اسم (هيي ومنداة هيي) ابحثوا عن سر الحياة والتجدد في الصلاة التي هي أرقى الحورات الروحية .. كما يقول لكم هيي ربي في الصلاة (**من تعلم تسابيحي ذكر اسمه في عليين ومن استنار بكلماتي أصبح من الأثريين ومن نجا من غواية الشيطان صعد إلى بلد النور الأمين ومن صان جسده حباً بالله فهو المزكى**) كنزا ربا (م) .





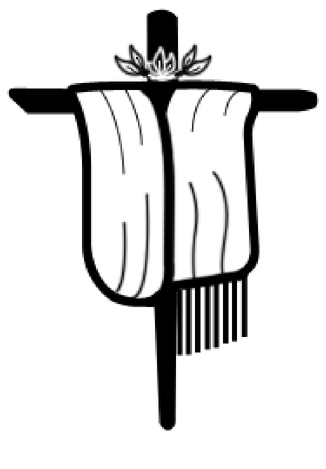









www.alriyadh.com



الفصل الرابع

المندائية والإسلام

﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾

تعريف بعض المسلمين للمندائية

الصابئة المندائية هي جماعة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم والتي تعتبر يحيى عليه السلام نبيّاً لها، يقدّس أصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها، ويعتبر الاتجاه نحو نجم القطب الشمالي وكذلك التعميد في المياه الجارية من أهم معالم هذه الديانة التي يجيز أغلب فقهاء المسلمين أخذ الجزية من معتنقيها أسوة بالكتابيين من اليهود والنصارى.

الصبأ اسم أطلقه الجاهليون على المسلمين

كثيرة هي النماذج التي تدل على تسمية أهل الجاهلية، المسلمين بالصابئين، لكن تلك التسمية كانت قليلة الاستخدام. فكانت تطلق أحياناً من بعض العوام المشركين للدلالة على انتقادهم للمسلمين والاستخفاف بدعوتهم. ومن الثابت أن المسلمين كانوا يصلحون ذلك الخطأ فيقرّون بأنهم مسلمون وليسوا بصابئة. فكان هدف المشركين من تلك التسمية الزعم بأن محمداً عليه السلام لم يأت بجديد، بل عاد لدين قديم. لكن تلك التسمية اختفت نهائياً بعدما عرف الدين الجديد، وبعدما اطلع الجميع على نصوص القرآن الكريم التي أبهرتهم بعظمتها.

صبأنا

يروى أنه بسبب اعتناق قبيلة بني جذيمة للإسلام، جذيمة بن عامر، من كنانة التي تقاتل معها خالد بن الوليد في السنة الثامنة للهجرة (غزوة القميط) فإنها كانت تقول" صبأنا، صبأنا ".

عمر الصابئي

ولأن عمر بن الخطاب اعتنق الإسلام، سمي بـ "الصابئي".

ضربوا أبا ذر

وعندما أسلم أبوذر الغفاري، كان أهل مكة يضربونه لأنه خرج عن ملّتهم. وأثار فيهم الفتنة وأصبح صابئياً برأيهم..

المشركون كانوا يسمّون المسلمين بالصبأة

وعندما أراد (معصم بن عدي) وهو من أشراف قريش، أن يزوج ابنه من بنت أبي بكر، خشي أن يؤثر " الصبأة " على ابنه، لأن المشركين كانوا يسمون المسلمين بـ "الصبأة".

ألقى الصباء على متون الخيل

وفي غزوة حنين قال دريد بن الصمة [كان من أشراف بني حشم] لأحد كبار القوم : " ثم ألقى الصباء على متون الخيل ".

دين الصابئين

ولبيد الذي كان أيضاً قد ذهب إلى الرسول ليطلع على الأمور، حدّث أهله، لدى عودته، عن القيامة والجنة وجهنم، وسمى شاعر يدعى (صرافة) هذا الدين "دين الصابئين" [هو صرافة بن عوض بن الأحوض: الاغاني للاصفهاني ١٥:١٣١] .

رفض المسلمين للتسمية

ويذكر أنه عندما أسلم عمر بن الخطاب، نشر جميل بن معمر [مجمع البيان ٤:٣٣٤ ل] وسط قريش أن عمر بن الخطاب صار صابئياً. بيد أن عمر نفى ذلك معلناً اعتناقه الإسلام. لكن قريشاً قالت: " صبأ عمر "[سيرة ابن هشام ١:٣٤٩] وإن دل هذا النفي على شيء فإنما يدل على عدم تقبل المسلمين هذه التسمية، في حين أنهم لم يعارضوا إطلاق تسمية " الحنيف " أو " الأحناف" عليهم، وهذا ماحدا باللغويين

العرب ان يشتقوا كلمة "صابئ" من "صبأ" التي تعني تبديل الدين. بيد أن علماء اللغة المعاصرين سلكوا طريقاً آخر.

الصابئة المندائيّون بعد الفتوحات الإسلامية

الظروف التي مر بها الصابئة بعد انتصار المسلمين في معركة القادسية على الفرس سنة ٦٣٥م ودخول العراق في إطار الحكم الإسلامي وطبقاً لأحكام الإسلام فإنه يتعين على سكانه أن يعتنقوا الإسلام عدا من هم من أهل الكتاب والصابئة هم واحدة من أصحاب الكتاب حيث جاء ذكرهم في العديد من سور القرآن الكريم. في القرن الثالث الهجري كان العراق يمر بأوضاع اجتماعية بالغة التعقيد وكانت التناقضات الفكرية في المجتمع العربي الإسلامي قد بلغت من الحدة درجة دفعت إلى انفجار حركات وصراعات اجتماعية واسعة ومثيرة شملت أعداداً غفيرة من الناس وامتدت إلى اقاليم شاسعة، وأحدثت أصداء مختلفة ابرزها ثورة بابك الخرمي، وثورة الزنج، وحركة القرامطة، لقد هزت هذه الحركات الثلاث المجتمع ونشطت صراعاً فكرياً واسعاً، لاسيما في العراق مركز الخلافة الإسلامية، وقد مسّت حياة الصابئة في الكثير من الجوانب مما جعلهم يؤثرون الابتعاد كلية عن مجرى الأحداث دفعاً للمخاطر التي قد تتهددهم وتهدد دينهم، وإن ردة فعلهم كانت مزيداً من الانغلاق على النفس والإيغال في تصليب القشرة الطقسية لمعتقداتهم الدينية، أما المثقفون الصابئة فقد تأثروا من جانبهم بما أحاطهم من تقدم فكري وحضاري عام شمل الخلافة العباسية كلها، ويورد مثال الصراع الذي خاضه الفيلسوف الطبيب **ثابت بن قرة** مع أفراد ملته من الصابئة أدى به إلى ترك مدينته حران والتوجه نحو بغداد إلا أنه لم يتخل عن دينه حتى بعد أن علت منزلته لدى البلاط العباسي . إلا أن بعضهم تحمل كثيراً من العناء دفاعاً عن معتقداته مثل الكاتب الشهير "أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابي" الذي خدم في بلاط معز الدولة البويهي . فقد حاول عادل الدولة البويهي ان يرغمه على اعتناق الإسلام لكنه رفض. وبالمقابل فإن الكثير منهم اعتنقوا الإسلام.

وأثر غزو المغول للعراق، وتدهور الخلافة العباسية، تشتت الصابئة وآثر بعضهم العودة إلى ديار مضر في اعالي الفرات، وآخرون انحدروا باتجاه الجنوب ليلتحقوا بإخوانهم الذين يقطنون بطائح ميسان، ويحتمون بالعزلة هناك . ويسود الاعتقاد بأن الذي صان المجموعة وأبقاها طائفة متماسكة، وإن أصبحت جماعة صغيرة، رغم كل ما واجهته في القرون التالية، لاسيما في العهد العثماني، ليس المزايا الروحية لمعتقداتهم وإنما الروح الدوكماتية التي فرضت نفسها على هذه المعتقدات، وتحولت صرامتها إلى مصدة اجتماعية حقيقية تحول دون تبعثر الجماعة، كذلك ساعدتها العزلة الشديدة التي التجأت اليها في منطقة جغرافية مواتية تماماً لهذا الانعزال حتى الثلث الأول من القرن العشرين .

وفد الصابئة وسعد بن أبي وقّاص

هناك نص مندائي تاريخي. وهو الذي يبين بأنه عندما جاء الإسلام وجعل يميز بين الأديان ذات الكتب المنزلة والأديان التي لم تكن موجهة من السماء قدم الريشما (آنوش بن دنقا) ٦٣٩ - ٦٤٠ ميلادية - الذي ترأس وفد الصابئة المندائيين كتابهم المقدس كنزاربا (الكنز الكبير) للقائد العربي الإسلامي آنذاك، وربما كان سعد بن ابي وقاص، وأطلعه على ديانتهم كما ذكر له بأن نبيهم هو يحيى بن زكريا الذي يجله المسلمون فقبل منهم ذلك وأكرمهم.

روايات إسلامية عن الصابئة

ذكرهم أبو فرج النديم (ت٣٧٧هـ)، وأبو الحسن المسعودي(٣٤٦هـ) وأبو الريحان البيروني (ت٤٤٠هـ)، بما هم عليه الآن، وذكر آخرون علاقتهم بأنبياء وشخصيات قديمة، لا يخلو منها كتابهم "الكنزاربا". وأقدم من هذا قال الطبري مفسراً معنى الصحف الأولى: هي التي "نزلت على ابن آدم هبة الله، وإدريس عليهما

السلام". وقصة معراج دنانوخت (إدريس)، والكتب التي نزلت عليه، ومعراجه إلى السماء السابعة، واضحة في نصوص "الكنزاربا".

ينبئ الفقه والتاريخ الإسلاميان عن اعتراف ضمني وواضح بالدين المندائي، ولو سمع الخلفاء صوت المتشددين على شاكلة أبي سعيد الأصطخري وابن فضلان لما ظل على وجه الأرض مندائي، ولو كان وجودهم ينافي عقيدة الدولة الدينية ويتعارض معها لاجتهد الفقهاء وتحايلوا على إزالتهم، ولو رأى الناس منهم مثلما ورد في رسالة الشيخ العقيلي لهبت العشائر والمحلات على قمعهم وهم القلة القليلة بين الملايين.

رواية الطبري

قال الطبري كان "مُلك بيو راسب في عهد إدريس، وقد وقع إليه كلام من كلام آدم، صلوات الله عليه، فاتخذه في ذلك الزمان سحراً، وكان بيو راسب يعمل به، وكان إذا أراد شيئاً من جميع مملكته، أو أعجبته داية أو امرأة نفخ بقبضة له من الذهب". وبيوراسب "دعا إلى ملة الصابئين... وتبعه على ذلك الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام".

ويعدُّ الصابئة الحاليون كتابهم كتاب آدم ويعدون إدريس ونوح من عظمائهم.

رواية المسعودي

يذكر المسعودي - غير الرواية الخاصة بالمندائيين الحاليين – أن الصابئة "تزعم أخنوخ بن يرد هرمس، ومعنى هرمس عطارد، وهو الذي أخبر الله في كتابه أنه رفعه مكاناً علياً، وكانت حياته في الأرض ثلاثمائة سنة، وهو أول مَنْ درز الدروز، وخاط بالإبرة، وأُنزلت قبل ذلك على آدم إحدى وعشرون صحيفة، وأُنزلت على شيت تسع وعشرون صحيفة، فيها تهليل وتسبيح".

تقترب رواية المسعودي إلى حد كبير من قصة "الكنزاربا"، فأخنوخ بن يرد هو دنانوخت نفسه وهو هرمس، وهرمس هو إدريس، وهو الذي عرج إلى السماء

السابعة، المكان العلي، ونزلت عليه الصحف، التي كان يحتفظ بها في غرفة مغلقة، ثم نزلت عليه ثمانية كتب أخرى، لم يصح منها غير الكتاب الثامن.

ويربط المسعودي بين الصابئة القدماء الحرانيين وبين المندائيين الحاليين، ثم اختصاص الأخيرين باسم الكيماريين، مشخصاً مؤسسهم الأول في الديار الهندية، قال: "رجل يقال له بوداسف أحدث مذهب الصابئة، وقال: إن معالي الشرف الكامل والصلاح الشامل، ومعدن الحياة في هذا السقف المرفوع، وإن الكواكب هي المدبرات والواردات والصادرات، وهي التي برزوها من أفلاكها وقطعها مسافاتها، واتصالها بنقطة، وانفصالها عن نقطة سبب ما يكون في العالم، من آثار من امتداد الأعمار وقصرها، وتركيب البسائط، وانبساط المركبات، وتتميم الصور، وظهور المياه وفيضها، وفي النجوم السيارة، وفي أفلاكها التدبير الأعظم وغير ذلك... فاجتذب جماعة من ذوي الضعف في الآراء، فيقال إن هذا الرجل أول مَنْ أظهر مذهب الصابئة من الحرانيين، والكيماريين، وهذا النوع من الصابئة مباينون للحرانيين في نحلتهم وديارهم بين واسط والبصرة من أرض العراق نحو البطائح والآجام".

وربما قصد المسعودي في حديثه حول كهنة الصابئة" أعلى كهنتهم يسمى رأس كمري" برئيس أمة أو ريش أمة، حسب اللفظ المندائي، وهو أعلى درجة دينية بين المندائيين الحاليين. والمسعودي قد ينفرد في تسمية الصابئة المندائيون بالكيماريين. وهي تعني "كهنة الآلهة الكاذبة" و"كهنة الأصنام" أو"كهنة عجول بيت أوان"، والجملة الأخيرة، حسب "نبوءة صفينا" من العهد القديم تعني السامرة، وهم فرقة يهودية تخالف اليهود في أمور عديدة، وتعني الجملتان الأخيرتان الصابئة، ففي العرف اليهودي أنهم عبدة أصنام.

وإن صح ذلك فالتسمية من أسماء الأضداد، مثلما يسمى القبيح بالجميل، والمعروف عن الصابئة أنهم يحرمون الختان لأسباب تتعلق بتقديس ما خلقه الله، أو تتعلق التسمية بالستر والإخفاء، والمندائيون لا يشهرون طقوسهم، فهم ديانة أقرب إلى السرية، ومن معاني الكمر الغطاء والستر، أو لها صلة بالشعر والصابئة يشددون على عدم حلاقته، فمن معاني الكمر منطقة من الشعر وهي فارسية.

ويبقى الاحتمالان الأول والثاني هما الأقرب إلى تسميتهم بالكيماريين. فالمسعودي استقى معلوماته السالفة الذكر من أحد الكهنة، قصها عليه كما قص الكهنة المعاصرون أسرارهم وطلاسمهم لليدي دراور، ولم تحفل بها إلا بعد صحبة عشرين عاماً.

السيوطي ينفي عنهم عبادة النجوم

ورد معراج إدريس (دنانوخت) في "الكنزاربا" والقرآن الكريم، وقصته واحدة من المتوافقات بين الكتابين. ورد في الآية: "وأذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً، ورفعناه مكاناً علياً". وفي صلة إدريس بالصابئة وفي محاولة تنفي عنهم عبادة النجوم أو الأصنام قال السيوطي: "إن النبي إدريس، عليه السلام، دعا الخلق إلى الله تعالى فأجابوه، وكانت عقيدته الصابئة، وهي توحيد الله تعالى والطهارة والصوم وغير ذلك من رسوم التعبدات".

أبو فرج النديم: المغتسلة

سمى أبو فرج النديم المندائية بالمغتسلة، وهو أقرب الأسماء إليهم، قال: "وهؤلاء القوم كثيرون بنواحي البطائح (الأهوار) وهم صابئة البطائح، يقولون بالاغتسال، ويغسلون جميع ما يأكلونه". وقال حول عقائدهم: إنهم "على مذاهب النبط القديم، يعظمون النجوم، ولهم أمثلة وأصنام، وهم عامة الصابئة المعروفين بالحرانيين، وقيل إنهم غيرهم جملة وتفصيلاً".

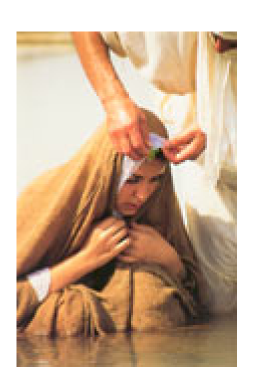
وفي العبارة الأخيرة تراجع النديم عن الخلط بين الحرانيين والصابئة المندائيين رغم أنه نقل قصة عن أبي يوسف أيشع القطيعي النصراني أشارت إلى حادثة غريبة تؤرخ إلى سبب اتخاذ الحرانيين اسم الصابئة، بعد أن خيرهم الخليفة عبد الله المأمون بين الإسلام أو الالتحاق بدين من الأديان الكتابية، واختاروا الصابئية لورودها في القرآن بناءً على نصحية أحد العارفين.

وأكثر الظن، أن النديم في تسمية ملة من الملل بالرشيين كان يعني دون قصد المندائيين، وربما سجل ذلك نقلاً من أفواه الآخرين، يظهر ذلك من اهتمام هؤلاء

بالماء الحي والظلام، فقد جاء في مقالة الرشيين، وللاسم متعلق مباشر برش الماء:"لم يكن غير الظلمة فقط، وكان في جوفها الماء، الريح، وفي الريح الرحم، وفي الرحم المشيمة، وفي المشيمة البيضة، وفي البيضة الماء الحي، وفي الماء الحي ابن الأحياء العظيم، وارتفع إلى العلو، فخلق البريات والأشياء والسموات والآلهة".

هم الصابئيون الإبراهيمية

أورد أبو فرج النديم أموراً هامة أخرى، لها صلة بكتاب الصابئة المقدس، ذلك الكتاب الذي رفعه رئيس كهنتهم، المدعو دنقا، يوم دخول العرب المسلمين العراق، ليبين لهم أن قومه من أهل الكتاب. قال النديم عن أحمد بن عبد الله بن سلام مولى هارون الرشيد: "ترجمت هذا الكتاب من كتاب الحنفاء، وهم الصابئيون الإبراهيمية، الذين آمنوا بإبراهيم عليه السلام، وحملوا عنه الصحف، التي أنزلها الله عليه، وهو كتاب فيه، إلا أني اختصرت منه ما لابد منه ليعرف به سبب ما ذكرت منه اختلافهم وتفرقهم، وأدخلت فيه ما يحتاج إليه من الحجة في ذلك من القرآن والآثار، التي جاءت عن الرسول (ص) وعن أصحابه، وعن مَنْ أسلم من أهل الكتاب".



الحق المتسامي

وأشار إليهم، لا عن قصد أيضاً، بالكشطيين، ومعروف أن كلمة كشطا كلمة مندائية تعني العهد أو الحق، وتتكرر كثيراً في كتاب "الكنزاربا" وتأتي

مركبة: مشوني كشطا، "أي الحق المتسامي، وهو عالم مثالي وموطن الآدميين السماويين، وفيه أشباه المخلوقات والأدوات الأرضية، ويكون موقعه في الشمال من الكون، حيث يقع عالم النور". جاء في مقالة الكشطيين: "إنه قبل كل شيء الحي العظيم، فخلق من نفسه ابناً وسماه نجم الضياء، ويسمونه الحي الثاني (لعله مندادهيي) ويقولون بالقربان والهدايا والأشياء الحسنة".

قد ينفرد النديم في ذكر المندائيين بالتسميات الدالة عليهم، مع الاختلاف في المقالات والعقائد، وينفرد أيضاً في ذكر علاقتهم بالمانوية، وهي ديانة وفلسفة في آن واحد، ظهرت بالعراق في القرن الثالث الميلادي، من أهدافها إقامة كنيسة بابل وأن الوحي والاجتماع المانوي الرسمي لا يتم إلا ببابل، وهذه العلاقة تقدم برهاناً على قدم المندائية بجنوب العراق، حيث جداول المياه العذبة بالأهوار.

بدأت المانوية بصوت سمعه فاتق والد ماني، ناداه من الهيكل قائلاً: "لا تأكل لحماً ولا تشرب خمراً ولا تنكح بشراً، تكرر ذلك عليه دفعات في ثلاثة أيام، فلما رأى فاتق ذلك لحق بقوم كانوا بنواحي دستميسان معروفين بالمغتسلة، وبتيك النواحي والبطائح بقاياهم إلى وقتنا هذا (القرن الرابع الهجري)، وكانوا على المذهب الذي أمر فاتق الدخول فيه، وكانت امرأته حاملاً بماني، فلما ولدته زعموا أنها كانت ترى له المنامات الحسنة، وكانت ترى في اليقظة كأن أحداً يأخذه، فيصعد به إلى الجو ثم يردّه".

وأخيراً، لا ندري إن كان اسم ماني مشتقاً من المانا المندائية، التي تفيد عدة معانٍ، كل واحدة منها مناسبة لصفات الأنبياء، وهي: العقل، الوعاء، النفس، وقد تأتي بمعنى ملاك ذي مرتبة سامية.

البيروني: الحرانية ليسوا صابئة

روى أبو الريحان البيروني عن آخر: "إن هؤلاء الحرانية ليسوا الصابئة بالحقيقة، بل هم المسمون في الكتب بالحنفاء والوثنية، فإن الصابئة هم الذين تخلفوا ببابل من جملة الأسباط الناهضة في أيام كورش، وأيام أرطحشست إلى بيت المقدس، ومالوا إلى شرائع المجوس، فصبوا إلى دين بختنصر، فذهبوا مذهباً ممتزجاً من المجوسية

واليهودية كالسامرة بالشام، وقد يوجد أكثرهم بواسط وسواد العراق بناحية جعفر والجامدة ونهري الصلة، منتمين إلى أنوش بن شيت، ومخالفين للحرانية عائبين مذاهبهم لا يوافقونهم إلا في أشياء قليلة، حتى أنهم يتوجهون في الصلاة إلى جهة القطب الشمالي والحرانية إلى الجنوبية".

ولرواية البيروني صلة بمندائيي اليوم، فقد ورد في كتاب "كنزاربا" فصلاً تحت عنوان "تساؤلات آنوش"، جاء في بدايته: "باسم الحي العظيم.. جالس في بلد الضياء، متطلع إلى الأرض والسماء، أنا أنوش الأمين بن شتيل (شيت) الأمين بن آدم الأمين ابن الملائكة ذوي الوقار، ابن بلد المعرفة والتسبيح والأنوار". غير أن البيروني، الذي نقل هذه المعلومة الهامة، أعتذر في كتاب آخر عن ذكر المندائيين، بقوله: **"الصابئون في كتاب الله تعالى مقترنو الذكر بالطوائف الذين قدمنا ذكرهم، فأما الكائنون بسواد العراق، حوالي قرى واسط، فما حصلت من أسبابها على شيء البتة".**

رد أبو الريحان على روايات اتهمت الصابئة بأمور منافية لوداعتهم وإيمانهم العميق، مثل ذبح أولادهم وتقديمهم قرابين للكواكب، قال: "ونحن لا نعلم منهم إلا أنهم أُناس يوحدون الله وينزهونه عن القبائح، ويصفونه بالسلب لا الإيجاب كقولهم لا يُحدُّ ولا يُرى ولا يُظلم ولا يجور، ويسمونه بالأسماء الحسنى مجازاً".

الجاحظ: خصاء الصابئة

جاء ذكر الصابئة المندائيين عند ابن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، وسنذكرها لا لأهميتها التاريخية بل لمخالفتها الواقع، ونميل إلى أن ابن بحر كان يقصد المندائيين بالذات، فهو من البصرة حيث ديارهم في جنوب العراق، وابن بحر كأديب، صاحب نثر فني، يدخل ما يعرض من أخبار وطرائف بلا تمحيص، وربما خلق الرواية خلقاً. كتب تحت عنوان "خصاء الصابئة": "وأما الصابئون، فإن العابد منهم ربما خصى نفسه، فهم في هذا الموضع قد تقدم الروميّ، فيما اضطر من حسن النية، وانتحل من الديانة والعبادة بخصاء الولد التام، وبإدخاله النقص على النسل، كما فعل ذلك أبو المبارك الصابي، وما زال خلفاؤنا وملوكنا يبعثون إليه ويسمعون منه، ويسمر

عندهم ... وقد خصى نفسه من الصابئين رجال، قد عرفناهم بأسمائهم وأنسابهم وصفاتهم وأحاديثهم".



إن كلام الجاحظ مردود من ألفه إلى يائه، إذا كان الأمر يتعلق بالصابئة المندائيين، فقد حرمت عقيدتهم الجنة على من يعزف عن الزواج، ولا يولون عاقراً منصباً دينياً، والبوثة (الآية) التالية من كتابهم المقدس كفيلة بهذا الرد:

باسم الحي العظيم

"أيها العزاب

أيتها العذارى،

أيها الرجال العازفون عن النساء،

أيتها النساء العازفات عن الرجل،

هل وقفتم على ساحل البحر يوماً؟

هل نظرتم إلى السمك كيف يسبح أزواجاً؟

هل صعدتم إلى ضفة الفرات العظيم،

هل تأملتم الأشجار واقفة تشرب الماء على ضفافه وتثمر؟

فما بالكم لا تثمرون؟

. . .

"الرجال الزاهدون في النساء،

والنساء الزاهدات في الرجال كذلك يموتون،

ومصيرهم الظلام حين من أجسادهم يخرجون،

أثمروا إن أردتم أن تصعدوا حيث النور"

المترجم أحمد بن سلام

قال المترجم أحمد بن سلام أيضاً: "ترجمت هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل، وكتب الأنبياء والتلامذة، من لغة العبرانية والصابية وهي لغة أهل الكتاب إلى اللغة العربية، حرفاً حرفاً، ولم اتبع في ذلك تحسين لفظ ولا تزيينه مخافة التحريف، ولم أزد على ما وجدته في الكتاب الذي نقلته، ولم أنقص إلا أن يكون في بعض ذلك من الكلام ما هو متقدم بلغة أهل ذلك الكتاب".

مولى هارون الرشيد: الكتب السماوية

وعدّ مولى هارون الرشيد أنّ الصابئة يمتلكون كتاباً سماوياً، وهو واحد من الكتب السماوية، وكتب: "جميع ما أنزل الله تعالى من الكتب مائة كتاب وأربعة كتب، من ذلك مائة صحيفة أنزل الله تعالى فيما بين آدم وموسى، فأول كتاب أنزله الله جل اسمه على شيث عليه السام، وهي إحدى وعشرون صحيفة، والكتاب الثالث أنزله الله على أخنوخ (مصحف من الاسم المندائي دنانوخت) وهو إدريس عليه السلام، وهو ثلاثون صحيفة، والكتاب الرابع أنزله جل اسمه على إبراهيم عليه السلام وهو عشر صحائف".

جدل إسلامي عن تاريخ كنزا ربا

الصابئيون يعتقدون أن كتاباً من كتبهم نزل على يحيى بشهادة القرآن: "يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحلم صبياً". غير أن المفسرين المسلمين أشاروا إلى أنه كتاب "التوراة" لا الكتاب المندائي.

تجعلنا رواية النديم عن مولى هارون الرشيد نشكك فيما ذهب إليه الكرملي إلى أن تاريخ كتابة "الكنزاربا" كان بداية القرن الثامن الميلادي، وبالتحديد السنة (٧٠٨ الميلادية)، وحسب قوله توصل إلى ذلك بعد قراءة حوادث الكتاب. وغير ما جاء في "الفهرست"، عن مولى الرشيد، ذكر ابن أبي أصيبعة أن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ، مصنف كتاب "شرح مذهب الصابئي"، ترجم كتاباً إلى العربية

بعنوان "السور والصلوات التي يصلي بها الصابئون"(٩٨)، ولا يستبعد أن يكون أحد كتبهم الحالية.

هناك تأثيرات مندائية، تعد من ثوابت الدين، قد دخلت بعض الحركات الإسلامية ومنها تحريم الختان، فقد حرم بعض رؤساء الفرق السرية الإسلامية الختان للسبب نفسه، وهو عدم إنقاص ما خلق الله في الجسد، فقد شاع عن عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب أنه شرع لأصحابه، وهم جماعة من الشيعة "تحريم الختان، وقال (ما قالته الصابئة): إن المختتن راغب عن خلق الله، ولولا الشعر والظفر ميتان وعلى الحي مفارقة الميت ما قلمنا ظفراً ولا خففنا شعراً".

في طقس أو ممارسة الختان يقف المندائيون واليهود على طرفي نقيض، فبالوقت الذي جعلته اليهودية شرطاً أساسياً من شروط الديانة، جعلت المندائية ممارسته خروجاً من الديانة. فالذي لا يختتن لا يكون يهودياً، بمعنى "الختان علامة انتماء للشعب اليهودي، وعلامة عهد بين الله وهذا الشعب"، والذي يختتن ليس مندائياً، لأنه تجاوز فطرة جسد الإنسان، ولا يجوز إنقاص خلقة الله.

انتصار هيبل زيوا

ومن التاثيرات المندائية الأخرى في المحيط الإسلامي نرى قصة صراع وانتصار هيبل زيوا المندائي متجسدة في مقالة "أصحاب بن حرب" في محمد بن الحنفية، يوم يخرج من البلد الأمين ويقضي على الجبابرة بسيف من شق صاعقة يكور به الشمس "ثم يعود في عمق الأرض حتى إذا بلغ الماء الأسود والجوّ الأزرق صاح به صائح بسمع الثقلين (الجن والأنس): قد شفيت قد شفيت، فيمسك عند ذلك ويعود إلى البلد الأمين". فالماء الأسود عند المندائيين هو مكان كائن الظلام الروهة في أسفل السافلين من طبقات الأرض، والجو الأزرق هو لون ثيابها، لذا يكره الدين المندائي ارتداء الثياب الزرقاء.

صابئة مدينة واسط
خلال العصر العباسي ٣٢٤-٦٥٦ هـ

بعد سقوط الحكم الأموي وانتقال الخلافة للعباسيين وبناء بغداد على يد (أبو جعفر المنصور) عام ١٤٥هـ ، واختيارها عاصمة للدولة العباسية، بقيت واسط من الأقاليم المهمة في العراق، وخلال القرن الرابع الهجري حدثت تقسيمات إدارية مهمة في العراق أصبحت واسط إحدى الولايات المهمة والمرموقة حيث ضمت مدناً عديدة وقرى وقصبات كثيرة .

ويقول الأستاذ عبد القادر سلمان المعاضيدي في كتابه (واسط في العصر العباسي): وكان يسكنها خليط من العرب والفرس والاتراك والديلم والنبط والزط، وقد تعايشت فيها طوائف دينية إلى جانب المسلمين، اذ كان هناك نصارى ويهود وصابئة مندائيون .

ويوضح الأستاذ المعاضيدي : لقد كانت مناطق وجودهم (الصابئة المندائيين) تمتد من واسط إلى خوزستان في منطقة (الطيب ماثا) بعد هجرتهم ونزوحهم من مدينة حران وقبلها من فلسطين، كما ورد ذلك في أحد كتب المندائيين كتاب (حران كويتا) المدون باللغة المندائية.

كما أن هناك العديد من المصادر تشير إلى أنهم سكنوها قبل الفتح الإسلامي بزمن طويل، وعندما جاء الفتح الإسلامي ذهب وفد من الصابئة لمقابلة القائد العربي المسلم وعرضوا عليه أمرهم فأقرهم على دينهم فأكسبهم ذلك قوة ومنعة باعتبارهم أصحاب كتاب وظلوا بين المسلمين يؤدون الجزية . فقد كتب الأستاذ عزيز سباهي في كتابه المهم: (جذور الصابئة المندائيين ص١٩٣ مانصه (**أنش بر دنقا**، كان يشغل أعلى المراكز الدينية عند المندائيين، قد ذهب وبصحبته مجموعة من وجهاء المندائيين إلى قائد الجيش الإسلامي وأوضح له طبيعة دينهم. وعرض عليه كتابهم الديني (الكنزا) لكي يضمن لقومه التسامح الذي خص به القرآن أهل الكتاب، وقد تم له ذلك).

وفي صفحة ١٨٠ من كتاب الأستاذ عزيز سباهي يقول : (ورد في كتاب (حرّان كويتا) أنهم كانوا جماعة كبيرة، وأن في الأيام الأولى من وجودهم في بلاد ما بين النهرين وليس في ميسان وحدها، كان هناك أربعمئة مشكينا (أي مندي، وهو المعبد المندائي) .

وعن دور الصابئة في المساهمة في بناء الحضارة في بلاد الرافدين يشير الأستاذ (عزيز سباهي) في صفحة ٩ من كتابه (جذور الصابئة المندائيين) (لعب الصابئة، رغم كونهم طائفة دينية صغيرة، دوراً ملحوظاً في تطور الحياة الروحية والفكرية في بلاد مابين النهرين خلال ظهور المسيحية وانتشارها أو بعد ظهور الإسلام، ولاسيما بعد ازدهار الحضارة العربية ـ الإسلامية أيام العباسيين، ولمعت من بينهم شخصيات علمية أسهمت بقسط وافر في إعلاء شأن الحضارة العربية ـ الإسلامية) .

ويشير الأستاذ عبد القادر سلمان المعاضيدي في كتابه (واسط في العصر العباسي) لقد سكن الصابئة المندائيون في الجانب الغربي من مدينة واسط وكان لهم درب خاص بهم سمي(درب الصاغة) لأنهم كما يشير المؤرخ (الخطيب البغدادي) اشتهروا بمزاولة الصياغة كحرفة خاصة بهم .

ويشير الأستاذ عبد القادر المعاضيدي في بحثه لقد ساعد وجود الصابئة في واسط على ظهور علم الفلك فيها لمعرفتهم الواسعة في علم الفلك والرياضيات. تلك المعرفة التي نقلوها معهم من مدينة حران المشهورة في علم الفلك. ويشير إلى وجود (البيت المندائي) الذي يعد من أهم البيوتات التي ساهمت في بناء وتطوير الحياة الفكرية والثقافية في واسط، فيقول (إذ اشتهرت في واسط عائلة عريقة في القضاء والعلم والرواية وهي من أصل (مندائي) ساهمت في تطور الحياة العلمية فيها .

رأي ابن تيمية بالصابئة

من الجائز أن تكون طائفة مشركة من الصابئة كانت قد وجدت في القرون الأولى للإسلام ثم اندثرت واختفت، أو أنها انحلّت في الوسط الإسلامي.، فبعض المصادر ومنها ابن تيمية تؤكد وجود صابئة مشركة تعبد النجوم. فقد حقق شيخ

الإسلام ابن تيمية في كتاب الرد على المنطقيين ط٦ (ص٤٥٤ وما بعدها) حقيقة الصابئة كما وردت في القرآن الكريم فقال:

إن الصابئة **نوعان**: صابئة حنفاء وصابئة مشركون.

أما **الصابئة الحنفاء** فهم بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل من اليهود والنصارى. وهؤلاء حمدهم الله وأثنى عليهم.

والثابت أن الصابئين قوم ليس لهم شريعة مأخوذة عن نبي، وهم قوم من المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين، ولكنهم عرفوا الله وحده، ولم يحدثوا كفراً، وهم متمسكون "بالإسلام المشترك" وهو عبادة الله وحده وإيجاب الصدق والعدل وتحريم الفواحش والظلم ونحو ذلك مما اتفقت الرسل على إيجابه وتحريمه وهم يقولون "لا إله إلا الله" فقط وليس لهم كتاب ولا نبي. والصحيح أنهم كانوا موجودين قبل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأرض اليمن.

وأما الصابئة المشركون فهم قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية.

وعلى ذلك فمن دان من الصابئة بدين أهل الكتاب فهو من أهل الكتاب، ومن لم يدن بدين أهل الكتاب فهو مشرك ومثالهم من يعبد الكواكب. كمن كانوا بأرض حران عندما أدركهم الإسلام وهؤلاء لا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم وإن أظهروا الإيمان بالنبيين.

وقد أفتى أبو سعيد الإصطخري بأن لا تقبل الجزية منهم، ونازعه في ذلك جماعة من الفقهاء.

إن تلك الفتاوى قد تكون نتجت عن وجود طائفة قديمة من الصابئة منحرفة تعبد الكواكب والنجوم. ونحن مسلمي اليوم رغم اقتناعنا بقدرة ابن تيمية وبسعة علمه، فلاننسى بأن نصوصه ليست مقدسة، وليست حكماً نهائياً. فصابئة اليوم نراهم يوحّدون الله سبحانه، ويرجعون عقيدتهم إلى النبي آدم، فيعتبرونه أبا الأنبياء.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية

فإن الصابئة الخارجين عن التوحيد لله وحده لا شريك له، كالمشركين والمجوس مثل فرعون موسى ونمرود إبراهيم وغيرهم من البشر معترفون بالوجود المطلق ولهذا كان أفضل علوم الفلاسفة هو علم ما بعد الطبيعة أعنى بهم الفلاسفة المشائين الذين يتبعون أرسطو فإنه عندهم المعلم الأول الذي صنف في أنواع التعاليم من أجزاء المنطق والعلم الطبيعي كالحيوان والمكان والسماء والعالم والآثار العلوية وصنف فيما بعد الطبيعة وهو عندهم غاية حكمتهم ونهاية فلسفتهم وهو العلم الذي يسميه متأخرو الفلاسفة كابن سينا العلم الإلهي وموضوع هذا العلم عند أصحابه هو الوجود المطلق ولواحقه مثل الكلام في الموجود والمعدوم ثم في تقسيم الموجود إلى واجب وممكن وقديم ومحدث وعلة ومعلول وجوهر وعرض ونحو ذلك، ثم الكلام في أنواع هذه الأقسام وأحكامها مثل تقسيم العلل إلى الأنواع الأربعة وهى الفاعل والغاية اللذان هما سببان لوجود الشيء والمادة والصورة اللذان هما سببان لحقيقة المركب وتقسيم الأعراض إلى الأجناس المقالية التسعة وهى الكيف والكم والوضع والأين ومتى والإضافة والملك وأن يفعل وأن ينفعل أو جعلها خمسة على ما بينهم من الاختلاف (مجموع الفتاوى ج ٢ - صـ ٨٣).

وصف بعض السلف الصابئة بأنهم يعبدون الملائكة وكذلك في الكتب المعربة عن قدمائهم أنهم كانوا يسمونها الآلهة والأرباب الصغرى كما كانوا يعبدون الكواكب أيضاً والقرآن ينفي أن تكون أربابا أو أن تكون آلهة ويكون لها غير ما للرسول الذي لا يفعل إلا بعد أمر مرسله ولا يشفع إلا بعد أن يؤذن له في الشفاعة وقد رد الله ذلك على من زعمه من العرب والروم وغيرهم من الأمم فقال تعالى:

﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾

وقال تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾

وقال تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ .

وقد تقدم بعض الأحاديث في صعق الملائكة إذا قضى الله بالأمر الكوني أو بالوحي الديني

وقال تعالى : ﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ ، وقال تعالى : ﴿بل عباد مكرمون﴾ مجموع الفتاوى ج ٤ - صـ ١٣٢.

وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم ونمرود هو ملك الصابئة الكلدانيين المشركين كما أن كسرى ملك الفرس والمجوس وفرعون ملك مصر والنجاشي ملك الحبشة وبطليموس ملك اليونان وقيصر ملك الروم فهو اسم جنس لا اسم علم .

فكانت الصابئة إلا قليلاً منهم إذ ذاك على الشرك وعلماؤهم هم الفلاسفة وإن كان الصابئ قد لا يكون مشركاً بل مؤمن بالله واليوم الآخر كما قال الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ .
لكن كثيراً منهم أو أكثرهم كانوا كفاراً أو مشركين كما أن كثيراً من اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا وصاروا كفاراً أو مشركين فأولئك الصابئون الذين كانوا إذ ذاك كفاراً أو مشركين وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل مجموع. (الفتاوى ج ٥ - صـ ٢١).

والمقصود أن قوله: **(منزل من ربك)** فيه بيان أنه منزل من الله لا من مخلوق من المخلوقات ولهذا قال السلف منه بدأ أي هو الذي تكلم به لم يبتدئ من غيره كما قالت الخلقية و منها أن قوله : **(منزل من ربك)** فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي من العقل الفعال أو غيره كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة وهذا القول أعظم كفراً وضلالاً من الذي قبله. (مجموع الفتاوى ج ١٢ - صـ ١٢٠).

كتب ابن الجوزي:

قال المصنف : أصل هذه الكلمة أعني الصابئين من قولهم صبأت إذا خرجت من شيء إلى شيء وصبأت النجوم إذا ظهرت وصبأ به إذا خرج والصابئون الخارجون من دين إلى دين وللعلماء في مذاهبهم عشرة أقوال :

أحدها : أنهم قوم بين النصارى والمجوس. رواه سالم عن سعيد بن جبير وليث عن مجاهد .

والثاني: أنهم بين اليهود والمجوس. رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثالث : أنهم بين اليهود والنصارى. رواه القاسم بن أبي بزة عن مجاهد .

والرابع: أنهم صنف من النصارى ألين قولاً منهم. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والخامس: أنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم. رواه القاسم أيضاً عن مجاهد.

والسادس: أنهم كالمجوس. قاله الحسن.

والسابع : أنهم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور . قاله أبو العالية.

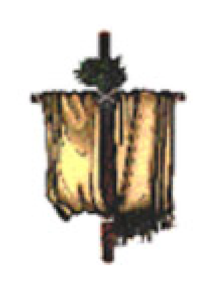
والثامن : أنهم قوم يصلون إلى القبلة ويعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور . قاله قتادة ومقاتل.

والتاسع: أنهم طائفة من أهل الكتاب. قاله السدي.

والعاشر: أنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله. قاله ابن زيد .

مما قاله المصنف

قال المصنف : هذه أقوال المفسرين مثل ابن عباس والقاسم والحسن وغيرهم فأما المتكلمون فقالوا مذهب الصابئين مختلف فيه فمنهم من يقول إن هناك هيولى كان ولم يزل يصنع العالم من ذلك الهيولى وقال أكثرهم العالم ليس بمحدث وسموا الكواكب ملائكة وسماها قوم منهم آلهة وعبدوها وبنوا لها بيوت عبادات وهم يدعون أن بيت الله الحرام واحد منها وهو بيت زحل وزعم بعضهم أنه لا يوصف الله عز وجل إلا بالنفي دون الإثبات ويقال ليس بمحدث ولا موات ولا جاهل ولا عاجز قالوا لئلا يقع تشبيه ولهم تعبدات في شرائع منها أنهم زعموا أن عليهم ثلاث صلوات في كل يوم أولها ثمان ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة وانقضاء وقتها عند طلوع الشمس والثاني خمس ركعات والثالثة كذلك وعليهم صيام شهر أوله الثمان ليال يمضين من آذار وسبعة أيام أولها التسع يبقين من كانون الأول وسبعة أيام أولها الثمان ليال يمضين من شباط ويختمون صيامهم بالصدقة والذبائح وحرموا لحم الجزور في خرافات يضيق الزمان بذكرها ، وزعموا أن الأرواح الخيرة تصعد إلى الكواكب الثابتة وإلى الضياء وأن الشريرة تنزل إلى أسفل الأرضين وإلى الظلمة . وبعضهم يقول هذا العالم لا يفنى وأن الثواب والعقاب في الناسخ ومثل هذه المذاهب لا يحتاج إلى تكلف في ردها إذ هي دعاوى بلا دليل وقد حسن إبليس لأقوام من الصابئين أنهم رأوا الكمال في تحصيل مناسبة بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال الطهارات وقوانين ودعوات ، واشتغلوا بالتنجيم والتسخير وقالوا لا بد من متوسط بين الله وبين خلقه في تعريف المعارف والإرشاد للمصالح إلا أن ذلك المتوسط ينبغي أن يكون روحانياً لا جسمانياً ، قالوا فنحن نحصل لأنفسنا مناسبة قدسية بيننا وبينه فيكون ذلك وسيلة لنا إليه وهؤلاء لا ينكرون بعث الأجساد . (عن تلبيس إبليس ج ١ - صـ ٩٢).





قال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني :

وكانت الفرق في زمان إبراهيم الخليل عليه السلام راجعة إلى صنفين اثنين :

أحدهما : الصابئة

والثانية : الحنفاء

فالصابئة كانت تقول : إنا نحتاج في معرفة الله تعالى ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه إلى متوسط لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانياً لا جسمانياً وذلك لزكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الأرباب والجسماني بشر مثلنا يأكل مما نأكل ويشرب مما نشرب يماثلنا في المادة والصورة قالوا : **(ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون)** .

والحنفاء كانت تقول : إنا نحتاج في المعرفة والطاعة إلى متوسط من جنس البشر تكون درجته في الطهارة والعصمة والتأييد والحكمة فوق الروحانيات يماثلنا من حيث البشرية ويمايزنا من حيث الروحانية فيتلقى الوحي بطرف الروحانية ويلقي

إلى نوع الإنسان بطرف البشرية وذلك قوله تعالى : ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد﴾ وقال عز ذكره : ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ .

والفرقة الأولى : هم عبدة الكواكب.

والثانية : هم عبدة الأصنام.

ولما كان الخليل عليه السلام مكلفاً بكسر المذهبين على الفرقتين وتقرير الحنيفية السمحة السهلة احتج على عبدة الأصنام قولاً وفعلاً كسراً من حيث القول وكسراً من حيث الفعل فقال لأبيه آزر : **(يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً)** الآيات حتى بلغ : **(فجعلهم جذاذا إلا كبيراً لهم)** وذلك إلزام من حيث الفعل وإفحام من حيث الكسر ففزع من ذلك كما قال الله تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم﴾ وابتدأ بإبطال مذاهب عبدة الكواكب على صيغة الموافقة كما قال تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ أي كما آتيناه الحجة كذلك نريه المحجة فساق الإلزام على أصحاب الهياكل مساق الموافقة في المبدأ والمخالفة في النهاية ليكون الإلزام أبلغ والإفحام أقوى وإلا فإبراهيم الخليل عليه السلام لم يكن في قوله : **(هذا ربي)** مشركاً كما لم يكن في قوله : **(بل فعله كبيرهم هذا)** كاذباً وسوق الكلام من جهة الإلزام غير سوقه على جهة الالتزام فلما أظهر الحجة وبين المحجة وقرر الحنيفية التي هي الملة الكبرى والشريعة العظمى وذلك هو الدين القيم وكان الأنبياء من أولاده كلهم يقررون الحنيفية وبالخصوص صاحب شرعنا محمد صلوات الله عليه كان في تقريرها قد بلغ النهاية القصوى وأصاب المرمى وأصمى . ومن العجب أن التوحيد من أخص أركان الحنيفية ولهذا يقترن نفي الشرك بكل موضع ذكر الحنيفية : **(حنيفاً وما كان من المشركين) (حنفاء لله غير مشركين به)** الملل والنحل ج ١ - صـ ٢٢٨.

قد ذكرنا فيما تقدم أن الصبوة في مقابلة الحنيفية :

وفي اللغة : صبأ الرجل إذا مال وزاغ فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم : الصابئة.

وقد يقال : صبأ الرجل إذا عشق وهوى.

وهم يقولون : الصبوة هي الانحلال عن قيد الرجال.

وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين كما أن مدار مذهب الحنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين .

والصابئة تدعي أن مذهبها هو الاكتساب والحنفاء تدعي أن مذهبها هو الفطرة فدعوة الصابئة إلى الاكتساب ودعوة الحنفاء إلى الفطرة). الملل والنحل ج ٢ - صـ ٤ .

غزو الصابئة

ذكر في كتاب (لسان الميزان) لابن حجر العسقلاني، بأن الأمير محمد بن مروان بن الحكم الأموي قد غزا الصابئة مراراً وسبى بها. وتفيد المراجع الصابئية بصحة هذه الحوادث والغزوات.

مفسرو القرآن، هل أنصفوا الموحدين المندائيين

كتب الباحث الشيعي علي القطبي مدافعاً عن المندائية يقول:

إخوانكم مسلمون من مذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) يعني شيعة إمامية جعفرية، ويجمعنا معكم عنوان الإنسانية ويجمعنا معكم الاحترام لأنبياء الله تعالى ومنهم يحيى بن زكريا النبي الذي قال فيه الله تعالى وهو يخاطب نبيه زكريا عليه السلام :﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء . فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . آل عمران

لماذ اتهم المفسرون الصابئة بتهم وهم بريئون منها.. فالقرآن الكريم وهو كلام الله تعالى يضع الصابئة في مقام الديانات التوحيدية الخالدة .. يقول كتاب الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

عجباً لبعض المفسرين الإسلاميين .. ومن السنة والشيعة أن أحدهم ينقل رواية عن رواة توفوا منذ الألف عام ويزيد وهو يقول : روى أصحابنا عن عدة من الثقاة أن الصابئة يعبدون النجوم والكواكب والشمس والقمر ويمتهنون السحر..عجيب والله عجيب .!

كتاب الله تعالى يقول عنهم الكلام والذكر الجميل والبعض يتهمهم بالكفر والشرك .. والعياذ بالله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِئِينَ وَالنَّصرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج ١٧)

اتهم بعض المفسرين المندائيين بالسحر والشعوذة في حين أن المندائيين يعتبرون السحر شركاً وكفراً بالله ويؤمنون بالله تعالى ونبوة يحيى بن زكريا .

لكن من باب آخر هناك العديد من العلماء ممن عرفوا حق هذه الطائفة واحترموها غاية الاحترام، ومعظم فقهاء الإمامية الشيعة لم يتعرضوا لأتباع هذه الديانة بالتكفير،

الفقيه العظيم الشريف الرضي. كانت له علاقة صداقة إيمانية مشهورة مع العالم الصابئي أبو إسحاق الصابئي وحين سمع الشريف الرضي بموته كتب قصيدة من ثمانين بيتاً بحق أبو إسحاق الصابئي ومما جاء فيها:

أعلمتَ مَن حملوا على الأعواد؟ — أرأيت كيف خبا ضياء النادي؟

جبلٌ هوى لو خرَّ في البر اغتدى — من وقعه متتابع الأزباد

هذا أبو إسحق يغلق رهنه — هل ذائد أو مانع أو فادي

إن الدموع عليك غير بخيلةٍ والقلب بالسلوان غيرُ جواد
ياليت أني ما اقتنيتك صاحباً كم قنيةٍ جلبت أسىً لفؤادي
ولقد كبا طيفُ الرقاد بناظري أسفاً عليك فلا لَعا لرُقادي
ثكلتك أرضٌ لم تلد لك ثانياً إني ومثلك معوز الميلاد
ضاقت عليّ الأرضُ بعدك كلها وتركتَ أضيقها عليّ بلادي
الفضل ناسب بيننا إن لم يكن شرفي مناسبه ولا ميلادي
إلا تكن من أُسرتي وعشائري فلأنت أعلقهم يداً بودادي
أو لا تكن عالي الأصول فقد وفى عِظَمُ الجدود بسؤدد الأجداد.

القرآن الكريم يكرّم الصابئة

بعض المفسرين الفقهاء صرحوا بنسخ الإسلام للأديان الأخرى بما فيها الكتابية، حسب الآية: "**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**".

بدأ التصريح بنسخ أو إلغاء الآخر عملياً في الجزيرة العربية بترحيل يهودها ومسيحيي نجران كما تقول بعض المصادر.

ولم يعترف بعض الفقهاء المسلمون للصابئة المندائيين ما اعترف لهم فيه القرآن الكريم، كأهل دين وكتاب في ثلاث سور من سوره وهي: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

تتكرر الآية بالصيغة نفسها ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾،

هل نزلت الآية في سلمان الفارسي.؟

في أسباب نزول الآية الأولى، يعبّر سبب نزولها وتفسيرها عن نزول الآيتين الأخيرتين: أنها "نزلت في أصحاب سلمان الفارسي، لما قدم سلمان على رسول الله

(ص) جعل يخبر عن عبادة أصحابه واجتهادهم، وقال: يا رسول الله كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنك تبعث نبياً، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال رسول الله: يا سلمان هم من أهل النار، فأنزل الله: إن الذين آمنوا والذين هادوا ... وتلا قوله: ولا هم يحزنون".

وروي عن، ابن مسعود وابن عباس، وغيرهما: "نزلت هذه الآية في سلمان الفارسي، وكان من أهل جندي سابور من أشرافهم". وهنا لا يقصد بديانة سلمان المسيحية أو اليهودية، فالكثير منهما دخل الإسلام قبل سلمان، وجاءت فيهما نصوص قرآنية كثيرة، لم تحتج إلى تدخل أحد، سلمان أو غيره، كما لا يقصد فيها المجوسية، وإن كانت منتشرة في بلاد فارس، حيث انحدار سلمان، لان أسباب النزول خاصة بالآية (٦٢) من سورة البقرة، والمجوس لم يذكروا إلا في سورة الحج. لذا فالاحتمال الوارد أن سلمان الفارسي واسمه الحقيقي، حسب الطبري: (مايه بن بوذخشبان بن ده ديره) كان صابئياً مندائياً، فللدين المذكور وجود ببلاد فارس، يوم كان العراق وإيران تحت حكم واحد.



أيها المسلمون المؤمنون

ورد في دعاء مندائي:"يا شلماني وامهيمنى.. يا امهيمنى وشلماني.. لا تيفخون من مملا لخون"، ومعناها: "أيها المسلمون المؤمنون، وأيها المؤمنون والمسلمون، لا تتراجعوا عن عهدكم الذي عاهدتم الله عليه".

فالآية القرآنية "ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين". يعتقد بعض المندائيين أنها تشير إلى مندائية إبراهيم الخليل. وبالتالي فهم يعتبرون الإسلام الأول الذي ورد ذكره في القرآن الكريم هو دين الصابئة..

الباحث الراحل هادي العلوي لم يشر إلى صلة لسلمان بالمندائيين، وأكد ما جاء في سيرة سلمان أنه كان مجوسياً ثم مسيحياً، إلا أنه بلا قصد أعطى إشارة إلى تلك الصلة وهي الموقف من الكنوز، يفهم ذلك من قوله: "وكنت رجحت في دراستي لمسألة تحريم الاكتناز أنها وقعت بتأثير من سلمان". وقد يعزز هذا الرأي أخبار زهد سلمان الفارسي المتماثل مع زهد كهنة المندائيين. ورد تحريم الاكتناز في الآية: "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون".

وفي كتاب المندائية المقدس "الكنزاربا" أكثر من نص يحرّم الكَنز منها:

باسم الحي العظيم

"وأن حب الذهب والفضة وجمع الأموال،

صاحبه يموت ميتتين في موت واحد"،

و"لقد ولعت بالفضة والذهب

فألقيا بك في لجة اللهب"،

و"لقد شغلني ذهبي..

وشغلتني فضتي،

ذهبي رماني في الجحيم

وفضتي أسكنتني في ظلام بهيم،

وحليّ ومرجاني..

آليت أن يصادقاني..

فأي شر علماني".

فإن كان سلمان الفارسي مسيحياً أو صابئياً، أو مجوسياً. فهو قد مارس دوراً في تأسيس مذاهب إسلامية انشقت عن الإسلام، بل بقي بعضها إلى يومنا هذا.!.

تفسير الطبري للآية

فسر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) تسمية الصابئين، حسب ما ورد في الآية (٦٢) من سورة البقرة بكلام طويل نلخصه بالآتي:

أولاً: أنهم ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا دين لهم.

ثانياً: منزلتهم بين المجوس واليهود، ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم.

ثالثاً: أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون لا إله إلا الله ولم يؤمنوا برسول الله.

رابعاً: يعبدون الملائكة ويصلّون إلى القبلة، ويصلون الخمس.

خامساً: فرقة من أهل الكتاب يقرأون الزبور.

سادساً: قبيلة من نحو السواد (العراق) ليسوا بمجوس ولا يهود ولا نصارى.

الزبور ليس صابئياً.!.

لكن ثمة مآخذ على هذا الرأي: فيما يخص الموصل، فلعل المقصودين كانوا الإيزيديين، فهم يقولون لا إله إلا الله، ولم يقروا بنبوة محمد، وقبل أن يحل فيهم الشيخ عدي بن مسافر الذي أدخل إلى دينهم ما أدخل من عقائد جديدة. وما يخص قراءة الصابئة للزبور فهي ما زالت منتشرة بين العوام بالعراق، رغم عدم صحتها، فهو من كتب اليهود، جاء ضمن العهد القديم من "الكتاب المقدس"، تحت اسم "سفر المزامير"، وهي مائة وخمسون مزموراً، أكثرها كان لداوود، لاعلاقة للصابئة المندائيين به.

يضاف إلى ذلك أن الزبور يعني الكتاب، وكتاب الصابئة زبور "الكنزاربا"، لا الزبور الذي غلب لفظه على مزامير داوود فعرفت بالزبور. ليس بين النقاط، التي أتى بها الطبري عن الإخباريين والمفسرين السابقين، ما يشير إلى المندائيين الحاليين غير الرأي القائل: "قبيلة من نحو السواد، ليسوا بالمجوس ولا اليهود ولا النصارى".

إن الجهل في تاريخ هذا الدين، جعل الطبري ينقل عن الصنعاني (ت٢١١هـ) عن سفيان الثوري قولهم:

"الصابئون قوم بين اليهود والمجوس ليس لهم دين". لكن الذي يطلع على كتاب "الكنزاربا" وترجمات الكتب الأخرى، مثل "ديوان أباثر" والرسوم الفلكية والكائنات النورانية قد يعذر الزمخشري (٥٣٨هـ) على الشطر الأخير من عبارته التالية: "قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة".

باطنية الصابئة تمثل أحد أسباب سوء فهمها

إن غموض تسمية الصابئة وأحوالهم الدينية كان سببه، كما أسلفنا، باطنية أو سرية الطقوس والنصوص، فهم قوم اعتادوا على العيش تحت الاضطهاد بداية من اليهودية والمسيحية، بواسطة المبشرين الذين اعتبروهم نصارى منحرفين، ثم المسلمين، وأبرز اضطهاد الأخيرين لهم هو فتوى القتل بحقهم من قبل محتسب بغداد والقاضي والفقيه الشافعي أبي سعيد الحسن بن يزيد الأصطخري (ت٣٢٨هـ) أيام القاهر العباسي.

فتاوى إسلامية بقتلهم

روى الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) في سياق ترجمة الأصطخري: "أفتاه بقتلهم، لأنه تبين له أنهم يخالفون اليهود والنصارى، وأنهم يعبدون الكواكب، فعزم الخليفة على ذلك، حتى جمعوا بينهم مالاً كثيراً له قدر فكف عنهم". ذكرت فتوى القتل في مصادر إسلامية ترجمت لحياة الأصطخري منها "سير أعلام النبلاء" لشمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، وعزف عن ذكرها آخرون مثل شمس الدين ابن خِلّكان (ت٦٨١هـ) في "وفيات الأعيان".

كان صاحب فتوى القتل شافعياً من أبرز فقهاء عصره، يعرف بفقيه العراق، وتولى حسبة بغداد، فأحرق مكان الملاهي. وبعد حوالي قرنين من الزمان جاء في رسالة رئيس ديوان الجوالي، محمد بن يحيى بن فضلان (ت٦٣١هـ) الشافعي أيضاً، الخاصة بأهل الذمة إلى الناصر بالله العباسي (ت٦٢٢هـ)، فقرة تذكر بفتوى الأصطخري في الصابئة والحث على تطبيقها: "الصابئة قوم من عبدة الكواكب، يسكنون في البلاد الواسطية (بين الكوت والبصرة) لا ذمة لهم، وكان في قديم

الزمان لهم ذمة، فاستفتى القاهر بالله أبا سعيد الأصطخري، من أصحاب الشافعي، في حقهم، فأفتاه بإراقة دمائهم، وأن لا تقبل منهم الجزية، فلما سمعوا بذلوا له خمسين ألف دينار، فأمسك عنهم، وهم اليوم لا جزية عليهم، ولا يؤخذ منهم شيء، وهم في حكم المسلمين والأمر أعلى".

كانت فتوى القتل المذكورة، في القرن الرابع الهجري، بعد أن أجاز الفقيه الحنفي وقاضي القضاة أبو يوسف، في القرن الثاني الهجري، التعامل مع الصابئة بأخذ الجزية منهم أسوة بـ "جميع أهل الشرك من المجوس وعبدة الأوثان وعبدة النيران والحجارة (من غير العرب) والسامرة". وحكم الإمام أبو حنيفة فيهم: "إنهم ليسوا بعبدة أوثان، وإنما يعظمون النجوم كما نعظم الكعبة"، وأضاف أبو الثناء الآلوسي: "هم موحدون يعتقدون تأثير النجوم".



والغريب في الأمر أن هذا التعامل مع الصابئة، وإن كان يحمي دماءهم، إلا أنه لا يتناسب مع حكم القرآن فيهم، أسوة باليهود والنصارى، في الآية (٦٢) من سورة البقرة. والغرابة الأكثر، أن أبا يوسف كان عراقياً من أهل السواد، والصابئة المندائيون ليسوا بعيدين عن سمعه ونظره. ويشترط أبو علي الماوردي الشافعي (ت٤٥٠هـ) في أخذ الجزية منهم "إذا وافقوا اليهود والنصارى في أصل معتقدهم، و إن خالفوه في فروعه".

وإن أجاز الاصطخري والماوردي كشافعيين أخذ الجزية من المجوس، لما ورد عن الرسول بشهادة الصحابي عبد الرحمن بن عوف أنه أخذها من أهل البحرين وكانوا مجوساً، فإن ابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ)، وهو حنبلي المذهب، قال: "الصابئة أحسن

حالاً من المجوس، فأخذ الجزية من المجوس تنبيه على أخذها من الصابئة بطريق الأَوْلى، فإن المجوس من أخبث الأمم ديناً ومذهباً، ولا يتمسكون بكتاب، ولا ينتمون إلى ملة، ولا يثبت لهم كتاب ولا شبه كتاب". وهذا اعتراف ضمني من فقيه حنبلي كبير في مذهبه، وتلميذ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد المعروف بابن تيمية (ت٧٢٦هـ)، بكتاب أو شبه كتاب للصابئة.

إن موافقة الصابئة المندائيين للإسلام هو أكثر بكثير من موافقة أو مقاربة اليهود والنصارى له، والذي يدرس كتابهم ويقارنه مع نصوص القرآن، ويدرس فقههم ويقارنه مع الفقه الإسلامي يجد الموافقة واضحة.

من جانب آخر خالفت فتوى الأصطخري وخالف حكم الماوردي وتحريض ابن فضلان ضدهم، والجميع شافعيون، إمامهم الأول محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ) حين أفتى: "الصابئون والسامرة مثلهم يؤخذ من جميعهم الجزية، ولا تؤخذ الجزية من أهل الأوثان، ولا ممن عبد ما استحسن من غير أهل الكتاب"، ومَنْ تؤخذ منه الجزية يحرم دمه ولا يطلب منه مجارات اليهود والنصارى بشيء إلا الإقرار بوجود الله. فالماوردي من أهل البصرة، حيث أحد مواطن الصابئة.

قال الشيرازي بحذر وتردد: "فيهم غموض وخلاف، وربما قيل عبدة نجوم". ويرى الطباطبائي في "الميزان" أن عقيدتهم مزيج من المجوسية واليهودية مع أشياء من الحرانية. ولعل صاحب الميزان أول المحدثين، من فقهاء المسلمين، ميز بين الصابئة الحرانيين والصابئة المندائيين، ويؤكد أسباب نزول الآية (٦٢) من سورة البقرة في ديانة سلمان الفارسي. ولا يأتي الطباطبائي، رغم بحثه المطول فيهم، بجديد على ما ورد في كتب الأقدمين.

فتاوى شيعية حول المندائية

محمد حسين فضل الله

الشيخ محمد حسين فضل الله، بحث في تراث المؤرخين، وقال:

الصابئة فرقتان:

المنديا أو نصارى يوحنا المعمدان

وصابئة حران الوثنيون،

ويذهب مستفيداً من بحوث أخرى، على الأرجح من بحث "الصابئة المندائيون" لليدي دراور، إلى أن "الصابئة الذين ذكرهم القرآن إلى جانب اليهود والنصارى من أهل الكتاب يعدون من المنديا، ولا شك في أن اسم الصابئة مشتق من الأصل العبري (ص ب أ) أي غطس، ثم سقط الغين، وهو يدل بلا ريب على المعمدانيين".

آية الله فضل الله

ولعل آية الله فضل الله ينفرد من بين علماء الدين والمفسرين بتحفظه على قبول نسخ الآيات التي ورد فيها اسم الصابئة بالآية: "ومَنْ يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"، إذ قال: "نتحفظ على هذا الجواب، لأن مدلول هذه الآية لا يتنافى مع مدلول تلك، حتى نفرض نسخ الثانية للأولى، لأن الظاهر إرادة الإسلام بمعناه المصطلح، كما يلوح ذلك من صدرها، وهو الالتقاء على قاعدة الإيمان باللّه واليوم الآخر والعمل الصالح". وهذا ما تقره الأديان المشار إليها في الآية.

الشيخ محمد جواد مغنية

ويقترب الشيخ محمد جواد مغنية، فيقول: من الصواب عندما قال في الصابئين: "قوم يقرون بالله وبالمعاد وببعض الأنبياء، ولكنهم يهتدون بتأثير النجوم في الخير والشر، والصحة والمرض، ومنهم طائفة في العراق الآن". وعلى خلاف مَنْ اشتق

تسمية الصابئة من صبأ العبرانية أي غطس وتوضأ، وجد مغنية أن التسمية مشتقة من"صبأت النجوم أي طلعت"، ويعدهم بأقدم الأديان في التاريخ.

فقهاء الشيعة لم يحرّضوا ضد المندائية

من صاحب أكبر موسوعة فقهية "جواهر الكلام" النجفي، من أعلام القرن التاسع عشر، وانتهاء بالسيد السيستاني، المرجع الشيعي الحالي بالنجف، لم نجد رأياً محرضاً في التعامل ضد أهل هذا الدين، بل إن آية الله العظمى أبا القاسم الخوئي اعتبرهم من أهل الكتاب، وقدم مرشد الدولة الإيرانية آية الله علي خامنئي بحثاً مفصلاً فيهم عدهم من أهل الكتاب ومن الأديان الموحدة.

كان أكثر اختلاط المندائيين بالمذهب الشيعي في جنوب العراق مقارنة بالأديان والمذاهب الأخرى، وكانوا سبباً في حياة المنطقة الاقتصادية، فهم لفترة طويلة ظلوا منتجي وسائل الإنتاج، من أدوات الصيد والزراعة والنقل. فلابد أن يحدث احتكاك وتعالجه فتاوى الفقهاء. قال آية الله أبو القاسم الخوئي "الصابئي كان من أهل الكتاب كما هو الظاهر"(٥٠) جاء ذلك في أمر رجل صابئي أشهر إسلامه معتنقاً المذهب الجعفري، وطالبته زوجته بالنفقة في محكمة من محاكم بغداد الشرعية.

آية الله علي الخامنئي

وطرح آية الله علي الخامنئي جملة أمور بشأنهم، فلهم بإيران طائفة كبيرة كانت جزءاً من سكان العراق قبل قطع الأهواز عنها، لهذا نظر مرشد الدولة الإيرانية في أمرهم عن قرب، باحثاً في كتبهم المترجمة إلى الفارسية والعربية، وربما كان أول فقيه يبتعد عن النصوص الشرعية، وليطلع على كتبهم ويتابع ممارستهم الدينية عن كثب، فقال: "نتيجة البحث في النقطة الأولى: إن الأقوى والأظهر بحسب الأدلة أن الصابئيين يعدّون من أهل الكتاب".

ولأنه نظر في واقع هذا الدين، لا فيما كُتب وقيل، نفى خامنئي أن يكون الصابئة ديانة متفرعة من الأديان الأخرى بل نظر إليها كديانة مستقلة. قال: "هل الصابئة يعدّون من شعب بعض الأديان الثلاثة: اليهود والنصارى والمجوس، أو إنهم

نحلة أخرى غير هؤلاء؟ والجواب على ذلك: قد علم من بعض ما ذكرنا في توضيح النقطة الأولى، فلا دليل على ما قيل، وقد مضى ما نقلناه من كلمات بعض الفقهاء، من أنهم شعبة من اليهود أو أنهم مجوسيون وأمثال ذلك مما نقله في الجواهر عن غير واحد من الفقهاء كالشافعي، وابن حنبل، والسدي، ومالك وغيرهم، بل لعل مقتضى ما ذكرنا الجزم بخلافه".

ولعل الخامنئي في كلمته التالية قدم نقداً غير مباشر للفقهاء الذين لم ينظروا في أمر هذا الدين وهو حيٌّ بينهم، قال: "والحق الذي ينبغي الاعتراف به هو أننا لا نعرف من المعارف والأحكام الدينية لهذه النحلة التاريخية، والتي أصبح المنتمون إليها موجودين بين أيدينا وفي عقر بلادنا، شيئاً كثيراً تسكن النفس بملاحظته إلى معرفة أصحابها، والباحث في هذا الموضوع يجد في حقل البحث الموضوعي فيه فراغاً كبيراً لم يسدّ مع الأسف".

وقال الخامنئي: "فمن جملة عقائدهم التي يدّعونها ويصرون عليها التوحيد".

ويستشهد آية الله الخامنئي من بوثة التوحيد النص المندائي التالي:

"إلهي منك كل شيء،

يا عظيم يا سبحان،

يا حكيم يا عظيم،

يا الله المتعال الكريم،

علت قدرتك على كل شيء،

يا من ليس له شبيه،

ولا نظير،

يا راحم المؤمنين،

يا منجي المؤمنين،

يا عزيز يا حكيم،

يا من ليس له شريك في قدرته،

أسبح باسمك".

إن ما أكده مرشد الدولة الإيرانية في حكم الصابئة المندائيين هو:

"أن في عقائدهم جملة من العقائد التوحيدية الحقّة المقبولة، وزمرة من الأباطيل المنافية للعقيدة التوحيدية الخالصة".

كل ما أفصح به آية الله علي الخامنئي في أمر الصابئة يرون هم أنه صحيح بحقهم ومنصف لهم. فمرشد الدولة الإيرانية كان شديد الوعي والحرص على المسئولية تجاه شعبه. ولم يأخذ بفتاوى السلف القدماء بل قام هو نفسه بتقصي الحقائق وبالتعرف على عقائد الصابئة وقام بمقابلة رجال دينهم وكتّابهم وصحفييهم.



صداقة الشريف الرضي بالصابئي

كانت تلك الصداقة الروحية بين مسلم وصابئي، الصداقة التي كان يضرب فيها المثل، بين جامع "نهج البلاغة" ونقيب الطالبيين وتلميذ الشيخ المفيد الشريف محمد حسين الرضي (ت٤٠٦هـ) وبين الصابئي أبي إسحاق إبراهيم بن هلال (ت٣٨٤هـ)، التي أخبارهما ملأت صفحات التاريخ وأخبار الأدب، ورسائلهما الوجدانية استغرقت كتاباً صدر بعنوان "رسائل الصابئ والشريف الرضي". وكانت أشهر قصائد الشريف الرضي في رثاء إبراهيم الصابئ، التي استغرقت ثمانين بيتاً



صورة للصابئة وهم يصلون





(الموصل.. في شمالها تقع مدينة حران الشهيرة وهي الآن تابعة إلى جنوب تركيا)

الصابئة الحرانية

سميت بالحرانية نسبة إلى بلدة حران . قال القاضي أحمد الشهير المعروف **ابن خلكان** في كتابه وفيات الأعيان وإنباء الزمان إن حران مدينة مشهورة في الجزيرة تقع على نهر بلباس أحد روافد نهر الفرات وذكر ابن جرير الطبري في تاريخه أن هاران ابن عم إبراهيم الخليل (ع) وأبو زوجته سارة عمرها أي بناها فسميت باسمه هاران وقيل إن لإبراهيم (ع) أخاً اسمه هاران أبو لوط هو الذي بناها.

وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيون نسبة إلى محل سكناهم حران ليس إلا.

رواية ابن النديم

قال ابن النديم : قال أبو يوسف أيشع القطيعي النصراني في كتابه في الكشف عن مذاهب الحرانيين المعروفين في عصرنا بالصابئة : (أن المأمون اجتاز في آخر أيامه بديار مضر يريد بلاد الروم للغزو فتلقاه الناس يدعون له وفيهم جماعة من **الحرانيين** وكان زيهم إذ ذاك لبس الأقبية وشعورهم طويلة بوفرات كوفرة قرة جد سنان بن ثابت فأنكر المأمون زيهم

وقال لهم من انتم من الذمة ؟

فقالوا : نحن الحرانية .

قال : أنصارى انتم ؟

قالوا : لا ،

قال لهم : أفلكم كتاب أم نبي ؟

فجمجموا في القول

فقال : فأنتم إذن الزنادقة عبدة الأوثان وأصحاب الرأس في أيام الرشيد والدي وانتم حلال دماؤكم لاذمة لكم . فقالوا : نحن نؤدي الجزية .

فقال لهم : إنما تؤخذ الجزية ممن خالف الإسلام من أهل الأديان . الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه ولهم كتاب وصالحه المسلمون على ذلك، فأنتم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء فاختاروا الآن أحد الأمرين : إما أن تنتحلوا دين الإسلام أو دينا آخر من الأديان التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه وإلا قتلتكم عن آخركم، فإني قد أنذرتكم إلى أن أرجع من سفرتي هذه فإن أنتم دخلتم الإسلام أو في دين من هذه الأديان التي ذكرها الله في كتابه وإلا أمرت بقتلكم واستئصال شأفتكم).

ورحل المأمون يريد بلد الروم فغيروا زيهم وحلقوا شعورهم وتركوا لبس الأقبية وتنصر كثير منهم ولبسوا زنانير وأسلم منهم طائفة وبقي منهم شرذمة بحالهم وجعلوا يحتالون ويضطربون حتى انتدب لهم شيخ من أهل حران فقيه فقال لهم : قد وجدت شيئا تنجون به وتسلمون من القتل .

فحملوا إليه مالاً عظيما من بيت مالهم أحدثوه منذ أيام الرشيد إلى هذه الغاية أعدوه إلى النوائب.

فقال لهم : إذا رجع المأمون من سفره فقولوا له نحن الصابئون فهذا اسم دين قد ذكره الله جل اسمه في القران الكريم فانتحلوه فانتم تنجون به.

وقضى أن المأمون توفي في سفرته تلك بالبذنذون فانتحلوا هذا الاسم منذ ذلك الوقت لأنه لم يكن بحران ونواحيها قوم يسمون بالصابئة .

فلما اتصل بهم وفاة المأمون، ارتد أكثر من كان تنصر منهم، ورجع إلى الحرانية فطولوا شعورهم حسب ماكان عليه قبل مرور المأمون بهم على أنهم صابئون ومنعهم المسلمون من لبس الأقبية لأنه من لبس أصحاب السلطان. ومن أسلم منهم لم يمكنه الارتداد خوفاً من أن يقتل فأقاموا متسترين بالإسلام فكانوا يتزوجون بنساء حرانيات ويجعلون الولد الذكر مسلماً، والأنثى حرانية. وهذه كانت سبيل كل أهل ترعوز وسلمسبين، القريتين المشهورتين بالقرب من حران.

تحقيق البروفسور أوليري في النص

قال **البروفيسور أوليري** عن صابئة حران : (إن قصة الحرانيين مع المأمون ماهي إلا محاولة لتفسير كيف أصبح الحرانيون يسمون بالصابئين وهو اسم نعرف الآن أنه لايعود لهم. إن الصابئين الحقيقيين كانوا في الجنوب العربي لا علاقة لهم بحران، إن المندائيين في جنوب العراق أهل معمدي الآباء المسيحيين الأوائل، والكتاب الربانيين الذين حصلوا على اسم (المتعمدين) من تطهرهم المستمر المتزمت، كانوا يسمونه بالآرامية (بالصابئين) من أصل الفعل (صبا الآرامي) بمعنى يغطس ويتعمد وكان المندائيون هؤلاء معرفيين (غنوصيين) ولم يكن أهل حران معرفيين بل كانت لهم هياكل مكرسة للكواكب مما جعل الخلط بينهم وبين المندائيين ممكناً ومن المحتمل أن تكون الإفلاطونية الحديثة الحرانية قد امتزجت بالعقائد المعرفية.

فوارق بين المندائيين والحرانيين

وليست العلاقة بين الصابئة المندائيين والحرانيين مجرد تسمية تجمع بينهم . إن هناك فرقاً في الدين كبيراً بين صابئة حران والصابئة المندائيين وهذه بعض الاختلافات فيما بينهم :

١. **اختلافهم في بناء المعابد** : يسمي المندائيون معبدهم بـ (المندي) وهو عبارة عن كوخ من القصب منصوب على شاطئ نهر جار أو نبع ماء جار حي وباب المندي متجه نحو الجنوب ومحرابه نحو الشمال لاعتقادهم أنه المكان الذي يحكم فيه على أعمال الناس بالصلاح أو الفساد يوم القيامة. ومعابد المندائية خالية من إي تمثال أو صنم لتعظيمهم الماء الحي الجاري . وفي المندي يمارسون صلواتهم العلنية بعد تعمدهم بالماء الجاري وفيه يعقدون قران زواجهم وفيه يقدمون القرابين في الأعياد. جاء في كتاب الكنزا ربا : (كل من صنع تمثالاً أو صنماً أو جسماً ليعبده من دون الله تكتوى شفاهه ويداه بنار حامية ويتمنى الموت ولكن الموت لايدركه). بينما بنى الحرانية معابدهم الحجرية على الطرز المعمارية للمعابد الوثنية الرومانية وأقاموا فيها هياكل وتماثيل للكواكب السبعة وفيها يمارسون صلواتهم بصورة سرية.

٢. **اختلافهم في الدفن وتوجيه القبور**: فالمندائيون تتجه قبورهم شمال – جنوب وللقبر في الأعلى شكل دائري ويوجه الوجه باتجاه الشمال ويضعون في فمه حصاة صغيرة أو قليلاً من التراب ويدفن مع الميت خاتم العمادة (لرجال الدين). أما الحرانيون فقبورهم تتجه غرب – شرق ويكون الرأس باتجاه الغرب والوجه نحو الأعلى باتجاه الشمال الشرقي ويدفن مع الميت متاعه وثيابه وخاتمه، وخواتمهم عليها تماثيل منحوتة على حجارة صغيرة (ومعظم فصوص الخواتم من العقيق) ولقبور الحرانية شواهد طويلة على شكل تماثيل. وفي كلا الديانتين المندائية والحرانية لا يظهرون الحزن على الميت . فاللطم والبكاء محرمان.

عقائد السحر

ثمة دراسات تحليلية تاريخية تناقض النصوص المندائية والرأي المندائي المعلن، وتقول هذه التحليلات، بأن عقائد السحر هي التي نزلت على البابليين في الألفية الخامسة ق.م وكانت بداية الحضارة السومرية في بلاد الرافدين، حيث كون السومريون العبيديون بجنوب العراق المدن السومرية الرئيسية كأور عاصمة "بابل" ونيبور ولارسا ولجاش وكولاب وكيش وإيزين وإريدو و أد.

و اشتهرت بابل في ذلك الوقت بممارسات كثير من الطقوس و التعاليم السحرية، ففي تلك الفترة تقريباً أنزل الله الملكين هاروت وماروت بمدينة بابل لتعليم الناس السحر ابتلاءً من الله عز وجل وللتمييز بين السحر والمعجزة، حتى يتبين للناس صدق الرسل و الأنبياء و كذب الدجاجلة و السحرة، و في إنزال السحر على يد الملكين في بابل يقول الله تعالى عن اليهود الذين جاؤوا من بعد نزول الملكين "هاروت و ماروت" بِمُدِدٍ طويلةٍ :

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠٢) .

و انتشر السحر في بابل منذ أيام السومريين، و بما أنه من المشهور تاريخياً أن السحر بدأ في بلاد فارس في الألف الخامسة قبل الميلاد على يد كاهن يسمى "زورستر" ويعتبر هذا الساحر واضع طرق السحر وأسسه التي سار عليها الكنعانيون والمصريون والهنود وغيرهم، فالأرجح أن يكون زورستر قد أخذ ذلك عن أهل بابل،

إذ ان البابليين السومريين العبيديين هاجروا إلى مرتفعات إيران بسبب الفيضانات السنوية التي كانت تهدد حياتهم ومزروعاتهم ونقلوا معهم تقاليدهم في بناء المنازل . و استمرت ٤٠٠ سنة حتى انحسرت مياه الفيضان عن جنوب وادي الرافدين .

وفي القرن العشرين ق.م، و في عهد الكلدانيين عاش إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان السحر قد استشرى في أهل بابل حتى ضرب المثل في إتقان السحر بحكماء وكهنة و سحرة بابل، الذين كانوا قوماً صابئين يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة، ويعتقدون أن حوادث العالم كلها من أفعالها، وعملوا أوثاناً على أسمائها، وجعلوا لكل واحد منها هيكلاً فيه صنمه، ويتقربون إليها بضروب من الأفعال على حسب اعتقاداتهم من موافقه ذلك للكوكب الذي يطلبون منه بزعمهم إليه بما يوافق المشتري من الرُّقى والعُقَد والنفث فيها، ومن طلب شيئاً من الشر والحرب والموت والبوار لغيره تقرب بزعمهم إلى زحل بما يوافقه من ذلك، ومن أراد البرق والحرق والطاعون تقرب بزعمهم إلى المريخ بما يوافقه من ذبح بعض الحيوانات و قد اتخذت تلك الأساطير والخرافات السومرية والبابلية و ما خالطها من الشعبذات و الطلاسم و الممارسات السحرية عدة امتدادات دينية و عرقية خلال مساراتها التاريخية، و للتأمُّل يلاحظ ـ مثلاً ـ أن طقوس التعميد ـ و هي طقوس تنشأ في المجتمعات التي تعيش على ضفاف الأنهار الكبيرة كنهر الغانج في الهند، و كذلك الحضارات القديمة في بلاد الرافدين ـ قد تسربت إلى كل من الصابئة و اليهود والنصارى مع كثير من الطقوس و التعاليم الطوطمائية عن طريق الثقافة البابلية.

ومن تلك الامتدادات التاريخية الشهيرة:

١- الامتداد التاريخي من خلال تلك الحضارات المعاصرة أو التالية للحضارة البابلية كالحضارة الفرعونية مثلاً و كذلك الفينيقيين و التدمريين.

٢- الامتداد المندائي من خلال فرقة الصابئين المندائيين، و التي تسربت عبرها كثير من تلك الطقوس و التعاليم، و إن كان أكثرها ينحصر في عالم الأفلاك ومخاطبة النجوم، والذي اشتهرت به تلك الطائفة، وقد انتقلت بعض تلك الممارسات إلى بعض الطوائف الإسماعيلية.

٣- الامتداد التوراتي في الديانة اليهودية من خلال الشروحات التلمودية للتوراة.

٤- الامتداد التوراتي في الديانة االنصرانية من خلال شروحات العهد الجديد "الإنجيل"، و هذه أقل الامتدادات، و إن كانت نظهر جليا في الطائفة السريانية " الآرامية".

٥- الامتداد التوراتي من خلال الطائفة القبالية "طائفة الكابالا" في الديانة اليهودية و كتابها الأسود المعرروف بـ "الزوهار".

القبالاة اليهودية

الكابالا فرقة أو مذهب يهودي صوفي يقوم على تفسيرات باطنية للأفكار التلمودية من التعاليم الغيبية و الروحانية والتي تشتمل على السحر والممارسات الصوفية، ولا يرفض اليهود هذه التعاليم بل يعتبرونها الحلقة الداخلية التي لا يكشف عنها "للأغيار" والتي تعبر عن التقوى والولاء في ديانتهم.

وقد سميت أول أمرها: الحكمة المستورة، ومن ثم بات اسمها القبالة؛ والكلمة من أصل آرامي ومعناها القبول أو تلقي الرواية الشفهية. ومن أهم الشخصيات التي كونت الخطوط العريضة للكابالا : سمعان بن يوشاي من القرن الثاني الميلادي، وقد اختفى عن الأنظار مدة في مغارة ومن ثم خرج عليهم ليقول: إن أسراراً قد كشفت له، وأنه قد حصَل له شكلٌ من الكشف أو الإلهام.

و قد تأثرت القبالة بفلسفات هندية وفارسية ويونانية إشراقية، كما أنها أخذت بفكرة الانتظار. وفكرة القبالة تشق طريقها بقوة بين اليهود بدءاً من القرن الثالث عشر الميلادي، وقد ظهرت مجموعة نصوص عندهم جمعوها في كتاب أو سفر سموه: زوهار. والزوهار كلمة آرامية معناها النور أو الضياء، وقد دون الزوهار بالآرامية موسى اللبوني (١٢٥٠ م ـ ١٣٠٥ م) في أسبانيا، في التعليق على الكتاب المقدس إلا أن قسماً كبيراً من هذه النصوص تعود إلى القرن الثاني الميلادي مع سمعان بن يوشاي يضم ذروة فكر الكاباليين، و يوجد مركز الكابالا الآن في لوس أنجلوس، كما يقيم الزعيم الروحي لطائفة الكابالا الحاخام فيليب بيرغ في مدينة نيويورك.




الاسم العربي من الارامية

يقول الدكتور رودلف ماتسوخ، المتخصص في اللغة والادب المندائي : الـ"صابئ" هـو الاسـم العربـي لهذه المجموعـة، وهـو مـأخوذ مـن الارامية. وأن الـ" صبغ" يعـني التعميد، لأن أساس دينهم هـو عملية التعميد. فالشخص الذي يرتكب خطيئة ما يجب ان يعمد بماء جار، ليدل ذلك أن المذنب عاد ثانية إلى جادة الله وأصبح طاهراً من جديد.

مفردات مسيحية سريانية

ويعتبر بعض العلماء، أمثال جون باليس وبوركيت، أن مفردات المذهب الصابئي المتعلقة بالتوراة والإنجيل، مأخوذة من المسيحيين السريان (النساطرة).

لقد جمع ليتزمن عدة نماذج من النصوص السريانية، التي استخدمت فيها كلمة الأردن بمثابة إناء للتعميد زاعماً أن الصابئة أخذوا هذه الكلمة من المسيحيين السريان. بيد أن باحثين آخرين لم يقتنعوا بهذا الاستنتاج، واعتبروا (الاردن) بلغة الصابئة، كلمة أصيلة وأساسية واصطلاح حيوي ومهم في دينهم. ومما يثير الخلاف أيضاً هو أن الصابئة يطلقون على التعميد في ماء جار (ماسويتا) ولاعلاقة بين هذه التسمية و" المعمودية" السريانية، والتي تطلق على تعميد المسيحيين.

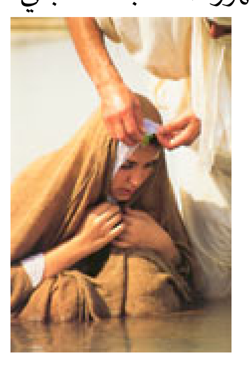
يسمي الصابئة أنفسهم بالمندائيين، وهي صفة مشتقة من كلمة "مندا" الآرامية والتي تعني (العلم والعرفان). فالمندائي يعني العارف. واللغة الصابئية أو المندائية هي إحدى اللهجات الآرامية – البابلية. ولقد تم الحفاظ على كلمة " ماندا " من أجل

المصطلح الديني البحت والذي يعني " معرفة الوجود ". واشتقت كلمة " مندا " من الأصل والتي تقابلها كلمة " جنوسيس " Gnosis اليونانية كلمة Manda d’ Hayya .

الأصل من العرفان الصوفي

طرح آخر حول أصل المندائية يقول: لايمكن للمذهب المندائي ان ينوجد بمعزل عن " معرفة الوجود "، كالمسيحية التي لاوجود لها بدون المسيح. إن هذا العرفان أو التصوف هو أساس الدين الصابئي، ويعتمد تماماً على مانعرفه من أنواع العرفان والتصوف المختلفة. فالتصوف هو أحد فروع وأوجه العرفان. والتصوف نهج وطريقة وسلوك عملي استمد مصدره من ينبوع العرفان. أما العرفان فهو مفهوم عام وأكثر شمولية، يشتمل على التصوف ومناهج أخرى أيضاً. وبعبارة أخرى، إن الفرق بين التصوف والعرفان هو كالفرق بين العام والخاص. بالأحرى يمكن أن يكون المرء عارفاً وأن لايكون متصوفا. كما يمكن أن يكون متصوفاً في الظاهر، وهو لايمت بصلة إلى العرفان. ويعتبر البعض العرفان، الجانب العلمي والفكري للتصوف. أما التصوف فهو الجانب العملي من العرفان.

وحول العرفان، يذكر المؤرخ السرياني **تيودور برخونائي**، الذي عاش سنة ٧٩٢ ميلادية، ثلاث طرق آلت إلى ظهور المذهب الصابئي.



ابن النديم اعتبر المغتسلة هم " صابئة البطايح " صابئة ناحية ميسان تحديداً.

كما أطلقت تسمية " النصورائي " على المندائيين. إلا أنهم كانوا يستخدمون هذه التسمية للروحانيين (رجال الدين) والمؤمنين الحقيقيين (التقاة). وفي كتبهم الدينية عنت الكلمة رجال الدين الذين يراعون تطبيق الأحكام والأوامر الدينية، قبل غيرهم. وقد أشار البروفيسور ليدزبارسكي، إلى أن هذه الكلمة هي نفس كامة (الناصري) التي وردت في إنجيل متى، كلقب للسيد المسيح. فإنجيل متى يعتبر أن الاسم مشتق من مدينة الناصرة، مكان إقامة السيد المسيح. بيد أن اشتقاقاً كهذا غير صحيح، والمعنى الحقيقي لهذه الكلمة هو " حافظ القوانين والأوامر الدينية ". ويبدو أن هذه الكلمة أدت بالبعض إلى أن يعتبروا مجموعة منهم نصارى، وأن يعتبروا النصرائي، نصرانياً.

دراشي يحيى ظهر بعد الإسلام

إضافة إلى ذلك فإن قصص الصابئة المتعلقة ب " يحيى المعمدان " كزعيم لهذا الدين، جمعت في كتاب يحمل عنوان " دراشي د يحيى "Draschi d' Jhia، والتي تعني " دراسات يحيى ". بيد أن **هذا الكتاب حديث تماماً، وقد تم جمعه بعد الإسلام**. بالإضافة إلى ذلك فإن اسم يحيى بالآرامية هو يوحنا، أي أن الاسم الأول كلمة معربة. وهذه شهادة على حداثة هذه الدراسات [حسب الدكتور ماتسوخ في قاموسه (إيران زمين) ٢٦ :٨]

فرضية المسيحيون المنحرفون

ومن الأسماء الأخرى التي سمي بها الصابئة "المسيحيون المنحرفون". إذ يرى أتباع هذا الرأي أن الصابئة يعتبرون السيد المسيح نبياً كاذباً، والروح القدس أم الشياطين، وإبليس و"الأعور" قائد جند الظلمة. وكذلك ترى أن أم المسيح وكذلك أنبياء الأقوام السامية قد ولدوا جميعاً من الروح القدس مع الشياطين من أم واحدة.

ونلاحظ ارتباط العقيدة المندائية بتاريخ الطائفة، فهم اختلفوا مع اليهود، وتعرضوا لأذى كبير منهم. وبنفس الوقت فالنصوص المندائية المقدسة، وكذا التاريخ يعادي اليهود. والمسيحية التي نزلت على قوم يهود.

تاريخ الصابئة أقدم من التاريخ المسيحي

على الرغم من وجود اختلافات كبيرة فيما يخص ظهور الصابئة والدين الذي يعتنقونه، إلا أن تاريخهم، أقدم من تاريخ الدين المسيحي في فلسطين.

ويعزى التشابك والتداخل والتعقيدات المتداخلة في هذا الدين إلى أنها متأتية من كتب الصابئة الدينية كتبت في وقت متأخر نسبياً.

تأثروا بالإسلام

يقول الدكتور ماتسوخ في قاموس (إيران زمين) ج٨ ص٢٥ : "بعد هجرة الصابئة من فلسطين إلى بلاد مابين النهرين، فإن أديانا عديدة كالدين البابلي والزرادشتي والمسيحي وأخيراً الإسلام، قد اثرت على هذا الدين، إلى درجة أنه أصبح من الصعب جداً فرز العناصر الأصلية عن التأثيرات البعيدة ".

ومما يلفت الانتباه أيضاً، أن بعض العلماء كانوا يتصورون، أن هذا الدين وجد في بلاد مابين النهرين نفسها، وأن عناصره الفلسطينية جاءت نتيجة العلاقة مع اليهود البابليين والمسيحيين السريان – حسب المصدر نفسه.

بيد أن التمعن في عناصر هذا المذهب الأصلية منها تشير إلى أن الدين الصابئي ظهر في فلسطين.



فرضية: فلسطين منشأ الصابئة

إن مفردات هذا الدين الأساسية مثل: معرفة الوجود والنصورائي والأردن، والتي بدونها لايمكن تصور هذا المذهب، تدل وحسب مؤشرات لغوية-حضارية، على ظهور هذه الطائفة في فلسطين أول الأمر. مما يؤكد ذلك أن وثائق الصابئة القديمة منها تعتبر فلسطين مملكتهم الأصلية، وجميع الأماكن المقدسة المذكورة في

الكتب الدينية، كالكرمل ولبنان وحران... وغيرها، هي فلسطينية وليست بابلية [جينزا Genza يمينا ٥:٢٣١] يتذكر الصابئة، اليهود بالكره وروح التبشير بالانتقام والضغينة. وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على الإهانة والتعذيب الذي تعرضوا له على أيدي اليهود". ومن الطبيعي أن تقع أحداث كهذه في فلسطين، إذ كانت أورشليم مكان تعذيب الصابئة ومعاناتهم. وقد غادر هذه الديار وبسبب هذا الاضطهاد ٣٦٥ كاهناً صابئياً [نفس المصدر السابق].

الهجرة إلى حران

في عام ١٩٥٣ أصدرت السيدة (ليدي دراور) في الفاتيكان، وثيقة مهمة عن الصابئة تحت عنوان " حران الداخلية " تحكي قصة تاريخية عن الصابئة تعود إلى هجرة أتباع هذا المذهب إلى حران في عهد الملك الفرثي إرتيانوس الثالث، الذي يعتبره الدكتور ماتسوخ معاصراً للسيد المسيح، وقد حكم من سنة ١٢-٣٨ للميلاد. ويعتقد أن يكون قد هاجر الصابئة إلى مدينة حران في السنوات الأخيرة لحكم هذا الملك [ماتسوخ (إيران زمين) ٣٠:٨]

تأثير الصابئة على مذهب ماني

إن ما يلقى اهتماماً كبيراً في النقاشات الدائرة حول الصابئة، هو **التأثير الكبير للمذهب الصابئي على المذهب المانوي**. فبعد أن شعر الأب ماني تغيراً وثورة في روحه وقلبه وناداه الوحي داعياً إياه لاحتراز الخمر واللحم ومعاشرة النساء، رحل إلى الجنوب واستقر في ناحية ميسان أو سهل ميسان، وانضم إلى فرقة " **المغتسلة** " الدينية. وترعرع ماني وسط القوم هناك. ولهذا يمكن القول إن قسماً من أفكار ماني هي انعكاس شديد لأفكار الصابئة الدينية.

إضافة إلى ذلك، فهناك الكثير من الأفكار والمفردات الدينية المشتركة بين المذهبين الصابئي والمانوي،

- كالتضاد بين النور والظلام وملكها على يد منجم،
- والإيمان بنبي النور أو الوجود الذي أرسل إلى آدم – الإنسان الأول،

- ومصير الروح بعد الموت ورحيلها إلى عالم النور....

وانطلاقاً من كون المذهب الصابئي أقدم من المذهب المانوي، فإن هذا الشبه يدل على تأثير المذهب الصابئي على المذهب المانوي [كتاب المندائيين (سدرا ربا) Sidra Rabbai]

أحسن الوسائل لمعرفة الغنوصية

يقول ماتسوخ في قاموسه المذكور، إن الصابئة هي الطائفة العرفانية الوحيدة قبل الإسلام التي بقيت لحد الآن. وإنها حافظت بدقة، لحسن الحظ، على جميع كتبها الدينية. واستناداً إلى ذلك فإن هذا المذهب هو من أحسن الوسائل لمعرفة الغنوصية Gnosticesim ، والتي تعني العرفان القديم. وإن ما يلفت النظر هو تشابه الأفكار الأساسية للصابئة مع أصل العرفان المسيحي المثبتة بشكل خاص في إنجيل يوحنا، وهي متساوية ومترابطة الواحدة بالأخرى، دون شك. [ماتسوخ ٢٣ :٨]

آراء المسلمين

ماذكر في القران الكريم حول الصابئة يحتاج لدراسة متأنية.

فقد رافقت كلمة " الصابئة " ثلاث مرات كلمتي اليهود والمسيحيين [يقال إن المراد من "الصابئين" في سورتي البقرة والمائدة، هم القوم الموحدون. ومن "الصابئين" في سورة الحج، هم الصابئون المشركون (أعلام القرآن، ٣٩)]

فقد صنف علماء الإسلام " الصابئين " إلى مجموعتين: **أحناف ومشركين.** واعتبروا الحنفاء أتباع إبراهيم، أما المشركون فهم الذين يؤمنون بالنجوم.

يتحدث ابن النديم في فصل " أسماء كتب الشرائع " أيضاً عن " الصابئين الإبراهيميين" ويبرز الخلاف بين المفسرين حول هذه الجماعة. لقد وردت كلمة "الصابئين" في القرآن الكريم بمستوى واحد مع أصحاب الكتاب. أي أن الإسلام اعتبرهم من أهل الكتاب أيضاً أسوة بالمسيحيين واليهود. وتشير الرقاق والألواح المعدنية الموجودة اليوم في المتحف البريطاني، إلى وجود الخط الصابئي في القرن

الرابع الميلادي، كما هو الحال بالنسبة لقصص الصابئة الدينية التي كانت محفوظة في هيئة كتاب، قبل الإسلام.

كان المندائيون يتحلون بشيء من الإيمان حيال التوحيد. ومن هنا تأتّى اعتقاد بعض العلماء، كون أن المقصود بالصابئين في عهد الرسول، هم المندائيون. بيد أن الذي أدى إلى ملابسات الموضوع فهو وجود صابئة حران، الذين كانوا مشركين وعبدة نجوم.

ومن هنا لابد من التمييز بين هاتين الفئتين من الصابئة. وكما رأينا فإن المندائيين كان لهم أصل فلسطيني. بيد أن ما قيل عن عبدة الأوثان السريان الذين اشتهروا في حران يختلف عن ذلك تماماً. وكان لهذه الفئة من الصابئين في حران، حتى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، مدارس وكتب باللغة السريانية، وكانت وسيلة لإيصال الحضارة اليونانية. واشتهر في وسط هذه الفئة علماء كبار تركوا أثراً كبيراً على الحضارة العربية. وكان هناك تداخل كبير بين هاتين الفئتين من الصابئة وإلى يوم قريب. وأول من ميز بينهما هو خولسون استناداً إلى ابن النديم.

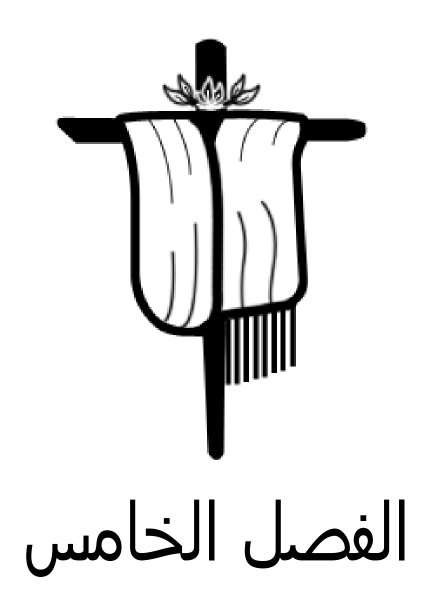
وقد ظهر هذا الإشكال لدى عبور الخليفة العباسي المأمون، في المعركة الأخيرة مع الروم الشرقيين، من إقليم حران، وملاحظته بين المستقبلين أناساً بمظهر مريب وشعر طويل وملابس ضيقة، فاستفسر عن أصلهم ومعتقدهم، إلا أنه لم يلق جواباً شافياً، فأمهلهم فرصة إلى عودته من المعركة: إما الإسلام أو اعتناق أحد الأديان السماوية المذكورة في كتب الله. مما أدى هذا إلى اعتناق البعض منهم الدين الإسلامي، أما البقية فقد انتابهم قلق شديد إلى أن جاءهم فقيه مسلم ليريهم، مقابل القليل من الذهب، الطريق لحل معضلتهم، بأن يعرفوا منذ ذلك الوقت كطائفة من الصابئين. مؤكداً لهم بذكر اسم هذه الطائفة في القرآن. وهكذا احتفظ هؤلاء ومنذ ذلك التاريخ باسم الصابئين.

يقول أبو ريحان البيروني " يطلق أحياناً على الحرانيين، بقايا المؤمنين بدين مغرب الأرض القديم، والذين تخلى عنهم الروم بعد المسيحية، بالصابئة، رغم أنهم أطلقوا على أنفسهم هذه التسمية في الدولة العباسية سنة ٢٢٨ هجرية، وذلك لتراعى

شروط الذمة بحقهم". كذلك إن وضع الحلول لهذه الإشكالية ليس بالشيء السهل. فحسب كتابات أبيفانيوس وهيبوليثوس (من كتاب قبل الإسلام) أن اسم الصابئة كان قبل الإسلام يستخدم للمشركين مابين النهرين ومدينة حران كذلك.

واستناداً إلى كتب الصابئة أنفسهم، كانت مدينة حران محط اهتمام كبير من الصابئة وعبر تاريخهم. فبعد أن هرب الصابئة أثر اضطهاد اليهود لهم، لجأوا إلى حران وشيدوا معبداً لهم فيها. وهذا يدل على وجود صلة بين الحرانيين والصابئة.

يقول الدكتور ماتسوخ : يبدو أن حران كانت تتمتع بحرية المعتقدات، مما حدا بها إلى قبول اللاجئين المندائيين وممارسة معتقداتهم الدينية بحرية. وإن تحتاج دقائق الأمور إلى تسليط أضواء أخرى لتبيان الحقائق. وهذه من مهام المتخصصين في تاريخ الأديان.



الفصل الخامس

يايحيى خذ الكتاب



النبي يحيى
يوحنا المعمدان
شخصية شديدة الأهمية

الحديث عن النبي يحيى (يوحنا)(عليه السلام) ذو الشخصية التاريخية والدينية المؤثرة والمهمة جداً على الصعيدين الروحي والتاريخي، ليس بالحديث اليسير، وذلك لعدة أسباب منها:

• عدم وجود دراسات حقيقية خاصة بحياة هذا النبي في المكتبات العربية.

• اختلاف القصص حوله، الدينية والتاريخية، على الرغم من كونه أحد الأشخاص المهمين في الحركة الدينية التي انتشرت قبل وبعد الميلاد بسنوات في حوض الأردن وأورشليم.

• المكان والزمان اللذان شهدا وجوده، كانا من مراحل التاريخ الديني والفكري والإنساني الشديدة الأهمية، لما شهدته فلسطين ومنطقة حوض نهر الأردن قبل الفي عام، من صراعات فكرية وإيدولوجية وسياسية في ظل الاحتلال الروماني للمنطقة، والتزمّت والسيطرة اليهودية الدينية على المنطقة آنذاك. أدت إلى ظهور جماعات وطوائف تدعو إلى اتجاهات فكرية مختلفة، بعضها حافظ على البقاء، والبعض الآخر انحل واختفى.

أنقذهم من ظلم اليهود

في خضم هذا الصراع الفكري كان النبي يوحنا (يحيى)(عليه السلام) يلعب دوراً حياتياً وفكرياً مهما قبل وبعد وفاته وعبر مؤيديه.

السبب الرئيسي في هذا الغموض هو أنه لم يكن مؤسساً لجماعة دينية معينة خاصة به، ولم يطرح فكراً خاصاً، ولم يأتِ بدين جديد. لأن حتى الصابئة المندائيين والذين يعتبرونه أحد آبائهم الأربعة المقدسين وآخرهم، وحلقة مهمة من حلقات تاريخهم الديني والحياتي، يعترفون بأن ديانتهم لم ينشئها هذا النبي، وإنما

كانت قبله وهو الذي أعاد الحيوية في فكرها وطقوسها الدينية، فهو النبي والرسول (نبيها وشليها) الذي أنقذهم من ظلم اليهود، وأرجع إليهم روحية المفاهيم التي يؤمنون بها. وإن كلمة الرسول لا تعني هنا من ياتي بدين جديد أو مؤسس لفكر خاص، وإنما جاءت كلمة (رسول – شليها) بالمندائية بمعنى المنقذ ورسول من أجل إعادة بناء العقيدة والدين. وهذا التفسير مشابه للتفسير الإسلامي، فنحن نعتقد بأن محمداً (ص) لم يأت بدين جديد هو الإسلام، بل إن الإسلام دين الله الذي بعثه لكل الأنبياء والمرسلين من قبل. بمن فيهم النبي يحيى، لقد عاش المندائيون داخل المجتمع الإسلامي طوال خمسة عشر قرناً، فتأثّروا بالإسلام أشد التأثر، ومن ذلك صاغوا هذا المبدأ الإسلامي، أو استقروا على مبدأ كان قديماً في شرائعهم. فالمندائيون يؤمنون بأن هذا النبي جاء ليرجع الناس إلى الشريعة الأولى شريعة الإنسان الأول (آدم وحواء). لأن المندائيين يؤمنون بأن شريعتهم ما هي إلا شرعة الحياة الفطرية (شرشا اد هيي) التي عرفها والتزم بها آدم أبو البشر (أول إنسان عاقل). وتتلخص هذه الشرعة بمعرفة وعبادة خالقٍ وسيد لهذا الكون والذي يسمونه بـ (هيي اي الحي أو الحياة) فلذلك سموا أنفسهم بالمندائيين اي (العارفين في اللسان الارامي المندائي ومن جذر الكلمة مندا-عرف أو علم).

تعاليم يحيى

إن لهذا النبي في الأدبيات والتراث الديني الصابئي المندائي الكثير من الروايات والقصص. والذي وصفه الأنبياء والرسل الآخرون بأعظم الصفات. وهذه القصص موجودة في كتاب (دراشا دْ يهيا – تعاليم يحيى) المخطوط باللغة المندائية (وهي إحدى اللهجات الآرامية الشرقية)، وهو أحد كتبهم المقدسة والمعتمدة بعد كتابهم الكبير (كنزا ربا – الكنز العظيم). والاثنان مترجمان إلى العربية.

الاختلاف حول اسمه

لماذا هذا الاختلاف بالتسمية ما بين يحيى ويوحنا؟. حسب التاريخ المندائي فإن الاسم الآرامي المندائي لهذا النبي هو (يهيا يوهنا) أو (يهيا يهانا) - أي يحيى يوحنا

(وهو اسم مركب) .. وبالعربية (يحيى) – الجزء الأول من اسمه الآرامي المندائي، وبالمصادر المسيحية (يوحنا) – الجزء الثاني من اسمه الآرامي المندائي. اي يصبح اسم هذا النبي ب(يهيا يوهنا - يحيى يوحنا) وهو اسم مركب.

اما كلمة المعمدان التي تلتصق بتسميته المسيحية (يوحنا المعمدان) ليست اسم وانما لقب (كنية) عرف بها وذلك لتمسكه بتعميد الجموع الغفيرة التي كانت تقصده لتنال غفران الخطايا والدخول إلى ملكوت الأنوار – حسب المعتقد الصابئي -. ولقد ورد هذا اللقب وهذه التسمية في النصوص المندائية، فقد ورد باللسان المندائي الآرامي ما يلي (يوهنا مصبانا) أي يوحنا الصابغ، لأن الصباغة هي المعمودية المندائية التي كان يمارسها. أما معنى الكلمتين التي تؤلفان اسمه المركب فتدوران حول معنى الحياة. ولقد وردت معاني كثيرة لاسم هذا النبي في كتب التراث العربي نورد اهمها:

- (الذي أحيا عقر أمه) لأن أمه كانت عاقر لا تنجب.
- (الذي أحياه من الخطيئة).
- (المحيي) لانه سوف يحيي الإيمان وعبادة الخالق في قلوب الناس.

التقويم اليحياوي

ولد يحيى يوحنا حوالي سنة ٣٤ – ٣٦ قبل الميلاد (حسب التراث المندائي) وحوالي سنة ١ قبل الميلاد (حسب التراث المسيحي). وذكر أيضاً بأنه ولد في سنة ٦ أو ٧ قبل الميلاد. وأن التقويم الصابئي المندائي المستعمل حالياً والذي يسمى أيضاً بالتقويم اليحياوي (نسبة إلى يحيى) يبدأ من مولد هذا النبي. مع العلم أن المندائيين يحتفلون بعيد ميلاده (٢٣ أيار) في عيد يسمى (دهفة اد دايما)، ولو أن هنالك رأي لبعض رجال الدين المندائيين يقول بأن هذا اليوم ليس عيد مولده وإنما هو يوم تقبله للصباغة الأولى (التعميد)، فلذلك يسمى هذا اليوم شعبياً عند المندائيين (بعيد التعميد الذهبي) والذي يتقبل خاصة الأطفال الصغار التعميد المندائي في هذا اليوم.

أليصابات

ولد النبي من أبوين كبيرين طاعنين في السن، وهذا ما تتفق عليه المصادر الأدبية المسيحية والاسلامية أيضاً. فالأب اسمه (زكريا) ويلقب أو كنيته (آبا سابا) أي الأب الشيخ، لأنه ذو مرتبة دينية واجتماعية عالية، عند اليهود والمجتمع آنذاك. ومعنى اسمه ممكن أن ياتي من كلمة (زكايا) في اللسان المندائي الآرامي وتعني (القديس، النزيه، المنتصر). وكان عمره ٩٩ سنة عندما ولد النبي. ولقد بارك الأب زكريا ولده النبي واعترف بنبوته. أما والدة هذا النبي فاسمها في المندائية (اينشبي) أو يلفظ لفظاً شائعاً بـ(اينشوي)، وبالعربية **(إليصابات)** وبالإنكليزية **(إليزابيث)**، وجاء أيضاً اسمها في المصادر العربية بـ(إليشاع)، وكانت عمرها ٨٨ سنة، عندما ولدت النبي (يهيا يوهنا) وهي لم تنجب أبداً لأنها عاقر، وتذكر مصادر الأدب المندائي بأن (إنشبي) شربت من الماء السماوي (يردنا اد ميا هيي – يردنا ماء الحياة) بقدرة الرب العظيم وبمعجزة إلهية، وتلبية لدعائها، فحبلت بالنبي الموعود (يهيا يوهنا). فهي لم ترَ ابنها النبي بعد ولادته، إلا عندما صار عمره ٢٢ عاماً، وجاء لها فعرفته من خلال غريزة الأمومة، وصاحت بوجه اليهود عندما أرادوا تسميته بأسماء يهودية مثل (بنيامين، شوموئيل .. الخ). ورفضت وأبت إلا أن تسميه بـ(يهيا يوهنا) ممن وهبه الحياة.

المعجزة الأولى

ولد النبي وفق البشارة الإلهية لأبويه زكريا واينشبي وهي المعجزة الأولى عند الصابئة، معجزة الولادة .. وأن الله وهبه الحكمة وعلمه الكتاب وهو صغير في حال صباه فقد كان عمره ٢٢ سنة عندما دعي كنبي في أورشليم .. وبعد ولادته مباشرة، وقبل ان تقع عينا والدته عليه، أخذه الملاك أنش أثرا إلى (بروان طورا هيوارا – جبل بروان الابيض) وتم تعميده بعد بلوغه سن الثلاثين يوماً. وأخذ ينهل الحكمة وتعاليم الرب العظيم من قبل ملائكته الأبرار إلى أن بلغ سن الثانية والعشرين، بعدها أعطي التاج والصولجان وأصبح من الناصورائيين العظام (الناصورائي هو المتبحر

بالعلوم الربانية)، وعاد بصحبة الملاك إلى مدينة أورشليم ليجهر بدعوته وإصلاحه الناس.

الأسينيين في قمران

إن القصة المندائية التي تؤكد على أن هذا النبي قد تتلمذ وعاش ونشأ بعيداً عن اورشليم، في منطقة تعرف ب (جبل بروان الأبيض) تاخذنا إلى أن إمكانية وجوده وتعليمه قد تمت ما بين جماعة الأسينيين في منطقة قمران، ويمكن أيضاً أن يكون هذا الجبل هو أحد التلال والجبال المحيطة بمنطقة قمران (جنوب شرق البحر الميت). ومن باب آخر يمكن أن يكون ما بين الصابئة المندائيين في حران. والأخيرة فيها جدل كبير.

زوجته وأولاده

إن الأدب المندائي المدون يتحدث عن زواج هذا النبي وتكوين عائلة كبيرة من بنين وبنات. فيذكر أنه تزوج من فتاة اسمها (أنهر) والذي يعني اسمها في اللسان الآرامي المندائي (الأحسن، الأشرق، الأضوأ)، ورزق أيضاً بخمسة ذكور وثلاثة إناث، وأسماؤهم هي كالآتي: الذكور :

هندام،

بهرام (إبراهيم)،

أنصاب (الثابت)،

سام،

شار.

والإناث : شارت،

رهيمات هيي (رحمة الحياة)،

انهر زيوا (أنهر الضياء).

مقامه في الجامع الأموي

توفي النبي يهيا يوهنا في فلسطين حوالي عام ٢٨ / ٣٠ للميلاد .. وكان يعيش حياته في التقشف والصلاة. فقد كان له مجموعة من التلاميذ (٣٦٠ ترميذي)، وإن تلاميذه قاموا بدفن جسده بعد (ارتقائه إلى عوالم النور – حسب المفهوم المندائي)، أي تعترف المندائية بوفاته وبدفن جسده، وترى بأن روحه صعدت إلى عالم النور، مثلما يقول المسلمون بأن الروح تصعد إلى بارئها. ودفن في دمشق سوريا وأصبح قبره مرجعاً للمندائيين. وبعد ذلك صار المقام كنيسة للمسيحيين. إلى أن جاء عصر الوليد بن عبد الملك الأموي الذي قام بتوسيع المبنى وترميمه وتزيينه بالفيسفساء. ومنذ ذلك الحين أصبح يعرف بالجامع الأموي. وإن هنالك أماكن أخرى يدعي الناس بأنها ترجع لهذا النبي وخاصة في الأردن وفلسطين.

القصة المندائية لولادته

هذه القصة ليست مماثلة لرواية القرآن الكريم حول ولادة النبي يحيى. فالقصة التراثية المندائية تحوي تفاصيل كثيرة وشروحات لم يأت القرآن على ذكرها. وبالتالي فمن الجائز أن تكون صحيحة أو (مزعومة بحسب الرأي الإسلامي). وليس على المسلم أن يعتقد بصحتها حتى وإن كانت لاتخالف القرآن الكريم. فالقصة المندائية تسعى لتأكيد العقيدة المندائية. فحتى لايقع المسلم في متاهات هو بغنى عنها يتوجب عليه أن يميّز في مصادر القصص والروايات. فبين الكتب الإسلامية قصص الأنبياء، وبعضها يعتمد روايات يهودية أو مندائية أو مسيحية.

رؤية عجيبة

ابتدات قصة ولادته برؤية عجيبة رآها أحد كهنة اليهود في أورشليم، اختلت فيها موازين الطبيعة، إذ راى كوكباً هبط على إنشبي ثم ارتفعت نار تتوهج في باب بيت زكريا. وحصل اضطراب في الأجرام السماوية، والأرض انحرفت عن مكانها،

ونيـزك انحـدر نحـو اليهـود وآخـر نحـو أورشـليم، وارتفعـت سـحب الـدخان في بيـت المقدس.

ويل للتوراة، اذا ماولد يحيى في أورشليم

وعنـدما تليـت هـذه الرؤيـة علـى كهنـة اليهـود ، أوعـز رئـيس الكهنـة (إليـزار – إليعـازر) بـأن يسـتعان بتفسـير تلـك الرؤيـة بالكـاهن (**ليـولخ**) وهـو كـاهن متخصـص بالخرافات وبتفسير الأحلام. فكتبوا رسالة يشرحون فيها الرؤية وأعطوها إلى (طاب يـومين) ليوصـلها إلى ليـولخ، وجـاء تفسـير الرؤيـة مـن قبـل ليـولخ بـالآتي: (سـوف تلـد إنشـبي ولـداً ويـدعى نبيـاً في أورشـليم وإنـه سـيقوم بتعميـد النـاس في المـاء الجاري "يردنـا" وسـقيهم مـاء الحيـاة = "ممبوهـا"، فـالويل لكـم يـا كهنـة اليهـود، إذا ماولدت إنشبي مولـوداً، ويـل لـك يـا معلـم الصـغار، وويـل للتـوراة، إذا مـاولـد يحيـى في أورشـليم. إن يحيـى يجيـىء ويصـبغ في يردنـا، وسـيكون نبيـاً في أورشـليم). فسـرها الكهنـة بـأن هـذه رؤيـة سـتتحقق بمـيلاد نـبي مـن صـلب زكريـا وإنشـبي (إليصابات). وعلى أثرها ثار كهنة اليهود على الأب الشيخ زكريا، وقال (إليـزار) لـه (ابتعـد عـن أورشـليم ولا تلقـي الفتنـة في اليهـود)، وردّ الاب الشـيخ زكريـا بصـفع الكاهن إليزار على خده، قائلاً له:

(هل هناك من مات ثم عاش ثانية، حتى تلد إنشبي مولوداً؟

هـل هنـاك مـن أصيب بـالعمى ثـم أبصـر، أو كـان كسـيحاً ثـم قـام، حتـى تلـد إنشبي مولوداً؟

هل الأخرس يستطيع أن يكون معلماً كي تلد إنشبي مولوداً؟

منـذ اثنـتين وعشـرين سـنة لم أقـترب مـن زوجـتي، فـأي مصـير ينتظرهـا وينتظركم، إذا ولدت إنشبي مولوداً ؟!).

أسرجة ضوئية تسير معه

فاعتمل الغضب والكره في قلوب كهنة اليهود الكبار، وخططوا شراً للتخلص من الوليد وأمه. وعلى أثره غضب الأب الشيخ زكريا وهمَّ بالخروج من المعبد، فتبعه إليزار فراى ثلاثة أسرجة ضوئية تسير معه. فسأله مستفهما عنها، فقال له زكريا:

(يا إليزار يا رئيس جميع الكهنة، المشاعل التي عبرت أمامي لا أعرف من تحرس؟!!

والنار التي أتت من خلفي، لا أدري من ستلتهم؟!!

ولكن اسمعوا: أي مصير ينتظرها، وينتظركم، إذا ما ولدت إنشبي مولوداً؟!).

مصدر قوته من تسبيحاته لخالقه

عرف عن النبي يحيى بأنه قوي وذو تاثير كبير على محيطه، ولقد جاء في الأدب المندائي، وعلى لسان (يهيا يوهنا) بأن مصدر قوته كانت من خلال تسبيحاته لخالقه وعبادته له، والتي صار بها كبيراً في الدنيا .. فهو لم يقم عرشاً بين اليهود، ولا كانت نيته تبوؤ المناصب وكراسي الحكم، لأنه صاحب دعوة تصحيحية كان قد بدأها في فلسطين،

- فقد كان زاهداً في الدنيا.
- ولم يحب أكاليل الورود،
- ولم تغره النساء،
- ولم يكن من شاربي الخمر،
- ولا آكلي اللحوم،
- ولم ينسَ أبداً محبته وعبادته لأبيه السماوي (الحي العظيم)،
- ولم يترك صباغته (تعميده) ولا رسمه الطاهر،
- ولم ينسَ يوم الأحد المقدس.
- فلقد كانت مجمل أحاديثه وتعاليمه تدور حول حيازة نعيم ملكوت الحياة بعد الموت. فهو يذكر الغفاة والجهلة والنبلاء والذين يتدثرون بنعيم هذه الدنيا

الفانية، ويقول لهم: (ماذا ستفعلون من أجل أن ترحل نفوسكم نقية من أجسادكم إلى عالم النور بعد الحساب ؟).

وإن لهذا النبي أكثر من الوصايا والتعاليم والحكم التي وردت في الكتب المندائية، والتي تدعو إلى العبادة والنزاهة وتنقية الأنفس. وأهمها ما يسمى منها بالراسيات.

يوم الأحد المقدس

كان النبي يحيى حسب الرواية المندائية يحب ويقدس يوم الأحد، وكان يسهر ولا يغمض له جفن في ليلة السبت لاستقبال يوم الأحد ونهاره ليبدأ بالصلاة. فتلك الصورة الشخصية لهذا النبي رسمها لنا الأدب المندائي بكل وضوح.

إن هذا النبي كان ينهمك في تعميد الجموع الغفيرة التي تطلب الرحمة والغفران من الرب وعلى يديه من خلال تعميده المشهور، فقد كان تعميده موجهاً لليهود وغير اليهود وبدون استثناء. ويجري ذلك كله في النهار، حيث ينصرف في الليل إلى تلقين تلاميذه ومن يبغي المعرفة الحية، تعاليمه وووصاياه وأفكاره الدينية.

يوحنا والسيد المسيح

اما بخصوص العلاقة ما بين يوحنا والمسيح .. فهما ومثلما هو معروف تعاصرا لفترة زمنية في منطقة أورشليم وضواحيها. وتقول الروايةالمندائية أن السيد المسيح جاء إلى يوحنا المعمدان لكي يتقبل المعمودية على يده، وفي البدء رفض يوحنا تعميده ولكن في النهاية انصاع وعمّد المسيح، وقد كان لهذا التعميد أهميته اللاهوتية والاجتماعية بالنسبة للأخير. فالرواية المندائية القديمة تختلف كثيراً عن الروايات المسيحية واليهودية حول شخصية وتاريخ السيد المسيح. بل هي روايات متناقضة. وحتى هذه اللحظة هنالك بحوث ودراسات جدلية كثيرة في مجال العلاقة التاريخية والروحية ما بين هذين النبيين.

وتبقى مسألة حياة هذا الرجل النبي محط اهتمام الكثير من الباحثين (الغربيين) لما له من أهمية في إكمال حلقات مفقودة من التاريخ الإيدولوجي والروحي في فترة التاريخ المسيحي المبكر وكيفية نشأتها.

مواعظ النبي يحيى بن زكريا

كتاب {مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريا} (ع) يعتبر مندائياً كنزاً من الحكم والمواعظ، ولم يترك شأنا" من شؤون الحياة لم يخض فيه. وبما يقدّمه من نصحٍ وتوجيه سيكون أقد م وثيقة دينية تاريخية تنظّم العلاقات البشرية . فكثيرة هي الوصايا والتنبيهات والتشبيهات الزاخرة بكلِّ المعاني الهادفة إلى التواضع وعدم التكبّر والتعالي على الآخرين من عِباد الواحد الأحد، لئلا يقود هذا إلى الضلالة .

التزام جادة الصواب

إن وصايا الحث على التزام جادة الصواب وتجنّب كلّ ما من شأنه أن يؤدي إلى التهلكة والعذاب الدائم نجدها في كلِّ نصٍ من نصوص هذا الكنز والإرث العظيم تقريباً .

التفكير والتساؤل

أسئلة كثيرة لا يملك الإجابة عنها سوى الأنبياء الذين ما انفكوا يوجهون أبصارنا ويقودون عقولنا إلى حقيقةٍ واحدةٍ ألا وهي – دع الخلق للخالق المبدع – لأنه وحده من يملك كل المفاتيح والمغاليق، تلك أسئلة نجدها في مواعظ النبي يحيى. ومنها:

حث بني البشر على (التفكير)

- في كينونته،
- في خلقه،

- ﻓﻲ حياته،
- ﻓﻲ مماته،
- من نحن ؟
- كيف وجدنا ؟
- من خلقنا؟
- ولماذا ؟
- ما الهدف من هذا الوجود ؟
- ماذا سيكون الأمر بعد الرحيل ؟
- هل من محاكمة ؟
- هل من مساءلة ؟
- هل من عقاب ؟
- هل من ثواب ؟ .

التواضع

في النص اللاحق نجد دعوةَ صريحةً إلى بني الإنسان لعدم التباهي والتزام التواضع ؛ فالتباهي صفة لن تقود إلا للتهلكة،

أمّا الجسد الباطل الفاني،

سيد البيت في الدنيا الزائلة،

الدنيا التي يغشاها السواد والعتمة،

فسوف تطؤه أقدام العِباد)

لقد حان أجلي وألتمس الذهاب،

ويخيفني الّرحيل،

ولا أعلم كيف سيكون طريقي ؛

فليس هناك أحد تقياً كان أم مسيئاً

غادر ثم عاد كي أسأله عن الطريق،

وكيف يكون ....

من المؤكد أن لا أحد عاد ولن يعود أحد ؛

فالأمر محال،

و علينا أن نرضى بما كتبه ربٌّ العزة علينا،

أن نتذكّر دائماً إنما الجسد الفاني قد خلق أول الأمر من طين الأرض وإلى هذا الطين نعود.

الرأسيات

أكثر النبي يحيى من الوصايا والتعاليم والحكم التي وردت في الكتب المندائية، والتي تدعو إلى العبادة والنزاهة وتنقية الأنفس. وأهمها ما يسمى منها بالرأسيات:

رأس الحقيقة ..

لا تفسد كلمتك، ولا تحب الفساد والكذب.

رأس إيمانك .. الإيمان بملك الأنوار المقيم والثابت في كل الفضائل.

رأس ثباتك .. أن تقاضي نفسك.

كن كالجبل الذي تنو فوقه الأزهار والأشجار ذات الرائحة العطرة.

رأس علمك .. لا ترمِ نفسك بالتهلكة.

رأس معرفتك .. لا تقل ما لا تعرف.

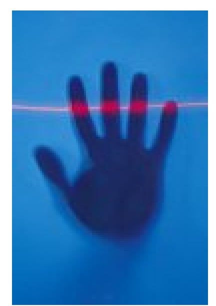
رأس طهارتك .. لا ترمِ نفسك بالرجس.

رأس إيمانك .. اعطف على الأنفس العانية والمضطهدة.

تشبيهات في كتاب النبي يحيى عليه السلام

في دراسة مندائية حديثة لأسلوب التشبيه في النصوص المنسوبة إلى النبي يحيى.
يتوصل الباحث إلى استنتاجات يربطها بالمفاهيم الدينية، فيقول:

(لقد أصبحت كشجرة أرز سامقة تحيطها الأشواك)



من وصايا النبي يحيى ابن زكريا

نص منسوب للنبي يحيى عليه السلام، وهو عن المخطوطات المندائية القديمة.
من النص الرابع والستين {دراشة يهيا} عليه السلام.

ألا يوجد ما يستر به الإنسان نفسه أمام مرآة حياته ؟

ألا ينظر هذا الإنسان ويسأل نفسه ؛

ماذا قدمّت لآخرتي في هذا العالم الفاني ؟

ألا يعتقد هذا أن هناك آخرة أم إنها حياة سرمدية لا نهاية لها !

لا شك في أن أياً منّا يدرك أنّ هذه الحياة إنما هي المرحلة الأولى،

بل هي الخطوة الأولى للأخرى الحتميّة التي لا مفرمنها.

علينا أن نملأ عقولنا، أن نملأ أيدينا،

أن نملأ قلوبنا ؛

وقد يتساءل البعض بأي شيء نملأ عقولنا وأيدينا وقلوبنا ؟

أحقاً لا تعـرفون !

إنهـا وحـق الله الـطامّة الـكبرى حين لا نعـرف أنّ الإيـمان بأن الله سـبـحانه وتعالى خالق الخلق وفاطر الأرض موجود وأنه يراقب أعمالنا التي نكسو بها عرينا، أعمالنا الخيّرة التي ترفع عن كواهلنا ثقل ما يمكن أن يواجهنا إن وقفنا أمام الدّيان الأكبر وسألنا : ماذا قدّمت لآخرتك،

وأخّرت من دنياك ؟

ساعدت محتاجاً ؟

أ بررت بوالديك ؟

أ كسوت عارياً؟

أأطعمت مسكيناً ؟

هل أحببت أخاك ؟

وآلاف من هذا القبيل ؛

{ {هل، ماذا، كيف،متى، أين} }

وشتّان ما بين

سنقول الآن وبعد لحظة.

أسئلة سيقف معظمنا ؛

بل مطلقنا متذبذباً قي أقواله حائراً في وقفته،

شاكاً في خلاصه مما هو فيه،

طالباً الموت ألف مرة

ٍليجد الراحة النهائية ولن يطالها.

ماذا قدّمنا لآخرتنا ؟

ماذا قدّمنا للآخرين ؟

ماذا أعطينا للمحتاجين ؛

أ ساعدناهم بالمال؛، أ كسوناهم ؟

أ سألنا أخانا،؛ قبل أن يسأل وعرضنا عليه المساعدة قبل أن يطلبها ؟

وهل نحن صادقون؛

فيما نعرض؟؛

أم هو مجرد كلام صادرٍ عن لسان ؛

وكلنا؛ يعرف أن اللسان يتلوّى وكأنه أفعى تزدرد كلّ شيءٍ؛ .

علينا أن نقدّم العون لمن نعرف أنه يحتاجه ويخجل من أن يعرض ضعفه هذا أمامنا ؛

كيلا يسقط أمام عين نفسه ؛

فالكبرياء موجود حتى عند أفقر الفقراء .

علينا أن نزكّي أنفسنا مما علق بها من مظاهر حب المال و الشهوة المستمرة لجنيه

وتكديسه دون أن نعي أننا نجمعه لمجرد أن يقال إن فلاناً غني لكن وبنفس؛ الوقت نندم؛

لأننا لم نهب بعض مما لدينا ليهبنا مالك الملك بعض الطمأنينة وبعضاً مما عنده؛

من رحمة لا تنفد .

قد يقول البعض منكم لي : هذا كلام من ليس لديه ما يهبه أو يعطيه ويطلب منا أن نهب ونبذل العطاء ونقصّر على أنفسنا وأهلنا؛.

لكن ...دعوني أسألكم كم منكم من أنصف أمه وكرّم أباه،

وساعدأخاه وستره،

مثلما أنصف زوجته وابنه وابنته وساعد أخا زوجته وأم زوجته؛

مرضاة لها وتقرباً منها.؛

أنا متأكد الآن أن ضحكة قد علت وجوهكم وهزة استخفاف؛

أو استهزاء أمالت رؤوسكم؛ أو مطّة؛

شفاه ارتسمت وملأت وجه كل واحد منكم؛

أ صحيح هذا ؟ بالطبع ! ؛

فنحن بشر لا نفّر بالشكل الصحيح لأن شيطان ذواتنا يمنعنا،

فالطبيعة الحيوانية مازالت راسخة في أعماق ذواتنا

ولم نحاول أو نجاهد للتخلص من قوقعةٍ ما زالت جاثمة فوق ظهورنا اسمها المظاهر؛

علينا أن نملأ قلوبنا بالحب

ليس حب الزوجة والأولاد

ولا حب الزوج لعائلته الصغيرة،

إنه الحب بلا أنانية

إنه توسيع ل{الأنا العليا} .

سمعت من أبي رواهناويله . سام بر ياسمن :

أن بني آدم لم يحبّوا آباءهم وهم دائمو العصيان لأوامرهم ؛

لأنهم جاءوا في زمن مختلف عن هذا الزمن

وهم متخلّفون عنهم في العقليّة والتفكير.

وأن السبب كما كان يقول أبي :

{إن آدم خلق من طين ولم يكن له أب ليشعر الابن اللاحق بشعور الاب السابق،

إلا أن يتزوج ويكون له أولاد

عندها فقط يدرك الابن السابق والأب اللاحق شعوراً

كان قد غطّاه الله لسبب لن ندرك جوهره ؛

ولهذا نرى الآباء يخافون أن تنزل بأبنائهم نازلة،

يخشون عليهم من إصابتهم؛

بالرشح والزكام ولا يخافون أن يقتل آباءهم المرض العضال ؛

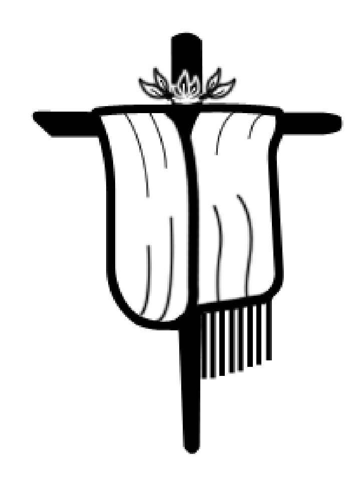
ويقولون لكل أجلٍ كتاب

أويريد أن يأخذ زمنه وزمن غيره !

أعوذ بالله من...البشر؛

النبي يحيى المعلم الأخير لم يقتل

إن النبي يحيى يوحنا هو نبي ومعلم وأب مندائي عاش قبل ما يربو عن ٢٠٠٠ عام. في فلسطين وفي أورشليم بالذات، وله كتاب يدعى باسمه (دراشا اد يهيا = تعاليم يحيى)، وتحتفظ الأدبيات المندائية بالكثير عن هذا النبي العظيم، أعاد لها كينونتها الدينية بعدما شارفت على النهاية والاضمحلال في المجتمع آنذاك، وكان لهذا النبي الأثر الكبير على تعاليم الديانة المندائية ومراسيمها. القصة المزعومة عن كيفية وفاة هذا النبي، لم ترد الا في إنجيلين اثنين من الأناجيل الأربعة المسيحية وبشكل عارض أيضاً. وفي نفس الوقت ترفض الديانة المندائية بأن هذا النبي قتل على يد الملك هيرودس، وإنما تقول بأنه توفى وفاة عظيمة كانت معجزة من معجزات هذا النبي، تدلل على مكانته عند الخالق الأزلي ديان الأنفس (مشبا اشمي)، فكيف يقتل النبي يحيى يوحنا.؟. وإن اليهود أنفسهم عجزوا عن إلحاق الأذى به، وهم اعترفوا له بأن قوته ونوره ليس لها مثيل ومستمدة من قوة تسبيحاته لخالقه.



الفصل السادس

التعميد المندائي

المصبتا

(المصبتا) العماد ، هو باب المندا والحياة المندائيه ، وبه يصير الإنسان المندائي ابنا باراً حسب عقيدتهم - وينتسب للمندائيه روحاً وجسداً ،

يقول النص المندائي المقدس:

((آتوا الماء الجاري،

واصطبغوا صبغة تهب نفوسكم حياة من عالم النور))

(كنزا ربا).

منذ فجر الانبعاث، ومنذ أول البشر آدم مارس (الأثري والملكي) والمندائيون العماد وإلى وقتنا هذا بدون انقطاع، فتعمد أبونا آدم كما يقولون - بهذا التعميد من قبل الملاك (هيبل زيوا) فالتعميد ركن أساسي من أركان الدين المندائي وواجب على كل مندائي . وبما أن العماد بدء طريق يفضي إلى اتباع الله، لذا يشدد المندائي على ضرورته فيدعو الأطفال والراشدين والكبار إلى تقبله والتعرف على قيمته ومفعوله فيهم، فالإنسان المندائي بالغاً كان أم طفلاً عليه أن يلج هذا الباب المفضي إلى الله، الطريق والحق والحياة . وهذا مايبرر إصرار المندا على تعميد الأطفال أيضاً في وقت مبكر بعد ولادتهم بشهر واحد ، مرتكزاً على إيمان الأهل، ويتجسد إيمانهم بالحي العظيم من خلال تكريس أولادهم بواسطة العماد الذي يفضي بالمعمد إلى حياة النعمة فيعيش في جوه ويتنشق عبيره .

وصف حفلة العماد

في حفلة العماد يتقبل المندا باسم (هيي قد مايي) الحي الأول ويمثله في ذلك (الترميذا)عادة والمشتركون في الاحتفال، وتكون مادة المعمودية هو الماء الطبيعي الجاري .الذي يسكب في القلب أملاً جديداً بأفق يتفتح عن نقاء وبهاء حيث يقول

الله في كتاب (سيدرا اد نشماثه- هذا هو الماء المقدس للحياة، وأنشىء في دار الحياة حيث عبر العوالم وجاء وشق السماء وأصبح طاهراً). وهكذا فالماء الطبيعي الجاري الذي هو مادة العماد يتفق في رموزه مع مفاعيل العماد نفسه. فإذا بهذا الماء النقي حياة جديدة للمعمد، وهو الفرح الحقيقي الذي ينشأ عن نقاء القلب وصفاء العهد في نفس اتحدت بينبوع الحب والسعادة . وعندما يسيل على رأس المعمد وجبهته وذلك بالتغطيس والرش، يردد المتعمد بعد الكاهن في أثناء التغطيس (أنا -الاسم الديني- تعمدت بعماد الملاك بهرام العظيم ابن القدرة عمادي يحرسني ويسمو بي إلى العلا اسم الحي العظيم منطوق علي) . يستقبل (الترميذا) الراغب في التعميد في المكان المعد للعماد والمنداهو المكان الطبيعي لتقبل هذا العماد، إذ إنه اللقاء الطبيعي بين المؤمن والله ونقطة التفاف المؤمنين بعضهم مع بعض أسرة واحدة حول الله معربين بذلك عن انتماء إيماني وحياتي. وعندما يدخل الراغب بالتعميد إلى المندا يتهيأ لينخرط في المجموعه التي أسسها الله، وليصبح فرداً فيها تسانده في معترك الحياة فلن يبقى في المستقبل منفرداً إزاء صراعه الحياتي بل سيشعر أنه ضمن مجموعة أخوية يعيش فيها الجميع متضامنين حياة الخالق الأزلي . وبعد أن اختار والداه اسماً يحمله طيلة حياته يتلفظ به محبوه بحنان، لكن في العماد قد جرت العادة الدينيه أن يمنح المعمد اسماً دينياً (ملواشا) رمزاً للولادة الجديدة الروحية وإشارة إلى الأسرة الجديده التي انضم إليها أسرة الحياة الأولى التي حافظت على الدين المندائي مدى العصور .

وقبل الشروع بهذا التعميد المقدس على الإنسان المندائي أن يتخذ عهداً وموقفاً معيناً فيرفض الشر ويتبع الخير يرفض كل ماهو مناقض لله الحي الواحد، الشيطان (روها) وأعوانه وأعماله معلناً ذلك بلسان طاهر ويعلن بذلك إيمانه وإيمان الأهل ويشاركهم الرغبة، فمفاعيل العماد عظيمة تحير العقل فهو يمحو أغلب الخطايا وعقوباتها ويهب الفضائل الإلهية وحق الحصول على نعم حالية وحق إرث السماء ومشاهدة عوالم الأنوار وبعد هذه التهيئة يأتي التعميد .

يذهب (الترميذا) إلى الماء الجاري (يردنا) وينزل إلى حد ركبتيه في الماء ويكون وجهه مقابل جهة الشمال أي عالم الأنوار الأبدي، ويكسو (المركنة) العصا المقدسة

بإكليل الآس والمرماهوز ويثبتها داخل الماء أثناء التعميد وبعدها يحرك (الترميذا) الماء بيديه ثلاث مرات ليرسم ثلاث دوائر تعبر عن حدود التعميد وبعد هذا يبارك الترميذا الماء الجاري طالباً إلى الله الحي الأزلي أن يحل عليه روح (الأثري شلماي وندباي) فيتقدس ويطهر المتعمدين فيه وأن يهب المتعمدين فيه نعمة الفداء فيخلع عنه الإنسان المظلم ويلبس الإنسان النوراني الذي أصبح متحداً مع الله ومحصناً ومحصى بين الأولين المكتوبين في السماء .

وعندما ينتهي (الترميذا)من قراءة صلوات الماء الجاري يكون طالب التعميد قد تهيأ للتعميد من حيث ارتداء الملابس الدينيه البيضاء (رستا) التي ترمز إلى إنسان النور، وإكليل الآس الذي وضع في خنصر يده اليمنى أي أقصى اليمين. وبعدها يردد (الترميذا) صلاة الترخيص بالنزول إلى الماء الجاري (بشما اد هيي ربي انا اثبل بهيلا وهيلا اد يردنا الاوي شري نشي نيثي ونينهث ليردنا ونصطبا ونيقبل دخيا رشما ونلبش اصطلي اد زيوا ونترص بريشي كليلا راوزي شما اد هيي وشما منداد هيي مدخر الي)- المعنى بسم الحي العظيم أنا أتيت بقوة الحي وبقوة الماء الجاري الذ ي سأرقد عليه لأنزل إلى الماء الجاري وأتعمد وأنال الرسم الطاهر وأرتدي رداء النور وأضع على رأسي إكليلاً متألقاً اسم الحي العظيم منطوق علي .

ثم ينزل الراغب بالتعميد وعلى اليمين الخلفي (للترميذا) الذي يقف مقابل جهه الشمال ويغطس جسمه كله داخل الماء ثلاث مرات ويرش (الترميذا) الماء على المتعمد من خلفه في كل مرة وأثناءها يردد المتعمد مع الترميذا صلاة الاغتسال (طماشه) (انا الملواشه صبينا بمصبتا اد بهرام ربا ربا بر روربي مصبتاي وتيناطري وتسق الريش شما ادهيي وشما اداد مندا اد هيي مدخر الي) - المعنى أنا -الاسم الديني- تعمدت بعماد الملاك بهرام العظيم ابن القدرة عمادي يحرسني ويسمو بي إلى العلا اسم الحي منطوق علي .

ثم يرسم الترميذا جبين المتعمد بالماء ثلاث مرات من اليمين إلى اليسار وفي كل مرة يردد المتعمد مع (الترميذا) صلاة الارتسام (انا الملواشة رشمنا بروشمه اد هيي شما اد هيي وشما اد منداد هيي مدخر الي) المعنى أنا -الاسم الديني- ارتسم برسم الحي العظيم منطوق علي . ثم يعطي (الترميذا) بكف يده اليمنى الماء إلى المتعمد

ليشربه ثلاث مرات وفي كل مرة يطلب من المتعمد أن يعطي العهد (كشطا اسيخ واقيمخ) -المعنى العهد يقويك ويثبتك . وبعدها يرد (الترميذا) على المتعمد (بي وشكا وامر وشتما)- المعنى اطلب تجد تحدث تسمع . وبعدها يقرأ (الترميذا) الجزء الرابع من صلاة الانبعاث ويتوج بيده اليمنى للمتعمد على رأسه . ثم يضع (الترميذا) يده اليمنى على رأس المتعمد ويقرأ الأسماء الطاهرة المقدسه طالباً له قوة ونعمة الحي المنتصر على الشر فيتسلح بذلك لصراع مستقبلي محافظاً دوماً على نقاء القلب.وبعدها يبسط (الترميذا) يده اليمنى إلى المتعمد ويأخذ منه العهد ويرد عليه (الترميذا) ثم يخرج المتعمد من الماء وبعدها يقرأ المتعمد صلاة الحياة (فرة الطريانا) وهو يدور حول الطريانا (وعاء البخور). حيث يقول (اسوثا وزكوثا نهويلخون ياملكي واثري ومشكني ويردني ورهاطي وشخناثي اد المي اد نهورا كليخون) – المعنى: (السلام والنزاهه لكم أيها الملائكه والأثريون والمساكن والمياه الجارية والجداول وعلى ساكني عوالم الأنوار جميعاً). ثم يجلس باتجاه الشمال وفي هذه اللحظة يتحقق الحدث المهم في حياة المعمد ، إذ يتحرر من قيود الخطيئة ليلبس رداء النور ليعيش نقياً طاهراً معداً لميراث الحياة الابديه . وعندما يخرج(الترميذا)من (اليردنا) وبيده وعاء الماء (ممبوها) أي الماء المقدس يتم تكريس المعمد برسم الحي العظيم إذ يمسح (الترميذا) جبهة المتعمد ثلاث مرات بال(مشا) وهو زيت السمسم الأبيض الذي أرسله الحي العظيم إلى هذا العالم ليشفي كل الآلام وقد باركه (الترميذا) بقراءة كل الصلوات الدينية.

هذا هو سر التثبيت الذي به ينضوي المعمد تحت لواء الله الخاق الأعظم متسلحاً بكل الطاقات الطبيعية ترفدها المواهب الفائقة الطبيعية التي نالها في العماد ليستطيع مقارعة الشر والأمراض وتخطي الصعوبات الحياتيه التي تعترض سبيله نحو الفضيلة والكمال، فمن خلال زيت السمسم الأبيض (شوشما هيوارا) الذي مسح به المعمد باسم الله لتحل البركه عليه كماحلت على الآباء الأولين .

وبعدها يضع) الترميذا (يده اليمنى على رأس المتعمد ويقرأ عليه صلاة الاغتسال(طماشا) والأسماء الطاهرة المقدسة التي لفظها عندما كان واقفاً في الماء الجاري ثم يمسك (الترميذا) بيده اليمنى يد المتعمد ليأخذ العهد من المعمد أن يغسل

يده اليمنى بالماء الجاري لتصبح طاهرة حتى يمسك بها الخبز المقدس (بهثا) والماء المقدس(ممبوها) وعندما (يطمش) أي يغسل يده يجب عليه أن لايتكلم تقديساً لصلاة (البهثا والممبوها) وبعد أن ياكل المعمد البهثا ويشرب جرعتين من الممبوها والثالثه يرميها المعمد على كتفه الأيسر دلالة على غفران خطاياه، حيث يقول (الترميذا) للمعمد(كل بهثخ شد ممبوهخ شد هللتا من يردنا اشد بيدا ال سمالا) - المعنى كل خبزك المقدس، اشرب ماءك المقدس الذي حللت من الماء الجاري ارم بيدك على يسارك . ثم ياخذ الترميذا العهد من المعمد . ويستمر (الترميذا)بقراءة الصلوات والتراتيل وعندما يصل إلى صلاة شهادة التعميد يمد المعمد يده اليمنى إلى الماء الجاري ويردد بعد الترميذا (يردنا اد إصطنابا الاوين نهوي بسهدي اد لا فخنن من رشمن ولاشنينا لدخيا ميمران) - المعنى الماء الجاري الذي تعمدنا به سيكون شاهدنا الذي لانغيره من رسمنا ولانبدل كلماتنا الطاهرة . وبهذه الشهادة يدعو المعمد إلى الحفاظ على شعلة الإيمان الساكنة أعماق كيانه فيلتزم الصمت كل متطلبات هذه الشهاده الطاهرة ويسعى في إشعاع هذه الشهادة الطاهرة نوراً يضيء لمن حوله الطريق نحو الكمال والحقيقة. وعندما ينتهي (الترميذا) من قراءة التراتيل يقف مع المعمد ويقرأ صلاة التوسل وطلب الرحمة والغفران وكذلك المعمد يطلب ويتوسل من ربه أن يغفر له خطاياه ويقبل أدعيته النزيهة وعند الانتهاء من الصلاة يعطي الترميذا العهد إلى المعمد ويستمر الترميذا بالقراءة حتى يتناول (البهثا) ويشرب جرعتين من (الممبوها) والثالثة يرميها أسفل (المركنا) دلالة على غفران خطاياه وبعدها يعطي(الترميذا) العهد إلى (الشكندا) مساعد الترميذا حيث يمسك (الترميذا) يد (الشكندا) اليمنى ويقول (كشطا اسيخ وقيمخ) ثم يرد عليه المساعد (بي وشكا وامر وشتما اثري اد سغدت وشبتتن نويلخ اديـاورا وسيماخا ومبرقانا ومشوزبانا بثر ربا اد دنهورا ودورا تاقنا ومشبين هيي)- المعنى اطلب تجد، تحدث تسمع . الأثيريون الذين قدستهم وباركتهم سيكونون لك مساعدين ومثبتين ومنقذين ومخلصين بالمكان العظيم للنور والدار الأزلية وليسبح الحي .

وبعد هذا يجلس (الترميذا) ويقرأ صلوات الختام وهي عبارة عن حل أو فك مارسمه في بداية التعميد ثم يخرج تاجه من على رأسه الذي توجه في البداية ويقبله ثم يرميان إكليليهما في الماء الجاري رمزاً للخلاص والطهارة

مفهوم طقوس الماء

تعتقد المندائية بوجود ترابط روحي، لا بل حتى مادي ما بين الإنسان والطبيعة التي يعيش في كنفها. فهذا الاتصال والترابط أو التعايش ما بين الإنسان والطبيعة بجميع مظاهرها وعناصرها المختلفة .. كان له تأثير كبير جداً، لا بل كان هو المجال الواسع الذي ترعرعت فيه بذرات الفكر الإنساني. وهذا الترابط موجود بصيغةمشابهة عند المسلمين. فالإنسان من تراب، من طين، خلق من طين الأرض وإليها يعود.

دور الماء في تاريخ الشعوب

عندما ياتي ذكر التعميد أو طقوس الاغتسال المندائي، يجب أن يسبقه الحديث عن الماء ودوره التاريخي في روحية وأفكار الأقوام والشعوب. لأن ما بين التعميد والماء علاقة رمزية صميمية حياتية عندهم، لا تقبل الفصل، ولأن الماء هو الوسيلة الوحيدة لإقامة طقوس الاغتسال الديني أو ما يعرف (بالتعميد). فتأخذنا هذه الأسطورة السحرية (الماء) إلى أعماق سحيقة في التاريخ الإنساني، والتي عاصرته وهو يبني حضارته وفكره الديني منذ بدايات طفولته الفكرية إلى الآن. فالماء ملازم عقلاً وفكراً وطقساً للإنسان.

الإنسان في تاريخه المبكر ومن جملة اكتشافاته الأولية، شعر وأدرك بغرائزه ما لهذا العنصر من أهمية له ولحياته الخاصة، فكانت عبادة الماء وتقديسه من الأفكار الدينية المنتشرة في كثير من مناطق وحضارات العالم القديم. الماء ببساطة يعني الحياة، يأخذنا هذا العنصر موغلاً في التاريخ الميثولوجي للحضارات القديمة، ومنها الحضارة الرافدينية القديمة.

الإلهة إنانا تستعيد الحياة بالماء

فنرى ان الإلهة إنانا قد استعادت الحياة بتناولها طعام الحياة وماء الحياة، بعد أن أوشكت على الموت.

ونجد التفريق واضحاً بين:

المياه العذبة (**الإلهة أبسو**)

والمياه المالحة (**الإلهة تيامت**).

فالإلهة (تيامت) مصدر أساسي للموت والأمراض عند البابليين، وهي سبب جميع الشرور والأمراض في هذا العالم. ولذلك كان يحتفل بفشلها رمزياً في بداية كل سنة جديدة وفي عيد (الأكيتو) استبشاراً بطرد الشرور والأمراض.

أما الإله (أبسو) الذي يعتبر مصدر الشفاء والطب، لأنه إله المياه العذبة، فهو أبو الإله (إيا) الذي هو رب الطب الأعلى.

وقطرات الماء الساقطة من السماء إلى الأرض على شكل مطر، والذي يسبب إنماء وإرواء الأرض - هذه العملية كان لها مغزى كبير وعميق في التفكير الإنساني والمندائي.. فهذه القطرات تمثل في الأساطير الدينية القديمة كالمني التي يطلقها الذكر (المتمثل في السماء الواهبة) لتخصيب الأنثى (المتمثلة في الأرض المستلمة). فهذه عملية حياتية في عمق فلسفة المندائية.

والله سبحانه تعالى قد خلق الإنسان من ماء وتراب وكان يوحنا المعمدان وقومه يعيشون قرب المياه كي يعمّدوا أطفالهم به والمنتمين الجدد، وهناك طوائف أخرى كثيرة تربط حياتها الاجتماعية والدينية بالمياه وتعيش على ضفاف الأنهر. فالماء كان ينظر إليه بالمنظار المقدس في جميع الأديان القديمة.

أهمية المياه عند الديانات الثلاث

والماء في مرتبة عالية في الممارسات والفكر الديني الإسلامي (**وخلقنا من الماء كل شيء حي**) القرآن الكريم، أي أنه أساس لكل شيء حيّ. ولا يخلو أي مسجد

من مصدر للمياه النظيفة السائلة يستخدمه المسلمون للوضوء قبل الصلاة خمس مرات في اليوم .

وفي الديانة المسيحية نجد في الماء عنصراً مهماً في إقامتها لمراسيم التعميد ولا يستعاض عنه. كما أن السيد المسيح (ع) تعمد بالماء الجاري (نهر الأردن) على يد النبي يحيى يوحنا (ع) – حسب الرواية المندائية - فكان لهذا التعميد أثره الخاص والمهم بلاهوت المسيح والكنيسة من بعده. فيدخل الماء في عملية التعميد الكنسي وصلوات القربان المقدس عند المسيحيين كرمز للتطهير من الذنوب. أما في الديانة اليهودية فالماء عندها مقدس تقديساً كبيراً وهذا يظهر جلياً واضحاً في مراسيمها الدينية ، وفي فكرها أيضاً (**روح الله يرف على وجه المياه**) التوراة\التكوين.

ومن فرائض اليهودية أيضاً استخدام الماء في طقوس التنظيف وتبرئة الذات من الذنوب وفي التعميد أحياناً. كما يعمد اليهود إلى غسل أياديهم قبل كل وجبة طعام وعن طريق تقليب الماء بين الكفين اليسرى واليمني بمثابة تبرك .

المياه المقدسة عند اليونان

وكانت للديانات القديمة قدسية خاصة للمياه لهذا فقد اعتبر الإغريق القدماء أن بعض الأنهر والبحار مقدسة ومنحو المياه آلهة مسؤولة عن الخير والخصوبة والكوارث .

كان القدماء يرون في أعماق الآبار والينابيع والأنهار العذبة قوى خفية مؤثرة تمنح مياه تلك المواضع قدسية خاصة. وفي الواقع أننا لا نزال نرى هذا التقديس باقياً حتى الآن عند كثير من الشعوب.

الماء الحي – يردنا

إن الماء الحي (**ميا هيي**) شعار وصفة ملازمة من الناحية الفكرية والطقسية للديانة المندائية. فللماء في الديانة المندائية قدسية عظيمة وواضحة وضوح الشمس. لكن ليس كل ماء هو مقدس في المندائية ، وإنما فقط الماء الجاري الحي الذي

يطلق عليه اسم (**يردنا**) فهناك الماء الراكد أو الميت الذي ترفضه الديانة المندائية، والذي يرمز إلى الظلام والموت. أما الماء الجاري الحي (يردنا) فهو الماء الذي يحمل كل صفات الحياة. الماء الذي ينقّي نفسه بنفسه.

فـ(**يردنا**) لها أهمية رمزية كبيرة في عملية الخلق وانبثاق الحياة والعوالم. فهي تعتبر من صفات الخالق المقدسة والعظيمة والتي انبثقت في آخر يوم من أيام الخلق العلوي الخمسة (**البرونايا**). وتذكر بعض النصوص الدينية المندائية بأن اليردنا هو مخلوق كائن بذاته، له القابلية على الخلق أيضاً (**عبارة رمزية**).

الماء = الدم

فاليردنا أو الماء الحي هو الذي كان سبباً في إنعاش الحياة على الأرض. وكأنه بمثابة مادة الحياة (الدم) في الإنسان وجريانه بدورتيه الكبيرة والصغيرة المعروفتين، سبب في بقاء الإنسان على قيد الحياة. لأن الأرض عند خلقها لم تكن روح الحياة متيسرة، فكانت مليئة بالماء الآسن الأسود الذي خرجت منه الأرواح الشريرة والشر. فبامتزاج (يردنا) السماوي في مياه الأرض الغير حية ازدهرت الأرض وانتشرت رائحة الحياة عليها.

يردنا سماوي

وليس كل ماء جار هو يردنا، وإنما جزء منه يردنا سماوي = المطر، وهو الذي يغذى من قبل عوالم النور العليا السماوية (آلمي اد نهورا). فعملية امتزاج (يردنا) السماوية الجارية في عوالم النور والمحملة بالحياة والنور ب(يردنا) الأرضية، تعطي للأخيرة صفة الحياة والقوة على البعث والإخصاب. فلذلك إن وجود يردنا السماوية في يردنا الأرضية يثبت وجود العلاقة الحياتية بين عوالم النور (آلمي اد نهورا) وعوالم الظلام (آلمي اد هشوخا) والتي من ضمنها الأرض (ارا اد تيبل).

وهذا يعني أن روح الحياة متيسرة في هذا العالم. وحسب الفكر المندائي إن هذا الاتصال مهم جداً بين الماء الجاري الحي العلوي والماء الجاري الأرضي. وإن لم تصب المياه العلوية في المياه الأرضية ستبقى الأخيرة سوداء غير حية كما كانت بعد الخلق. ف(يردنا) السماوية كانت مصدراً وسبباً في ازدهار الحياة على الأرض بعد الخلق واصبحت مهيئة لخلق الإنسانين الأولين عليها (**ادم وهوا**) = آدم وحوّا.

المفهوم المندائي لماء المطر يعني أنه مقدس وقد أتى من عند الله، ومن عالم النور المقدس. لكنّ هذا المفهوم يخالف الحقائق العلمية التي نعرفها جميعاً اليوم وهي دورة الماء – تبخر – تكاثف – غيوم – أمطار.

فالاعتقاد المندائي هو أن (يردنا) الأرضية تغذى من قبل (يردنا) السماوية والتي تعطيها صفة الحياة والديمومة، وهي عبارة عن نور الله المتجسد في الماء. كما أن يردنا هي المادة أو المصدر الذي تتزود منه الكائنات الأثيرية والأرضية على حد سواء، القوة والحياة.

وإن الماء الحي (ميا هيي – يردنا) هو جوهر طقس (المصبتا – الصباغة) التعميد المندائي. و(يردنا) عموماً يرمز إلى صفة الأب وعنصر الحياة (السائل الحيوي للحياة والتكوين) في الفكر والممارسة الطقسية المندائية. ف(يردنا) هي نفسها التي سيولد بها الإنسان المصطبغ (المتعمد) مرة أخرى تاركاً خطاياه بعيدة. فالماء إذن مغذ ومنعش ومطهر دائماً.

وكلمة (**مصبتا**) مشتقة من جذر الفعل الثلاثي المندائي (صبا) بسكون الصاد وفتح الباء – وتعني مندائياً التعميد أو الصباغة بالذات. ومن هذه الكلمة جاءت تسمية المندائيين بالصابئة أي الصابغة أو المتعمدين أو السابحة. والأخيرة اقترحها عباس محمود العقاد، في كتابه (إبراهيم أبو الأنبياء)، جعل سببها كثرة الاغتسال في شعائرهم (أي الصابئة المندائيين) وملازمتهم شواطئ الأنهار من أجل ذلك.

طقوس الاغتسال

وإن طقس الاغتسال بالمياه الجارية (التعميد) والذي يأخذ أشكالاً متعددة بين أقوام وأديان وشعوب العالم، لكن يبقى جوهره واحداً وهدفه الرئيسي هو التطهير واكتساب منحة الحياة والاتصال بالقوى الحياتية، لما للماء من أهمية بالغة في عقيدة الأديان. والكثير من هذه الأديان تعتقد بوجود القوى الخفية التي تحمي هذه المياه وتعطيها البركة الإلهية والقوة على الإنعاش والتواصل مع الحياة، والتي تظهر مميزات هذه القوة في المياه عندما يرون أن الماء باعث الحياة للأرض الميتة، ومعطي جرعة الحياة للإنسان والكائنات الحية.

شعوب قديمة قدست المياه

إن شعوباً واقواماً عديدة مارست هذا النوع من الطقوس المصاحبة للمياه. واندثر بعضها ولم يبق منها غير الذكر التاريخي، والقسم الآخر موجود حالياً يمارس لحد الآن وتمارسه كثير من الأديان والمذاهب بصور تختلف أو تتشابه فيما بينها.

تقديس الماء عند اليهود

ويذكر لنا التاريخ أن هناك فرقاً يهودية قديمة عديدة كانت تمارس مثل هذا النوع من الطقوس. فاليهود الذين سكنوا بلاد مابين النهرين (الشتات) لجأوا إليه حين بشروا بدينهم هناك، إذ كانوا يلزمون من ينضم إلى اليهودية بالتعميد (كان المتهودون يعمدون أو يغطسون بالماء في نهر قريب عادة علامة تطهير). فكانت الديانة اليهودية تفرض تطهيرات عديدة بالماء، وتفرض في العديد من حالات النجاسة، اغتسالات طقسية، تطهر وتواصل للعبادة. ونلاحظ في التوراة والتاريخ العبراني أسماء لمواقع مائية مقدسة جداً في عقيدتهم.

الأسينيون قدسوا الماء

وهناك منطقة تقع شرق نهر الأردن، يؤكد بعض الباحثين بأن البلدة المكتشفة ترجع للنبي يحيى يوحنا (ع) ولتلاميذه من بعده. وربما ترجع لطائفة **الأسينيين**، وخاصة أنها قريبة من مركزهم الرئيسي في منطقة قمران. وعلى العموم إن البلدة المكتشفة تحتوي على العديد من الأحواض المختلفة الحجوم، وكانت لأغراض الاغتسال والتطهير الديني.

وعلى الجانب الغربي من نهر الأردن، هنالك طائفة الأسينيين التي اكتشفت في آثارها أحواض خاصة في منطقة **خربة قمران** (شمال غرب البحر الميت) لأداء هذه المراسيم على الرغم من اندثار هذه الطائفة. فلقد كانت الحمامات المرتبة طقسياً مألوفة لدى هذه الطائفة، مثلما كانت عند جماعات دمشق وقمران.

ويقول جوزيفوس المؤرخ اليهودي، في كتابه (حروب اليهود) المجلد الرابع صفحة ٢٢٢، أن الطهارة لدى الأسينيين هي شكل من أشكال التعميد لأنها كانت تمارس قبل وجبة الطعام اليومية العمومية. أو إذا تدنس أخ بتماسه مع أفراد فئة أدنى منه دينياً، أو في حالة قبول مرشح عضواً في النظام الكهنوتي.

اغتسال وتراتيل

فالتعميد إذن هو شكل من أشكال الاغتسال في الماء من أجل التطهر، والذي يتميز بالغطس في المياه الجارية، وتلاوة التراتيل الدينية، التي تدعو إلى التقرب للذات العليا.

ننوه بأنّ المسلمين لايقدّسون الماء. بل يمنحونه أهميته الحقيقية التي يستحقها. فالوضوء الإسلامي المعروف هو نوع من الغسل والتطهر. وهذه حاجة بشرية طبيعية. فلا يصاحب الوضوء عادة بأية ترتيلات أو أدعية دينية، لأنه فعل عادي لأجل الغسل والتطهر فحسب. فيما نقل الصوفيون المنشقون عن الإسلام بعض العادات عن المندائية في مجال الغسل. فهم يقرؤون مايمكن تسميته بدعاء نية الوضوء الذي يقول(نويت أن أتوضأ من هذا الماء الطاهر). وهذا القول ليس من الإسلام، بل هو نوع

البدع التي استحدثها المتصوفون وأخذوها عن المندائية. وهو قول يشبه التراتيل الدينية المندائية المصاحبة للتعميد. ويذكر بأن مركز انتشار الفرق الصوفية هو في شمال شرق سورية، وعلى ضفاف دجلة والفرات، أي بالقرب من حدود العراق، ومن أماكن تواجد الصابئة المندائية.

التعميد يجدد الحياة

الاغتسال المندائي هو استلام منحة الحياة والتقديس من خلال عنصر الماء الذي يمثله بكونه عنصراً للتطهير أولاً، وبكونه المادة الحية الأولى التي خلق منها كل شيء حي ثانياً.

وبما ان الأساطير الدينية تتحدث عن خلق الإنسان الأول من التراب والماء، وكان الإنسان قد حاول في فكره الديني أن يحول أسطورة خلقه الأولى إلى ممارسة طقسية يقوم بها بحياته وكلما احتاج إلى أن يولد ويخلق من جديد، فهي إذن عملية تواصل مع الخلق الأول والتجديد في الحياة.

الموت ثم الإحياء الجديد

إن عملية الغطس وقطع النفس عند انغمار المرء تحت الماء أثناء مراسيم الصباغة المندائية (مصبتا - التعميد) ليست إلا دلالة قيمة وواضحة ترشدنا إلى عملية الخلق الأولى للإنسان. فهي تعني الموت والاندحار ومن ثم الخروج من على سطح المياه، دلالة الخلق والولادة والازدهار.

الفرعونية والسومرية والبابلية والكلدية والآشورية

كذلك إن طقوس الاغتسال الديني التي كانت تجرى في بابل أو مصر أو ربما غيرها أيضاً كانت تجرى في الأنهار الجارية، ومن المعلوم أيضاً أن ارتداء الملابس البيضاء التي ترمز إلى النظافة والطهارة عند التعميد والاستحمام الديني كان شائعاً لدى العديد من الأقوام.

من باب آخر يذكر التاريخ وعلى لسان الكثير من المؤرخين والباحثين، وكما ترويه لنا الشواهد الأثرية، بأن هذا النوع من الطقوس امتد بعيداً في التاريخ. فحتى الديانات المصرية والسومرية والبابلية والكلدية والآشورية لها ممارسات على مثل هذه الطقوس والتي تقام بمصاحبة المياه الجارية النقية، والتي تمتلك صفة الحياة، فمثلاً في مصر كان التلميذ المرشح للكهانة إذا نجح في الامتحان القاسي الذي يجرى له، يخلع ملابسه ويستحم (يتطهر) في الماء ويطيبونه بالعطور ثم يرتدي زي رجال الدين، ويجب أن يقوم الكاهن بطقوس التطهير لنفسه وللمعبد، وذلك قبل الشروع في أداء شعائر العبادة. ويقوم الفرعون بمراسيم تبخير المعبد وتطهيره بسكب المياه المقدسة عليه، ثم يقدم القرابين لأبيه الذي يمنحه الحياة، وللعلم إن المصريين القدماء قد عرفوا الأحواض المقدسة المملوءة بالمياه الخاصة للتطهير.

الماء المقدس

ويعتبر تناول الماء المقدس عند الحضر، من طقوس الاحتفال الديني المهمة جداً، ويكون حوض الماء المقدس دائري الشكل ويستعمل لأغراض التطهير. ويتحقق الغسل الارتماسي بغمس الجسد في الماء دفعة واحدة.

وهناك ترى الصابئة المندائيين، الذين يحرصون على أن يكونوا في سكناهم قريبين من مصادر مياه جارية وحية، على ضفاف الأنهار، وخاصة دجلة والفرات. والمهاجرين منهم، في أستراليا خاصة، يمارسون طقوس تعميدهم بكل حرية على ضفاف نهر **نيبين** في مدينة بنرث.

وإن هذا التعميد الذي يقوم به الصابئي المندائي والذي يسميه شعبيا (**صباغة**) وفي اللغة الرسمية الدينية (**مصبتا**)، له تأثيراته على أصول وتطبيقات طقوس ومراسيم الاغتسال عند بعض الأديان الأخرى مثل المسيحية.



أزلية الحي وأزلية الماء

البياض والماء الجاري واسم الحي منطوق عَلى هيئة التعميد المندائي التي يشاهدها الجميع في طقس علني جماعي . ويقولون إنه طقس أزلي أزلية الحي وأزلية الماء الذي كان منه، ويقولون: (من الحي كان يردنا = الماء) ومن " يردنا " هي الحياة.

لقد عرف المندائيون الله وأسموه الحي " هيي " صفة الديمومة والبقاء فهو الحي الأزلي السرمدي وهو الحياة. ومن معرفتهم اشتق اسمهم العَلَم (المندائيون: أي العرفانيون)، ذلك أن كلمة " مندا " تعني بالآرامية " المعرفة " من أساس الفعل : "يدا" . فالمندائي هو العارف. والمعرفة عندهم معرفة الحي الخالق الله الواحد الذي انبعث من ذاته. وبلغتهم: " إد من نَفشي إفرش".

إن التصاق المندائيين بالماء الجاري يُظهر قِدم صفة العلاقة والوجود. فالماء أول ما عرف البشرلأنه حاجة الحياة، قدسه لأنه أبرز إعجازات الخالق وعليه بنى عبادته وإظهار تقربه إليه. أسس طقوس عبادته على التعميد " المصُبتا ". هذا التعميد الذي باركه الرب - حسب العقيدة المندائية- بتعميد آدم وشيت، ويستمر.. فتخلده البشرية في أظهر تعميد عرفته يوم أ مِر يحيى بن زكريا بتعميد السيد المسيح (عليهما السلام). ولإضفاء القدسية وتوكيدها فقد باركته الروح القدس حين تجلت بهيئة حمامة بيضاء رفرفت فوق رأسي النبيين.

وأرض العراق، حيث دجلة والفرات " فراش زيوا : الفرات النوراني" تحتضن المندائيين منذ تصلبت والمياه فيها جرت، عرفوا وآمنوا وعبدوا الحي الأزلي الواحد فيها ، وبقدرته ظلوا هذه الآلاف من السنين طائفة حية طالما اسم الحي في نفوسهم وفي فيهم. بهم إرث إنساني مازال يتنفس الحياة ويمارس أقدم وأخلد طقس. فمن يتجاوز عراقة العراق ومازال فيه التعميد؟ ومن يسلب آثاره ومازال فيه المندائيون؟

يدخل المندائي الماء، أينما كان، متعمداً به. يرتمس فيه ثلاث مرات حد قطع النفس في إشارة إلى أن الحياة مرهونة بهذا الماء الجاري مثلما مرهون به تطهير النفس من الأخطاء، والبدن من الأدران وعوائق الحياة. ينقطع النفس تحت الماء ليعود

الإنسـان بعـدها إلى حيـاة متجـددة وقـد أزاح المـاء الجـاري كـل عوالقهـا. ثـم تطمـئن النفس بالصـلاة وطلب الرحمة والابتهال والـدعاء بنصـوص دينيـة تتم بـإجراء طقسـي تواجه فيه الماء وتجلس على ضفته متوجهة إلى السماء العلياء حيث الله الراقـي تطلـب مغفرته بعد أن تطهرالبدن وتجددت فيه نسمة الحياة.

مارسنا ذلك كعادة أهلنا ونحن صغار في سـوق الشيوخ وقلعـة صـالح والناصـرية والعمارة والديوانيـة والبصـرة وبغـداد وديـالى وكـركـوك.. ثُـم . ثم أكتب اليـوم وأنـا بعيد عن أرض العـراق، فقـد شـدتني المشـاهد الـتي عرضـها الإعـلام العراقـي للتعميـد المندائي في يوم التعميد وعيده " دهبا إد دايمانا "، فلا غرو أن مثلما تُعاد مياه الأهوار فتعود طيوره، يوفر الأمان علـى شـعب العـراق وأرضـه أن يعـود البيـاض المنـدائي زاهيـاً يعانق دجلة والفرات صنوان.

وحيـث كـُتب علـى المنـدائيين، كمـا علـى الكـثير مـن العـراقيين، عهـد النظـام السـابق مغادرة الوطن، فإن ما يفرح أن التمسك المندائي بطقس التعميد ظل قائمـاً في بلدان المهجر رغم صعوبة إجرائه لاختلاف الظروف المناخية والحضـارية. وكـم كنـت سـعيداً حين دعيت لإحيـاء عيـد التعميـد في هولنـدا يـوم الأحـد ٥/٢١، فـأجـد الترميـذا الربي رافد عبد الله السبتي قد اختار مكـانـاً على ضفة نهر الراين في مدينة نـايمنخن الهولندية. وكم كان فرحاً وهو يقول لي: انظر لقـد اخـترت هـذا المكـان لأنـه يشـابه المكـان الـذي نعمـّد فيـه قـرب جسـر الجادريـة بمدينـة بغـداد! وقـد صـدق. وتوافـد المندائيون على النهـر، ولم يكـن صـعباً علـى الـذين قـدموا مـن مـدن هولنديـة متعـددة معرفة المكان، فقد كـان السؤال فقط: أين النهر رجاءً!

تعمـد المنـدائيون بمـاء الله الحـي في نهـر الـراين ومثلـهم تعمـد إخـوانهم في إيـران والأردن وسوريا وألمانيا والسويد والدنمارك وأستراليا وأمريكـا.

صـحيح أن لا قِـبل للمنـدائيين علـى التـوزع ولا قـدرة كـبيرة لهـم في صـد تـأثيره السـلبي علـى كيـانهم، إلا أن حبهم لعقيـدتهم جعلـهم يجهـدون في الالتـزام بطقسـهم التعميدي الـذي في إظهـاره وضـرورة إجرائـه في المـاء الجـاري وعلـى ضـفاف الأنهـار مـا يثير دهشة من يشاهدهم من أبناء شـعوب البلـدان الـتي لجـأوا إليهـا حـد أن لا يقـاوموا السؤال: من هؤلاء؟ و حد انبهار أحدهم حين صاح (يا إلهي، أيحيى يُعمـِّـد في نهرنـا!).

ويُجاب السائلون: نحن المندائيون، منبعنا العراق، الماء الحي يجري فينا، نتوق إلى دجلة والفرات، وإن صرنا الآن جوار أنهار أخرى فإنا نباركها بالتعميد القادم من أرض النهرين.

أنهى المتعمدون في يوم التعميد تعميدهم ولسانهم يقول: يا أبانا شيت، علمتنا أنّا حينما نُسأل في الدار الآخره عن شهودنا على تعميدنا أن الشمس ليست شاهداً فهي زائلة باطله وكذا القمر والنار. إن شهودنا هم: الماء وضفتا النهر، وكسرة الطعام المقدس، وجرعة الماء الحي، والإيمان الحق، ويوم الأحد، ودار العبادة، والصدقة التي نقدمها. وها نحن على عهدك نقول بلى.

سلم المتعمدون في نهاية تعميدهم على الحي الأزلي وعلى ملائكته وأنبيائه وهم يرمون خاتم نبات الآس الذي كان بخنصر يدهم اليمنى في الماء الجاري ليحيا زرع الحياة مخضّراً عطراً. وعادوا فازداد يومهم سعادة حين تلقوا سلام ودعاء أهلهم وأحبتهم من العراق عبر الإعلام العراقي فكانت فرحة وكان عيداً تضرع فيه المندائيون إلى الحي الأزلي أن يحفظ العراق وأن يبسط عليه حنانه وأمنه ليسود السلام وليبقوا فيه النبت الذي يُرعى فيورق ويزهر ويظل عبقاً بالتوحيد الأول.

التعميد بالأحواض

يجوز التعميد في الأحواض إذا كانت ذات ماء جار حي نظيف، ووضعية اجتماعية مقبولة. ويجب أن يكون الماء الذي فيها، مستوفياً لشروط يردنا الدينية.

الماء بحد ذاته لا يطهر الفرد، وإنما يطهره التزامه بأركان شخصيته ودينه المندائي الخمسة. والصباغة بالماء الجاري الحي (اليردنا) تأكيد الطهارة والقبول من قبل الحي العظيم (مسبح اسمه). فلذلك يدعو الدين، المندائيين أن يطهروا أرواحهم في السلوك المستقيم والالتزام بالصوم الكبير، قبل أن يطهروا أجسادهم بالماء. فبعد التزامه بالصوم الكبير وابتعاده عن كل السيئات يغطس في اليردنا الحي ويتقبل أسرار المصبتا ويتقدس بهذه المياه والأسرار الخاصة بها لتكون التوبة الصادقة من نصيبه والولادة الجديدة لحياته مع حياة الحي العظيم (مسبح اسمه).

فالمنـدائي يتعمـد باسـم الحـي العظـيم (هيـي ربـي – مشـبا اشمـي) وبواسـطة المـاء الجاري الذي له أهمية وقدسية من الناحية العلمية واللاهوتية.

فقبل تناول أي طقس مندائي، يجب أن يشعر الفرد بخطاياه، ويطلب توبة عميقة وجدية. فهذا هو الأهم من الناحيـة الروحيـة والنفسـية للمـرء الـذي ينـوي تقبـل المصبتا المندائية ودخوله إلى رحلة روحية لتأمل الحياة.

وإن أهم مستلزمات المرء الذي ينوي الاصطباغ باليردنا، هي:

١. اعتراف بخطايا، وطلب التوبة.

٢. يجب أن يرتدي الملابس الدينية البيضاء (الرستة) بأجزائها الخمسة.

٣. يضع إكليلاً من نبات الآس الطبيعي (يمثل التاج) في خنصر يده الأيمن.

٤. يجب أن يكون عارفاً لاسمه الديني. ويستخرجه رجل الدين من معرفـة الشـهر واليوم والساعة التي ولد بها، مع معرفة اسم والدته الديني.

تعميد المحتضر ودفنه

عندما يحتضر الصابيء يجـب أن يؤخـذ – وقبـل زهـوق روحـه – إلى المـاء الجـاري ليتمّ تعميده. ويحضر له ماء لغرض (طماشته) تعميده.

من مات من دون عماد نجس ويحرم لمسه.

أثنـاء العمـاد يغسـلونه متجهـاً إلى نجـم القطـب الشـمالي، ثـم يعيدونـه إلى بيتـه ويجلسونه في فراشه بحيث يواجه نجم القطب أيضاً حتى يوافيه الأجل.

يغسل ويلبس الكفن قبل أن يموت.

من مات غيلة أو فجأة، فإنه لا يغسل ولا يلمس، ويقوم الكنزبـرا بواجـب العمـاد عنه.

يـدفن الصـابيء بحيـث يكـون مسـتلقياً علـى ظهـره ووجهـه ورجـلاه متجهـة نحـو الشمال، يضعون في فـم الميت قليلاً مـن تـراب أول حفـرة تحفـر لقـبره فيهـا. وهـذه مـن العادات وليست من العقيدة.

يحرم على أهل الميت الندب والبكاء والعويل، والموت عندهم مـدعاة للسـرور، لا يوجـد لـديهم خلـود في الجحـيم، بـل عنـدما يمـوت الإنسـان إمـا أن ينتقـل إلى الجنـة أو

المطهر حيث يعذب بدرجات متفاوتة حتى يطهر فتنتقل روحه بعدها إلى الملأ الأعلى، فالروح خالدة والجسد فان.

الماء الجاري وحده يطهر الفرد المندائي

إن الماء بحد ذاته لا يطهر الفرد ، وإنما يطهره التزامه بأركان شخصيته ودينه المندائي الخمسة. والصباغة بالماء الجاري الحي (اليردنا) تأكيد الطهارة والقبول من قبل الحي العظيم. فلذلك يدعو الدين، المندائيين أن يطهروا أرواحهم في السلوك المستقيم والالتزام بالصوم الكبير، قبل ان يطهروا أجسادهم بالماء. فبعد التزامه بالصوم الكبير وابتعاده عن كل السيئات يغطس في اليردنا الحي ويتقبل أسرار المصبتا ويتقدس بهذه المياه والأسرار الخاصة بها لتكون التوبة الصادقة من نصيبه والولادة الجديدة لحياته مع حياة الحي العظيم (مسبح اسمه).

اشتهرت منذ قديم الزمان ظاهرة تقديم القرابين الحيوانية وربما البشرية عند بعض الأقوام قديماً ، وكانت تصاحب هذه القرابين والأضاحي الحيوانية طقوس ماجنة ويستعمل فيها الدم كمادة مقدسة ، وكانت تمارس في ايام معينة محسوبة لديهم وكأنها أعياد. فقد مارست هذه الطقوس ديانات كانت منتشرة في فلسطين والعراق والجزيرة العربية مثل الديانة اليهودية وديانات العرب قبل الإسلام.

إن هذا الاسم يطلق فقط على رب الحياة وخالقها ، وهو أعظم وأهم صفات وأسماء الخالق سبحانه وتعالى في المندائية.

إن الماء الحي (ميا هيي) هو أحد خلق الحياة الأولية والبدئية (ميا وزيوا ونهورا وايقارا) .. ومن هذه العناصر تم خلق العالم.

أحكام التعميد المندائي

حكم ماء الإسالة (الحنفيات)

فهم معنى كلمة (يردنا) في الديانة المندائية، من كافة نواحيها الفلسفية والدينية والتاريخية والعلمية وحتى اللغوية، يمكن أن يعطينا فكرة عن الرأي بهذا الماء.

ماء الإسالة الذي يأتي إلى البيوت من خلال الأنابيب المعدنية، هو طاهر بحد ذاته ومستوفٍ لشروط (يردنا) الدينية والفلسفية.

لكن هذا لا يمنع من وجوب محاولة الرجوع دائما إلى الطبيعة الأصلية إذا كانت مستوفية للشروط الدينية والنظافة والطهارة ومقبولة اجتماعياً.. فالنهر أو النبع هو الحالة المثالية للتعميد.

الرشاما هي نظافة روحية وجسدية. فلذلك يمكن تأديتها في أي وقت يشعر المرء بحاجته لها، وفي هذه الحالة تدخل من باب المستحبات. ومن المهم أن نذكره بوجوب أداء الرشاما، قبل البراخا والنخاسا (النحر) والمصبتا (الصباغة).

الاغتسال

وجوب الاغتسال بعد المعاشرة الجسدية الزوجية، بالنسبة للزوج والزوجة . فالمندائية، ديانة طهارة ونظافة روحية وجسدية، لأنها تؤمن بالارتباط ما بين الروح والمادة، حتى وإن كان هذا الارتباط مؤقتاً.

على العموم تشدد تعاليم الديانة المندائية على وجوب اغتسال (**طماشا**) الزوج والزوجة على حد سواء، بعد الجماع.

ويجب مصاحبة هذا الاغتسال بقراءة **البوثة** المخصصة للطماشا. فقد ورد في الكنزا ربا ما يلي:

((عندما تقتربوا من زوجاتكم، يجب أن تتطهروا بالماء)).

اغتسال الحائض

من الخطايا والمحرمات المندائية معاشرة الزوج لزوجته أثناء فترة الحيض. وذلك لعدة أسباب منها الدينية الخاصة بالطهارة الروحية والجسدية، ومنها اجتماعية ونفسية وصحية. ويجب على المرأة أن تغتسل (تطمش) بعد تأكدها من انتهاء فترة الحيض.

التعميد المندائي

إن التعميد الحي (المصبتا) أساس وشعار الديانة المندائية وجوهرها. وهنالك حالات معينة يمر بها الإنسان على طول مشواره وسفره في هذه الحياة الأرضية، يحتاج أن يتقبل أسرار الصباغة المندائية الحية وأن يعلن ويجدد انضمامه لسلام ومحبة ونور ملكوت هيي ربي (مشبا اشمي).

أنواع التعميد:

١. التعميد (الصباغة) الأول. أي الدخول للديانة المندائية. وإعلان الانضمام لجماعة (إخوان الحق) اهي اد كشطا.

٢. تعميد الأعياد والمناسبات. لننال بركة الحي العظيم في عيده ومناسبته الجليلة.

٣. تعميد الزواج. التطهير المادي والروحي لأخذ عهد الزواج.

٤. تعميد التوبة. عندما يريد الإنسان أن يتوب إلى هيي ربي (مسبح اسمه) وأن يسلك طريقه النوراني.

٥. صباغة التجديد. عندما يريد الإنسان ان يجدد ولادته، وأن يجدد رسمه ويقويه.

٦. صباغة الزوج والزوجة بعد أسبوع الزواج.

٧. صباغة حاملي الجنازة.

٨. الصباغة قبل تكريس رجل دين جديد.

٩. صباغة رجال الدين في حاله تعرضهم لأي خطأ غير قصدي أثناء أداء المراسيم الدينية كافة.

١٠. صباغة المرأة بعد شهر الولادة.

١٨. يطبق التعميد على كل إنسان حتى على شخص لا يسمع ولا يتكلم.

من لم يتعمّد فهو ليس مندائياً

كل إنسان لم يتقبل المصبتا المندائية هو إنسان غير مندائي. فالمصبتا الأولى تعني دخوله فعلياً في حيز جماعة المؤمنين المندائيين .. فلذلك لا يوجد بديل للمصبتا (الصباغة) لأن يكون الفرد مندائياً.



لا يستطيع رجل الدين تعميد (صباغة) زوجته

تعتبر زوجة رجل الدين نصفه الثاني المكمل له. فلا يستطيع أن يصبغ (يعمد) نصفه لأنها تعتبر نصفه المكمل. وكذلك إن التعميد يستوجب أن يكون الفرد كاملاً ليتناوله. فمن منظور الديانة المندائية بأن الزوج والزوجة هما حالة واحدة متصلة (أي نصفين متساويين) وهذا ما حصل لهما عند تكوينهما الجديد (ولادتهما الجديدة) في مراسيم الزواج المندائي المقدس.

حالات لا تسمح للفرد بأن يتقبل التعميد

هنالك حالات معينة طبيعية تمر على الإنسان (ذكراً أو أنثى) تخل بطهارته الطبيعية، فيمتنع عن تناول المصبتا، ومن هذه الحالات:

١. للمولود الجديد أثناء شهر الولادة. إلا بعد إكماله الثلاثين يوماً، يستطيع أن يتقبل المصبتا.

٢. للمرأة الوالدة حديثاً إلا بعد إكمالها الشهر. وتستطيع أن تصطبغ مع وليدها الجديد.

٣. للمرأة الحامل. وتزول هذه الحالة بعد شهر من الإنجاب.

٤. للمرأة الحائض. بعد زوال مدتها وطماشتها (تغتسل).

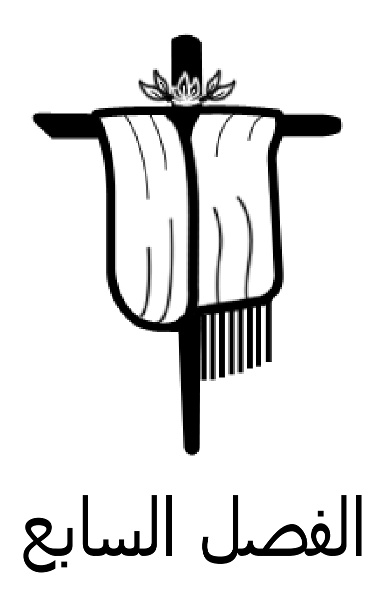
٥. للرجل المجنب الا بعد طماشته (يغتسل).

٦. للزوج والزوجة أثناء الأسبوع الأول من زواجهما دينياً (أي من عقد المهر الديني). ويتعمدان بعد إكمالهما الأسبوع.

٧. للرجل الذي امرأته ولدت مولوداً جديداً. ويحق له ممارسة أعماله الدينية ومن ضمنها التعميد، بعد أن تستكمل المرأة شهرها.

لا تستطيع المرأة الحامل أن تتعمد

لا يحق للمرأة الحامل أن تتعمد لأن في أحشائها يجري تكوين كائن جديد (مولود) له خصائصه المميزة ككائن مستقل.



الفصل السابع

رحلة مع الفلسفة المندائية

الجذور الفكرية والعقائدية

تأثر الصابئة بكثير من الديانات والمعتقدات التي احتكوا بها.

أشهر فرق الصابئة قديماً أربعة هي:

١. أصحاب الروحانيات.

٢. وأصحاب الهياكل.

٣. وأصحاب الأشخاص.

٤. والحلولية.

لقد ورد ذكرهم في القرآن مقترناً باليهود والنصارى (أهل الكتاب) والمجوس والمشركين أحياناً. ولهم أحكام خاصة بهم من حيث جواز أخذ الجزية منهم أو عدمها أسوة بالكتابيين من اليهود والنصارى.

تأثّروا بالإسلام عبر العصور، ويقال بأن كتابهم الرئيسي قد كتب بعد ظهور الإسلام. ولذلك ففي عقائدهم وشرائعهم الكثير من القواعد المتوازية مع الإسلام.

عرف منهم الصابئة الحرانيون الذين انقرضوا والذين تختلف معتقداتهم بعض الشيء عن الصابئة المندائيين الحاليين.

لم يبق من الصابئة اليوم إلا صابئة البطائح المنتشرون على ضفاف الأنهر الكبيرة في جنوب العراق وإيران.

تأثروا باليهودية، وبالمسيحية، وبالمجوسية لمجاورتهم لهم.

تأثروا بالحرانيين الذين ساكنوهم في حران عقب طردهم من فلسطين فنقلوا عنهم عبادة الكواكب والنجوم أو على الأقل تقديس هذه الكواكب وتعظيمها وتأثروا بهم في إتقان علم الفلك وحسابات النجوم.

تأثروا بالإفلاطونية الحديثة التي استقرت فلسفتها في سوريا مثل الاعتقاد بالفيض الروحي على العالم المادي.

تأثروا بالفلسفة الدينية التي ظهرت أيام إبراهيم الخليل - عليه السلام - فقد كان الناس حينها يعتقدون بقدرة الكواكب والنجوم على التأثير في حياة الناس.

تأثروا بالفلسفة اليونانية التي استقلت عن الدين، ويلاحظ أثر هذه الفلسفة اليونانية في كتبهم.

لدى الصابئة قسط من الوثنية القديمة يتجلى في تعظيم الكواكب والنجوم.

الناصِروثا

تُعرف {الناصِروثا} عند المندائيين بأنها :

علوم التبحر في الدين والفلسفة الروحانية، عميقة الجذور إلهية حقاً، علوم الحقيقة الكامنة والمعرفة اللامتناهية وكلمات الحق والصدق الأسمى، جُلبت من كنز عوالم النورالأزلية وأعطيت للنفس التي دخلت الجسد المادي عند إتمام خلقه؛ لتكون لهُ السلاح النوراني الذي به سوف يقاوم الشر والظلام القابع في العالم الفاني [آلما اد تيبل] العالم الأرضي ؛ علوم أزلية موجودة بوجود سيد العظمة (الحي العظيم، هيي قدماي) متسربلة بأشعتها وأضوائها الذاتية في سكينة تامة ؛ لم يحن الموعد بعد لتخرج من سكينتها، لأن الآدميين لم يخلقوا بعد لاحتوائها . وعندما حان موعد خلق الآدميين نادوا على (الناصِروثا)، فارتفع النداءُ (بالدعاء والتسبيح) عالياً ليصل الكون الذي هو فوق جميع كل الأكوان وإلى العالم الذي هو فوق جميع العوالم ليصل إلى كنوز النور، وبأمر سيد كنوز عوالم النور (هيي قدمايي، الحي العظيم)،

أنطلقت (الناصِروثا) وتمددت ملء الأكوان والعوالم عابرة الزمان والمكان لاحتضان النفس (النشمثا) وبالتالي أحتوائها جسد الطين الفاني، من هنا بدأت رحلة (علوم الناصِروثا) إلى العالم المادي، وستبقى مع الآدميين لحين خروج آخر نشمثا طاهر من هذا العالم، حين ذاك يأذن (الرب الله العظيم) لها بالعوده إلى بيت أبيها

الـذي جُلبـت منـه . **الناصِـروثا** طريـق سـهل وطـيب لعـودة الـنفس الطـاهره (نشـمثا)إلى عوالم النور السامية .

هـذا مقطـع مـن نـص ديـني للكتـاب المقـدس (الكنـزا ربـا) الأيمـن، عـن هبـوط (نشمثا) في الجسد :

باسم الحي العظيم

"أنا {نشمثا} تحدثت إلى الأثـري إخواني، وقلت لهم:

{ماذا اقترفت من إثم،

حتى أغويتموني وأزحتموني من بينكم ؟

أخذتموني من مسكني أسيرة،

وأغويتموني وأزحتموني من بيت أبي

وأخذ كل واحد منهم يتحدث إليها :

يا نشمثا الحياة المنتصرة،

يارسولة كل النيرات

يانشمثا الحياة الطاهرة،

يا نشمثا، قفي واذهبي هناك،

وادخلي الجسد وابقي مقيدة في القصر {الجسد}،

ومن خلالك سيُقيّد الأسد الهائج،

وسيقتل الشرير في مكانه،

ومن خلالك سيُقيّد ملك الظلام.....

وتجيب {نشمثا} وتتحدث إلى {مندادهيـي}:

أيها الصالح،

رسول النور،

إذا أردت مني أن أذهب إلى هناك،

وأدخل في الجسد،

وأبقى أسيرة فيه،

فأعطني إذن سلاحاً سامياً،

لأبعد عني {الأشرار} .

{وأجابها منداهيي} :

ما هو السلاح السامي الذي تريدينه يا {نشمثا} ،

حتى نجلبه لك من كنز الحياة ؟

سلاحُك هو {ناصيروثا} ، وكلمات الصدق التي جاءت

إليك من موطن النور .

وهنا قالت {نشمثا} :

باسم {الحي العظيم} ، وبعون {منداد هيي}

ذهبتُ إلى هناك ودخلت الجسد.

ذهبتُ إلى هناك ودخلتُ الجسد، وجعلت ذاتي أسيرة فيه .

ومن اليوم الذي دخلتُ فيه الجسد، كنت قرينته على مرْ الدهور .

قرينته كنت على مرْ الدهور، وكان الأشرار من الأعماق غاضبين عليّ."

ومن وصايا الرب للمؤمنين :

سلّحوا نفوسكم بأمضى من الحديد ...

سلاح ناصروثا

وكلمات ربكم الصادقة.

يوضح النص أعلاه ان {نشمثا ـ النفس} امتنعت من الدخول في الجسد وأخذت تشكو وتنوح؛ وهنا ترجو رسول النور {منداهيي} أن يُرسل لها {مُخلّصاً} يخلصها بعد الوفاة من الجسد ويرافقها إلى عالم النور ؛ والسلاح الذي تحصل عليه {نشمثا} هو {ناصيروثا}

إذن أعُطيَ هذا العلم والسلاح الروحاني للآدميين محبة ورأفة إلهية ، تعينهم في مكوثهم وخروجهم من العالم الفاني ؛لأنه من خلال التعمق بهذا العلم والتبحر

بفلسفتة اللاهوتية يكون الناصورائي المؤمن ؛ قد وصل إلى أعلى درجات التصوف {الزهد في الدُنيا} ، ونكرانها ونكران مغرياتها وملذاتها الوقتية المزيفة ، لأن فلسفته الروحانية قد فتحت أبواب عقله وفكره وحررته من كل سيطرة وعبودية يمكن أن تلحق به من هذا العالم ، بعد أن استطاع تحقيق توازنه المختل ، بين طبيعته الانسانية المادية بما فيها من قوى سالبه المتمثلة بـ {الغرائز والشهوات والحواس} وبين طبيعته السماوية النورانية المتمثلة بعناصرها الإيجابية كـ {الحب والعطاء والإيمان} ،

واستطاع أن يرسم طريق حياته المثالية التي يحياها في هذا العالم ، وطريق حياته هذا سوف يؤدي به إلى الوعي وتفتح طاقاته الباطنية وإمكانياته الإنسانية ، كالعمل والنظام والصبر وبرؤية واضحة تفهم كافة الأمور الحياتية.

الاعتقاد بدوام حفظ المندائية

تتمتع الفلسفة المندائية بخاصية عظيمة تجعلها ثابتة وكريمة ، ومحافظة على نقاء جوهرها لاتخضع لأحكام الزمان والمكان ، ما أن يصيبها اضطهاد ، أو أذى دنيوي المتمثل بقوى الشر والظلام على مر الدهور والعصور حتى يظن البعض أنها قد تزول ، تنبعث مجدداً من بين الفوضى والاضطراب ، كاشفة عن أشعتها النورانية ، وأسرارها العظيمة بكل قوة وفخر ، مبشرة أحبابها بالأمل والاطمئنان والإنقاذ الأبدي من الخراب الدنيوي ؛ لأنها متجذرة. والجذرُ لايموت أبداً.

سلالة الناصورائية

تعتبر بشرية السلالة الأولى للنبي آدم (مبارك اسمه) من أولى السلالات (الناصورائية) ، ونواة الديانة المندائية من بذرة حكماء أنقياء اجتمعت فيهم كل عناصر علوم) الناصِروثا) ؛ مما جعلتهم يمتازون بالمقدرة الروحانية الفائقة في البصيرة والتعمق الروحي والتبحر في الدين إضافة للمقدرة الجسمانية والصحية ؛ كُشِفت لديهم الكثير من أسرار النفس والذات ، وأسرارعلوم السماء والأرض؛ وممارستهم لهذه العلوم السامية في حياتهم الروحية والعملية فتحت لهم أبواب اتصال

روحانية بين عالمهم المادي والعالم فوق المادي (النوراني) ما جعلهم على ثقة واحساس تامين بمعانقتهم للحياة الابدية الخالدة.

رجال الدين المندائي

ويطلق اسم (الناصورايي) على الروحانيين (رجال الدين) الذين يراعون تطبيق الأحكام والأوامر الدينية قبل غيرهم، والمؤمنون الحقيقيون (النقاة) ؛ (فالناصورايي) هم الاشخاص الذين يفهمون (الناصيروثا) التي هي فلسفة الديانة المندائية، (كان النبي يحيى (ع) ناصورائياً وكذلك والديَه، والسيد المسيح أيضاً) ذا معجزات تعالج بصورة رئيسية شفاء أبدان الناس وأرواحهم .

وكلمة (ناصورائي) من الجذر السامي (ن ص ر) ويعني (راقب، حدس، صان) وفي الأكدية نجد معناها نفسه في طقوس الكهنة الأكديين،

وفي البابلية (nasaru) بمعنى (مراقبي السماء أو حافضي الاسرار)

وفي العربية (نصر، ونظر)

وفي العبرية نصر (نظر)

فالصيغة المندائية تعود إلى الصيغة الآراميه القديمة العهد، لذلك لا يمكن أبداً إرجاع كلمة ناصورائي المندائية إلى المصطلح السرياني (ناصُرايَ، ناصري) أي مسيحي (نصراني)، ومن ناحة أخرى اعتبر الباحث الألماني (**ماتسوخ**) أن لفظة (ناصورائي، ناصورايا) هي الدليل القاطع على قِدَم الناصورائية المندائية وأصلها.

مبارك أنت الناصِروثا

مقطع من دعاء النبي سام بن نوح (ع)

مبارك أنت الناصِروثا

الذي منك تعلم المختارون.

مواعـظ النبي يهيا للناصورائيين:

إذا أصبحت ناصورائياً،

فكلّ فضيلـةٍ من فَضائِلكَ سـلاحٌ

يُعينُ باهري الصدق

أنك تُعينهُم بالإيمان والاستقـامـةِ

والمعرفـةِ والحكمـةِ،

والتعـليم ،

والرجاء ،

والصـلاةِ

والتسبيـح ،

والصدقةِ،

والطيبـةِ،

والتواضـع ، والإتقـان

والرأفـة ،

والحنان ،

والتبصر،

ومحبة الحـق

(عن كنزا ربا - يمين - الكتاب التاسع)

الفكر الفلسفي المندائي

الفرقة الغنوصية الوحيدة الباقية

هل ما قدمه المندائيون سواء ما جاء في كتبهم المقدسة أو أساطيرهم المنقولة يعتبر إنجازاً فلسفياً ؟

الفكر المندائي بالرغم مما ساده أحياناً من الغموض والتشويش والرمزية لايخلو من دلالة فلسفية لها ارتباط واضح (بالغنوصية القديمة) ويمكن القول بأنهم الفرقة الغنوصية الوحيدة الباقية والمحافظة على فكرها حتى الآن.

كنزا ربّا كتاب فلسفي

عند دراستنا للفكر الفلسفي المندائي وبالأخص في الكتاب المقدس (كنزا- ربا) سوف نجد هناك عدة فصول مطولة تبحث في الخالق العظيم (المهندس الأول للكون) والنفس وهبوطها ورجوعها ثانية بأمر الخالق والإنسان والكون وما يحتوية. وحوارات فلسفية ناضجة كالحوار بين النفس والأثريين (الملائكة) عندما أرادوا نقلها من مكانها العلوي إلى جسد آدم، وحوار آدم مع الأثريين عندما أرادوا إرجاع(الروح) نشمثا إلى عالمها العلوي ومعارضته في بادئ الأمر وغير ذلك من الحوارات الفلسفية المهمة في عالم الفلسفة .

قانون الصراع بين الأضداد

وعند تدقيقنا للأسلوب الفلسفي المتبع في فصول كتاب الكنزا ربا والقانون العام الذي يؤطرالأفكار المندائية سنجده بكل وضوح هو قانون الصراع بين الأضداد أو ما يسمى بالثنائية وهو قانون فلسفي اعتمدته الكثير من الحركات الفلسفية منذ فجر التاريخ ولحد الآن ولكنه أكثر وضوحاً في الفلسفة المندائية عن غيرها من المدارس الغنوصية.

فقانون الصراع بين الأضداد يعني أن كل عالم يحمل نقيضين متلازمين ومتضاديين متصارعين لا ينفصلان ولا يلتقيان وهذا الصراع يشمل جميع مفردات الكون بما فيها الإنسان والخالق.

فهناك في الكون عالمان:

١. عالم الخير (عالم- الما دنهورا) ويوصف بعالم الطيبة ويتربع على عرشة ملك النور (قوتك لم يصلها أو يحدها أحد سبحانك ملك النور خالق جميع الظواهر أنت النور الذي لا ظلام ولا غضب فيك) من كتاب - كنزا ربا- المقدس.

٢. يقابله عالم الشر (عالم الظلام)-ادهشوخا- ويوصف بالطبيعة الشريرة (**ومن الماء الآسن ولد هو موطن الظلام الذي لانور فيه موطن العصيان الذي لاهدوء فيه موطن الأشرار الذي لاخير فيه) كنزا ربا.**

وقانون الصراع بين الأضداد يشمل الإنسان الذي يحمل عالمين متصارعين عالم الخير –هي النشمثا- وأصلها من عالم النور تتصارع مع عالم الجسد عالم الشر الذي أدخلت فيه بالرغم منها وتنتظر ساعة خروجها وهي فرحة لتلتحق ثانية بعالمها العلوي وبالرغم من خروجها وهي في طريقها تنظر إلى الجسد متألمة عليه وكأنهما وحدة لا يمكن فصلهما بالرغم من صراعهما.

قانون الصراع المتلازم في اليردنا

ونلاحظ قانون الصراع المتلازم في اليردنا -الماء- فالماء والذي انبثقت منه تيبل- الأرض- يشمل جزءاً منه ميه هيي –الماء الرباني- الذي أصله من مياه الرب وهذا الجزء هو المقدس وكمية تسع الماء أما بقية المياه التسعة أعشار (تاهمي) فهي مياه الشر المتناقضة دائماً مع الماء الرباني الذي أرسل ليطهر ماء الشر .

وهكذا نطلع بأن كل ما موجود في العوالم السفلى والعليا وفقاً للمفهوم الفلسفي المندائي في تناقض وصراع مستمر بين مكوناته، إنه صراع أزلي ما بين النور والظلام لايوجد كشطا(عهد) أو لوفا (اتحاد) بل كره وغيرة وانفصال ليس إلا كنز ربا.

وبالرغم من هذا الكره والتناقض بين المتناقضين يبقيان متلازمين وكل واحد يعود إلى الآخر وصورته منه، عوالم النو ر وعوالم الظلام هما كالجسد ومثيله، لاينفصل أحدهما عن الآخر.

وتؤكد الأفكار الفلسفية المندائية بالرغم من أن عالم الشر يحاول أن يحكم الكون بالقوة والأشرار وآلاف مؤلفة من الجن والشياطين ولكن عالم الخير يقف ضده ويحد من قوته . فالأرض هي ليست للظلام.



مناجاة في طلب الرحمة

من يعمل خيراً يجد من يكرهه،

ومن يعمل شراً يجد من يحبه

الكل يعرف أن لكلِّ فعلٍ رد فعلٍ،

وليس بخافٍ أن ما من رمادٍ من غير حطب،

وما من نارٍ بلا وقود،

وليس من دخان بلا نار .

منذ أن تنسّم آدم نسمة الحياة الأولى،

ومنذ أن نشب أول صراع بين قابيل وهابيل،

ومنذ أن اقترف أحدهم جريمة بحق أخيه .

ما أردت أن أقوله من هذه المقدمة غير القصيرة ؛

كثيرة هي الأقوال،

قليلة هي الأفعال،

الكثير هم من يسمعون،

القليل هم من يطبّقون،

نحن نعي ونفهم،

وفي نفس الوقت نتغابى ونتعامى،

من يعمل خيرا" يجد من يكرهه،

ومن يعمل شرا" يجد من يحبه

(شبيه الشيء منجذب إليه)

لا يًحب السيئ إلا السيئ

ولا يكره الخير إلا السيئ .

{قال : انتبهوا إخوتي،

واحذروا الموت لاسيّما أنتم رؤساء المعابد ؛

فحالما تطبقون أجفانكم إلى الأبد،

ستحاسبون عمّا فعلتم،

وفي المطراثي ستخضعون للاختبار

فهناك أبٌ وابن سيحاسبان،

وسيحاسب معلّم وتلميذ ...

هناك أمٌّ وبنت ستحاسبانِ،

وستحاسب حماة وعروس،

هناك سيد وسيدة سيحاسبانِ،

سيحاسب كلٍّ أجير ، الجميع سيحاسبون .

بُعث إلى هذه الدنيا وقد أغضب رئيس المعابد ليحاسب الكنزبري ورجال بيت الحق،

يسألهم عن الأجر وعن الصدقة التي يهبونها،

و كيف تدخل إلى بيت المال

طوبى لمن حفظ نفسه،

الرجل الذي يحفظ نفسه لا يضاهيه أحد،

طوبى للأعمال النافعة التي تقيكم من كلِّ سوء.

الوحدانية في الديانة المندائية

{ملعون وموصوم بالعار

كل من لا يعلم أن ربنا هو ملك النور العظيم،

ملك السمواتّ والأرض،

الواحد الأحد}

{نناشدك يحيى بملك النور العظيم

الذي سجدت له}

الديانة المندائيية ، هذا الدين القديم لم يقم إلا على التوحيد ، توحيد الذات الإلهية فقط .

الدين المندائي وجد مع وجود الإنسان الأول، وآدم أول الأنبياء ؛ فهو والحالة هذه أنزل مع مع نزول نسمة الحياة في جسد آدم . لقد صنع الإنسان بداية الأمر التماثيل والأصنام، وبنى الهياكل لتكون الوسيط بينه وبين خالقه لكن وبعد مرور زمنٍ على هذا الصنع نسيت الغاية وصارت {الوسيلة هي الغاية} فلقد أضحت هذه التماثيل والنصب تتمتع بالقوة المطلقة والتي هي بالأساس قوة الخالق الأوحد الذي تدين له الرقاب وله وحده الثواب والعقاب ؛ لقد نسي هؤلاءِ في خضم الحياة

حقيقة أن ما يقدسون وما يعظمون الآن ما هـي إلا حجـارة صنعوها بأيـديهم ولا تملك ضـراً أو نفعـاً لهم؛ هـذا النسـيان ولّـد عبـادة الأوثـان والأصـنام، قـد يكـون مـرد هـذا التحول والنكوص يعود إلى الطبيعة البشرية التي ما كانت تصدق إلا ما تراه العيـون وما تلمسه الأيدي أو ما تميزه بقية الحـواس، لكـن أن يـأتي {رسـول أو نـبي} ويقـول إن هناك مـن هـو قـادر علـى الإحيـاء، ولـه القـدرة {وحـده} علـى المنـح والمنـع، وإننـا لا نستطيع معرفة كينونته وماهيته إلا بالعقل والمنطق، فكان هذا والحالة تلك محض هـراء لم يقتنـع بـه أحـد ،واحتاج الأنبيـاء والرسـل إلى سـنواتٍ طويلـة وعـذابات مريـرة ليوضـحوا لـبني البشـرهذه الكينونـة، إلا أن المنـدائيين أصـحاب العقيـدة الثابتـة الواضحة لم يرتضوا إلا أن يكونوا عبدة الواحد الأحد ذي الجلال والإكـرام، خـالق الخلــق والــذي بيــده أقــام الــدنا الســبع ولــه وحــده أن ينهيهــا لحــظة يشــاء . كتاب {مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريا} زاخر بنصوص تنهى عن القيـام بمثل هـذه البدع خاصة بعد تفشي عبادة الأصنام والأوثان وبناء هياكل تمجد الأشياء لا خالقها .{أبنائي، احـذروا، لا تسـجدوا للشـيطان والأصـنام والتماثيـل في هـذا العـالم، مـذنب من يفعل ذلك، ولا يصل إلى دار الكمال}

{أيهــا المختــارون، إن القــرابين الــتي تقــدمونها للــهياكل تفقــر تفكيركــم وإيمـانكم وتفـرقكم} إنهـا دعـوة واضـحة الأهـداف لا غمـوض فيهـا، ولا يمكـن تجاهلها؛ فهي صادرة عن نبي فتح الحي الأزلي بصيرته وهـداه إلى سـواء السـبيل .لقد خلـق الله الشـيطان ليكـون الفيصـل بـين الخـير والشـر وليمـتحن قـدرة البشـر علـى التمييـز ..{ركبتـاي اللتـان سـجدتا للحـي العظـيم لـن تسـجدا للشـيطان والأصـنام، قدماي اللتان سلكتا طريق الحق والإيمان لن تسلكا دروب الزور والمعصية ..} ونـص آخـر يؤكـد هـذا المعنـى {أصـدقائي، أيهـا السـاجدون للحـي العظيم،خطايـاكم وذنوبكم ستغفر..}

فيض من النصوص والتي تدعو كلها إلى هـدف واحد وأمر واحد ؛ فهـي كلها تسعى إلى أن ينتبه البشر أن لا حياة بـدون صانع هذه الحيـاة ألا وهـو الواحـد الأحـد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد .

ربنا لك ندعو، وباسمك نلهج، ولك نسبّح ؛ فامنحنا وضوح الرؤيا وسهل لنا أمورنا، وهب لنا من لدنك هدوء أنفسنا.

والحي مزكّي الأعمال والنيات

الهدوء وتجنب الغضب

كتب المندائي المتدين السيد فاروق عبدالجبّار عبد الإمام: الهدوء أول سمات العاقل ؛ فهو يتيح له التفكير السليم وبالتالي الوصول إلى النهايات المنطقية . نحن بشر وقد خصّنا الخالق الأوحد بميزة فريدة ألا وهي ميزة العقل الراجح، لكننا كثيرا" ما نخذله بعملٍ طائشٍ متهوّرٍ غير مسؤول . كتاب {مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريّا} (ع) يُفتتح بنصٍ يبدو فيه الحق يتساءل (مم خُلق آدم ؟ وكيف تكونت حواء) لنتريّث قليلاً ولو لحظة واحدة، وأن لا نحث الخطى – كعادتنا – ونترك هذا المقطع دون الالتفات إليه ونتساءل: هل كان (الحق) سبحانه وتعالى فرحاً جذلاً أم كان كمن يتحاور مع ملائكته، أو كان غضباً حانقاً ؟ . إن الذي يتمكن من أن يفهم هذا سيجد (يوشامن) وقد وضع نفسه موضعاً لا يحسد عليه، وفي حالة يرثى لها ؛ وبذا استحق العقاب والتجريح بدلاً من الثواب والمديح فلأن {يوشامن هو الذي أشعل فتيل الحرب، وجنى مرارة المشاجرة الكبرى التي لم تستطع الأجيال أن تغيّرها} فسيكون من المنطقي أن عقابه سيكون بمقدار فعله الشائن ؛ لذا جمع (الحق) الملائكة بالرغم من أنه –العارف- بكلِّ شيء، إلا أنه سبحانه وتعالى أراد أن يُعلم الجميع أن ليس ثمّة من يعصى أوامره ونواهيه ويفلت من العقاب، أو يطلب المغفرة ويلتمس المغفرة ليستطيع المذنب أن يصحح ما بدر منه كيلا يناله ما هو أقسى وأمر ؛ فعلى الرغم من أن {يوشامن جلا سِرّ الحياة العظمى} وكان مقربّاً من الحق إلا أنه فقد هذه المكانة السامية حين قال {بقدرتي وبالدعاء والتعظيم لنفسي وضعت النصائح وأطلقتُ الأوامر، واخترتُ من يتكلّم معي ... لم اصغِ إلى نداء الحياة العظمى .. لقد أغضبتُ أبي ؛ ففقدتُ

حريتي} ومن نفس النص نقرأ ثانية"، وكأننا نسمع الصوت الهادئ الصادر عن (اتنصّاب زيوا) وهو يلوم وبلطف العاقل وبأدب العالِم المتفهّم يلوم يوشامن على تهوره وعدم امتثاله لأوامر الحي الأزلي، فيقول {ألم توصَ أن تهدأ، أن تتجنبَ الغضب كيلا تثير المتاعب ..} نفهم من هذا الحوار أن المتاعب هي نتيجة الغضب،والهدوء البديل لقمع هذه الحالة غير المستحبّة لأنه {فقد الحكمة الأولى التي وهبها لك الأولون ... وكما تجري المياه في الأنهار تدفقت الدموع من عينيك} لكن هل تغسل دموع الندم الأعمال السيئة ؟ هل يُعيد الندم ما قد فُقد ؟ {كان لك عرش، وها أنت عند باب سوفات تُقيم. لقد أشعت الخراب في كلِّ ما أنجزت..}. لنعد الآن ترتيب الأحداث .فأول الأمر تمَّ إبعاد يوشامن لأنه لم {يسمع} كلام الحق الأزلي ولم يطبّق ما طلب منه ؛ فكان جزاء هذا العقوق أن قال يوشامن {أنا منزِل الأحزان ... وحدي أحمل الهموم و لا تتخلى عني ... والعدالة ترصد كلَّ الأخطاء}.

كان يوشامن يعرف أن ما اقترفه لن يكون مما يمكن أن يُغفر له أو أن يُغض الطرف عنه، كان يعلم، بيد أنه لم يكترث ؛لذا أُنزل به الغضب الإلهي، كان يوشامن (يعتقد) أن الحي الأزلي غافل عمّا يفعل و إلا فما الداعي لهذا العمل الخائب! ونتيجة أخرى لما اقترفه أن صدر الأمر بأن {تحجب أعمال يوشامن، إن يوشامن أصبح من الخاسرين} والمصيبة قبل النهائية التي أصابت هذا المغضوب عليه {أقم سجناً وألقِ بيوشامن فيه} لكن العقوبة النهائية كانت أقسى عقوبة يمكن أن يتعرّض لها ملاك مقرّب من الحياة العظمى فلقد {بدأ ضوء يوشامن يخفت، فألقى به منداهيي في السجن}. ومع كلِّ ما بدر منه إلا أننا نجد من يتوسّط له عند ملك النور ؛ لما أبداه يوشامن من ندم ، فها نحن نسمعه يقول {من أُنادي كي يجيبني ؟ إذا سألتُ أجاب، ولا يئد كلماتي ... لماذا أقبع عند باب سوفات تُحيط بي الحسرات، هل هناك مثلي تخلّى عنه حتى الأبناء} لكن دعونا نسمع ما قاله الوسيط لملك النور العظيم الأمر الذي أدّى إلى الصفح عن هذا المغضوب عليه {أنت العليم ذو الجلال، أنت كنز لاينفد، أيها المنقذ ذو الوقار، أنت الذي أوضح التعاليم، وأضاء ها بلا حدود، إن صباغتك بيردنا ثابتة ؛ فمستقرها في

ذاتك ... باسمك سيهدأ ويستقر ويوطد في مكانه ... فلن تتركه في غضبه، إن التوبة تملأ فكره وقلبه ..... وفي صحن سجنه غارق في التنهدات ؛فبات لا يقوى على التفكير} ولأن ملك النور مليء بالرحمة؛فهو الرحمن الرحيم لذا {أمر أنصاب زيوا أن يكشف الأسرار بوضوح وبصورةٍ متقنةٍ، وأن يجمع له التعاليم والحكمة.... وأن يهدّئ من روع يوشامن بكلمات تزرع الراحة في قلبه وترسّخها .... أن الحياة العظمى تكنٌّ له خيراً كثيراً} .

ربّنا خفف من شطط نزعاتنا وامنحنا نعمة التفكير السليم، وهبْ لنا عقلاً مميزاً ولساناً فصيحاً نسبّح لك به، إنك أنت العليم الحكيم .

والحي مزكّي الأعمال والنيّات

فلسفة الموت في المندائية
الأزل السرمدي

تأتي المندائية كقدم. ومن تلك الديانات التي ملكت أزليتها وفق تلك الرؤى مادي لازال حتى اليوم يرتبط بمورثه الشعوري بذات الرداء وذات الطقوس والكلمات فلم يتغير في المندائية شيء ولم يخضعها مريدوها إلى تأويل العصور الجديدة، إن الأمر لديهم ظل على ما هو مادامت هي في جوهرها تعني السعي إلى النور وكما تقول ألواحهم الأولى :

الروح سابحة في الأمكنة.
والابتعاد عن الظلمة المقدسة،
وهي تسكن كل بدن طاهر،
ومتى كانت هناك خطيئة
فهي أول من ينبهنا
إلى فعلها الشرير

ولأن أخلاقيات كل عصر تقوم على المبادئ أعلاه ظلت المندائية تنأى عن السعة الفقهية للمفردة مادام الأمر واضحاً:

كن مخلصا للواحد

تنل أبديته

ولأنه نظر إلى الحياة من خلال نافذة الروح، فإن فكر المندائي الأول التعامل مع بداياتها ونهاياتها بالنسبة للفرد المندائي.

يقول المندائي :

إنها عصيان الأمس وعلينا الالتزام بها، وخارج هذا الشعور تكون آخرته.

وتقول صحائفهم:

من يعصَ ربه

يفقد بهاء روحه.

هاجس الحياة والموت

تنظر الروح المندائية إلى هاجس الحياة والموت على أنه تبادل أدوار في تشكيل الخلق البشري، وهما شكل من اشكال عملية الديمومة الكونية للمندائي الذي يعتقد أن السماء وضعت خيارات وجوده عبرّ من خلالها أن يواصل طقوسه التي يثبت أن هذه المرئيات الكونية هي وسيط روحي فقط. فيها ولاؤه للآله الواحد.

الوسائط المادية هي كثيرة ومتوفرة على الأرض، منها الطقوس النذرية. وطقوس الزكاة والتطهر والتعميد والأعمال الخيرة وأفعال كثيرة أخرى يشغلنا الموت أكثر مما تشغلنا الحياة، لرغبة في الكامن فينا أن يعرف حقيقة المصير، وبعضهم يطالب بمدة تمتع طويلة بمباهج الحياة بعد ان قرأ في الكتب. والآخر أراد أن يعصرن طموحه. وإن بعض الانبياء وصلت اعمارهم إلى مئات السنيين.

تحسس الأزل

في المندائية الموت هو الذهاب بعيداً إلى حيث نرى ولا نُرى، طقوس تقترن بتحسس الأزل لهذا الهاجس المخيف ولذلك ظلوا مثل كل الأقوام القديمة يستعينون

بالإيحاء لتجميل هذا الرعب، وكادت طقوس أستقباله والتعامل معه تتشابه كثيراً مع الطقوس السومرية ومنها طقوس الدفن، حيث يفصل الموت في طريقة التعامل معه على الأساس الطبقي كما عند السومريين حيث تختلف طقوس الموت من طبقة إلى أخرى، فالملك عندما يموت يظل هاجس الوجود يرافق أحلامه فيأخذ معه كل مستلزمات الحياة الأخرى التي يظنها موجودة هنالك حيث يقول اللوح:

(هنا يتشابه مع المدرك المندائي لخليقة الحياة والموت)

الليل سيجد لك مكاناً ما

أن تحط الرحال عندنا

خبزك سيكون حاراً

وعبيدك جاهزون

والأخطاء التي جئت بها إلينا

سنعيدها وحيدة إلى العالم الأرضي

لأننا نريدك روحاً نقياً

مثل الماء النذري

لأجل هذا يتعامل المندائيون مع طقس الموت بذات الرؤى، فهما يتشابهان في الكثير من التطبيقات.

فالسومريون يرون مثلاً أن الموت الذي يسلب السومري في يوم عيد فإن هذا فأل حسن لآخرته وأن دلمون ستتعامل معه كما تتعامل مع الملك أو الكاهن الأكبر.

وفي المندائية يتقابل مثل هذا مع شعور عند المندائيين سجلته المستشرقة (إثيل استيفانا داور).

وكتب أحد الباحثين يصف شيخاً منكوباً بموت أخيه:

(كان وجهه مشرقاً بالسرور وهو يقول لي : (لقد مات أخي صباح هذا اليوم، إنه رائع عظيم وقد منعت النساء من البكاء).

ويعتقد المندائيون أنه إذا مات شخص في الأيام المقدسة وفي الأعياد المندائية فذلك يسعدهم ويسعد الميت. وهذا الاعتقاد له مايشابهه عند المسلمين. فقد يكون أحد الفريقين أخذه عن الآخر.

لكن عند المندائيين يزداد شرح فرحة الميت، وذلك يعني أن روح الميت سترتفع بسرعة إلى عالم الأنوار وستنجو من مخاطر وعذاب المطهر. هذه التشابهات الطقوسية تتقاسمها أيضاً اختلافات كثيرة فالرائي المندائي رهن الموت بالوجود الكوني وأن الكواكب مثلاً وخاصة النجم القطبي له دور كبير في رسم الهدوء القادم للذي اكتملت في جسده رغبة الموت. ولكنهم في اللحظة ذاتها كانوا يفكرون مثلما كان يفكر السومري بموته أن تكون استراحته الممدة على حصيرة البردي.

ويقول أحد المثقفين من الصابئة:

قصب البردي كان يمثل لأجدادنا الارتباط بموجه الروح المندائية ومطهرها من كل خطيئة وهو الماء والقصب يشكل مع السمك ولدي الماء المدللين ولهذا فإن المندائي الغائب (أي الميت) عندما يزور صديقاً أو حبيباً في أطياف الحلم غالباً ما يطلب منه أن يقدم نذراً لروحه التي ما زالت هائمة في الأفلاك في انتظار قدره النهائي يطلب (سمكاً مشوياً).

وقد نشرت مجلة "آفاق مندائية" حلماً زار إحدى النساء المندائيات عندما رأت أخاها الأكبر يطلب منها تحضير الأطعمة التالية من أجل روحه في طقس اللوفاني :

(غذاء الارواح) وكان السمك المشوي في التسلسل الثالث بين الأطعمة.

ففي تصور قديم لشكل الموت عند المندائيين وهم بذلك يتشابهون مع الطقس الفارسي القديم : إن الميت يترك لأيام ممدداً في العراء حتى يأكل الطير من جسده.

يقول أحد المندائيين : في تصوري أن الأعتقاد السائد أن الطير يستطيع أن يصل إلى السماء قبل الجسد . وهو تصور غير معتد به اليوم وتبقى تطوف حول الجسد لأيام.

أزلية القدر

نلاحظ شدة وعي الروح بأزلية القدر الشخصي للمندائي عندما يقترب منه الموت. لحدوث وقيعة هاجسي الموت والحياة. أي أن الإله موجود وأن حكمته قد تسير وفق أحلامنا الطيبة أي أن المندائي. يتمنى الخير للإله دائماً وهذا يحتاج منه أن

يشرك الكثير من الموجودات حتى لايشغل الإله عن ابتكاراته الأخرى رغم أن عين الإله وحسه وقدرته موجودتان.

الموت والحياة دوران يتعاقبان بالفعل

على جسد المندائي،

هما سوية مصدر الموت

تعم فيه الحركة والبركة

لكن الحياة تعم بالحركة فنراها بعيوننا

نراها في أرواحنا فقط

ومن تراه بروحك،

هو المهمين القوي.

هاجس الحياة والموت في الذات المندائية يشكلان عصب الفكرة في الإيمان بالمذهب، وأن خليقة هذا المذهب كما يرون هم، ارتهنت بالأشياء التي قامت عليها الحياة وأهمها الماء والطين، فهم يرون إلى الماء ما كانت تراه كل المعتقدات القديمة وإذا كان ثمة هاجس للخلود عند الذات المندائية، فالماء كفيل بتحقيقه وتلك تجاذبات تتشابه تماماً مع الموروث القديم في الفكر السومري والفارسي والإغريقي وحتى الهندي، فطقس المغتسل المقدس لدى الهنود يمثل بالنسبة لهم تحريراً للذات من إشكالياتها الأرضية المعقدة، وفي طقس التضحية (سوما) ثمة تقابل كبير مع الطقوس المندائية، وكما تنتهي الفكرة المندائية في هذا، تنتهي السومو.

فهم يقولون : (لقد شربنا سوما وأصبحنا خالدين وذهبنا إلى النور) وحتى في الكتاب الكهنوتي المندائي (دراشة أد يهيا) إشارات على اتصال الماء بأبدية الحياة، ولكنها تخضع لمتغيرات محكومة بالقدرة الإلهية فلا يتحقق الحلم بالخلود كما عند (أدابا) و (جلجامش)، وكما ورد في النص:

جلب هيبل زيوا بردته،

لف بها الأرض على شكل دائرة،

ونصب هناك مقياساً

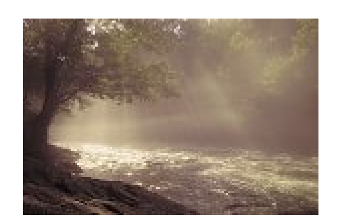
كان يقيس به الماء،

ثم يصب به الماء الحي

دخل الماء الحي بالماء الفاسد

ناح الماء الحي وبكى.

وهكذا ترى المندائية ظاهرتي الموت والحياة على أنهما طبيعتان تتبادلان الأدوار، وأن الحلم والعبادة وتأدية الفرض الطقوسي قد يقربان هاتين الظاهرتين في دائرة الضوء الروحية في الجسد المندائي، ويجعل أياً منهما قدراً يولد القناعة بأن الذي يحدث هو الوجود وهو مقدر بقدرة القادر.



البروفسور كورت دوردولف

تحدث الباحث الألماني في لقاء مع السيد ثائر صالح، وعنه ننقل ماقاله البروفسور المتخصص بالأبحاث المندائية.

الصابئة من أصول سورية

كان هناك بعض المستشرقين الأوروبيين ومن بينهم الألمان يعتقدون أن أصل الصابئة هو المشرق، إذ رأوا أن الكثير من الأمور يمكن تفسيرها من خلال الأصول البابلية، وذلك في القرن التاسع عشر. ولاحقاً، بعد ترجمة **ليدزبارسكي** للنصوص المندائية إلى اللغة الألمانية، تغير رأي المستشرقين وعلماء الأديان والمؤرخين، فهناك مؤشرات في النصوص المندائية تقول بأنهم قدموا من غرب آسيا، أي فلسطين وسوريا. لأن هناك نصوصاً تشير إلى أن المندائيين الأوائل تعرضوا إلى اضطهاد

اليهود، الأورثوذوكس منهم على وجه الخصوص، مثل الزيلوتيين. وترك المندائيون سوريا وفلسطين لاحقاً وتوجهوا عبر التلال الميدية في الجزء الشمالي من وادي الرافدين إلى الجزء الجنوبي منه، ربما في رحلة استغرقت حوالي ١٠٠ عام. بدأت تلك الرحلة في القرن الأول الميلادي قبل أن يصلوا إلى جنوبي الرافدين في القرن الثاني. بالتأكيد قد يكون هناك أفراد من بابل أو جنوب وادي الرافدين ممن اعتنقوا المندائية، لكن لابد وأن كان هناك أشخاص آخرون على معرفة بالطقوس والتعميد قد قدموا من الغرب. وأعتقد أننا لانستطيع تفسير كل ما يتعلق بالمندائيين من الميثولوجيا والثيولوجيا والإيديولوجيا وغيرها استناداً إلى أواني الأدعية لوحدها. لكنها نظرية أو فرضية، ومن المحتمل أن يكون أمر الهجرة قد ابتكر لاحقاً، لكني لو اقتنعت بذلك، فسأقبله.

كتابات الأواني دليل على الهجرة

الأدلة الأثرية المندائية المعروفة هي أواني الأدعية فقط، والتي عثر عليها في بدايات حملات التنقيب في المدن السومرية والبابلية. فهناك مئات الأواني مكتوبة بالخط المندائي. وأقدمها يعود إلى القرن الثالث.

الأحراز الرصاصية

المعروف أن الأحراز الرصاصية هي الأقدم! هذا صحيح. وهي أقدم الأدلة على النصوص المندائية المعروفة وتعود إلى القرن الثالث. لكن لم يعثر على شيء من هذا القبيل على طول خط الهجرة المفترضة من فلسطين إلى جنوبي وادي الرافدين، رغم أنه يوجد مستشرق يهودي تحدث عن ألواح رصاصية، لكنهم ابتاعوها في اسرائيل، ولم يعثروا عليها هناك، بل إنها نقلت من وادي ارافدين.

ثمة إشارات في كتب المؤرخين القدماء مثل يوزفوس فلافيوس ترجح حصول مثل هذه الهجرة. فأحد أشهر النصوص المندائية الذي يتحدث عن هذه الهجرة هو **هران جويثا** [حران الداخلية، الجوانية] وحران هي مدينة في شمال وادي الرافدين تقع اليوم في تركيا. بداية النص مفقودة، وتبدأ بذهاب المندائيين إلى التلال بقيادة ملك يدعى أردبان، وهو لابد وأن يكون أحد الملوك الفرثيين، ولعله ارتبان الرابع، وهذا يؤكد على أن المندائيين هاجروا في القرن الأول. ولم يضطهدهم الملوك الفرثيون، على العكس من الملوك الساسانيين الذين حكموا بعدهم. ونجد في شهادة كارثير رئيس الكهنة الزرادشتيين المكتوبة على الصخر تعبير "**المغتسلة**" وكذلك اسم **الناصوريين**. لكن الاسم قد لا يخص المندائيين، فهو قد يعني المسيحيين أيضاً.

نعرف عن العديد من الطوائف التي سكنت شرقي الاردن وحملت أسماء مشابهة للناصورائيين، ويوجد احتمال أن هذه الأسماء هي تسميات مختلفة لطائفة واحدة، مثلاً المندائيين.

فالاسم يعني المراقبين. ونسبت الكلمة في السابق إلى الناصرة، التي هي محل ولادة السيد المسيح، لكن الأمر غير واضح، فليس لدينا أدلة بأن الناصرة كانت موجودة في الأزمنة القديمة. لذلك يجب أن يرتبط اسم الناصورايي والنازاريين والنوصريم وغيرهم بتصرف خاص لمجموعة من الناس. لكننا غير متأكدين من الأمر، فهذه الأسماء أطلقها أجانب على هذه الطوائف، عدا المندائيين فهم يستعملون الناصورايي كاسم خاص بهم، وأعتقد أن أحد أقدم الأسماء التي أطلقوها على أنفسهم هو **بهيرا زدقا**، وتعني المختارين الحقيقيين [أو الذين اختارهم الحق]، لكن الناصورايي في النصوص هي التسمية التي يطلقها المندائيون على أنفسهم، وربما استعملت جماعات أخرى الاسم، فنحن حتى الآن لا نعرف بالضبط.

نلاحظ التشابه بين المندائيين والقمرانيين من ناحية الأفكار والتسميات. ومن المثير وجود بعض المتوازيات بين المندائية والقمرانية، مثلاً الاصطفاء، كذلك

التشابه في طريقة دفن الموتى، والاغتسال، والتقويم القمراني الشمسي الذي يختلف عن التقويم اليهودي الرسمي.

ومن المحتمل وجود طوائف أخرى لها طقوس مشابهة، مثل الكسائيين، والأسينيين. أعتقد أن ذلك كان جزءاً من حركة أسميها الحركة المعمدانية، التي لها علاقة جزئية باليهود غير الأورثوذوكس. فهناك تأثيرات بعض الأفكار اليهودية التي نعرفها من العهد القديم، لكن من جانب آخر نلمس تأثير الأفكار الزرادشتية. ويذكرني التقويم المندائي بالتقويم الزرادشتي الذي يختم العام بفترة خمسة أيام (ما يقابل البنجة وهو عيد الخليقة عند الصابئة المندائيين).

الغنوصية خليط من الأفكار

الغنوصية لها علاقة بالمعرفة الخاصة بأصل النفس البشرية وبكيفية عودة النفس إلى عالم النور. ولدينا شهادات عديدة من الأقباط وهراطقة مسيحيين تتحدث عن جماعات تأثرت بهذه الأفكار تعود إلى القرن الأول الميلادي، وربما كانت توجد في فترات أقدم، لكن بالتأكيد عاشت هذه الجماعات عصرها الذهبي في القرنين الثاني والثالث الميلاديين. والفكر خليط من الأفكار بعضها مسيحية والآخر يهودية وقسم منها إغريقية، خليط من أفكار الحركات التي كانت موجودة في أواخر العصور القديمة. فالثقافة اليونانية الغربية تمازجت بالمصرية الشرقية. الغنوصية هي دين خلاص النفس، وأن الخالق الحقيقي لا يمكن أن يكون قد خلق هذا العالم لما فيه من الشرور، ولا بد أن خطأ ما قد حصل، فالعالم هذا سيء والناس يكرهون بعضهم البعض الخ.

هذه الجماعات عاشت في مناطق متفرقة، وهي ليست متوحدة يقودها كاهن أعلى أو أسقف بتنظيم صارم كالبابا لدى الكاثوليك، بل كانت مجاميع مختلفة عاشت في أماكن مختلفة. وعاش المندائيون في الشرق لكن ليس في المدن الكبيرة بل في الريف، وعاشوا في الأهوار والبطائح التي هي جزء من وادي الرافدين، حيث عاش الهراطقة أيضاً في فترة الحكم الإسلامي حسبما نعلم من المؤرخين المسلمين.

المندائيون ليسوا نساكاً

والمندائيون ليسوا نساكاً لأنهم يتزوجون وينجبون الأطفال على العكس من الكثير من الغنوصيين الآخرين الذين منع عليهم الزواج، فالغنوصيون المتشددون فرضت عليهم العزوبية. ورغم وجود آراء عن الزهد في النصوص المندائية، لكنها ليست ذات ثقل كبير.

الرابط بين يوحنا المعمدان والتعميد

مشكلتي هي أنني لا أستطيع الوصول إلى النسخ الموجودة لدى العوائل المندائية، لأنني أبحث عن النسخ القديمة. لكني لا أهتم بالمندائيين فقط، فأنا أبحث في أفكار ونظريات العلوم الدينية وتاريخ الأديان ووضع الحدود بين الدين الخالص والثيولوجيا، فالأول هو "منطقة محايدة" أكثر من الثانية. وأنا الآن متقاعد في ماربورغ لكني أقوم بتقديم محاضرات صيفية في دراسات الأديان وأتعاون مع بروفيسور في جامعة غوتنغن متخصص في العهد الجديد في بحث عن علاقة يوحنا المعمدان بالمندائيين. إذ لابد من وجود علاقة بين يوحنا المعمدان والمندائيين، خاصة بالارتباط بطقس التعميد، لأن الأمر يعتمد على قيم الشهادة والتعميد، وهي قيم ملموسة ولابد أن تكون لها علاقة بنشاط يوحنا المعمدان.

المانية المتأثرة بالمندائية

تنسب المانية إلى ماني الذي ادّعى النبوة، ومولد ماني كان على الأرجح في سنة ٢١٥م في قرية صغيرة قريبة من بابل، وكان أبوه (فاتك) قد هاجر من بلدة همدان (اكبتانا القديمة) إلى بابل حيث أقام هناك، وكان يحضر مجالس (**المغتسلة**) وهي الاسم الآخر للمندائية التي وجدت في الأقاليم الواقعة بين دجلة والفرات، أي أنه كان قد نشأ على مذهب المغتسلة وهو طفل صغير. ولكنه تعمق في الدراسة

الزردشتية والمسيحية والمذاهب الجنستيكية وخاصة مذهبي (ابن ديصان ومرقيون) فترك مذهب المغتسلة. وادّعى النبوة وأسس ديانة جديدة.

وتحوي المانوية كثيراً من العقائد المشابهة لعقائد المندائية. بل يمكن اعتبارها أحد الفرق المنشقة عن المندائية.

فكان ماني يدّعي بأنه يرى الوحي عدة مرات في صورة ملاك اسمه. وأنه يكشف له عن الحقائق الإلهية.

وادّعى بأنه أتى لتكميل كلام الله (كنزا ربّا) وأنه خاتم الأنبياء. ويرى ماني أنه كان في العالم كونان أحدهما نور والآخر ظلمة (مبدأ مانوي وزرادشتي) وإن الأول هو (العظيم الأول) أو الإله (سروشاو) ويشار إليه أحياناً باسم (زروان) وهو يتجلّى بخمسة أشياء تمثل الخير هي: (العِلم، الحِلم، العقل، الغيب والفطنة). وأشياء خمسة شريرة تمثل الظلمات هي: (الضباب، الحريق، السموم، السم والظلمة). وقد اختلطت العناصر الخمسة النورانية مع عناصر الظلمات الخمسة ونتج عن ذلك عناصرنا الخمسة التي لها صفة الطيب والخبث، وهذا موجود في (الآوستا الزرادشتية) وقد طلب (الرجل الحامل صفة الخبيث والطيب) بعد ضيق صدره من (العظيم الأول) سبع مرات. والرقم خمسة موجود عند المندائية، فيما انتشرت أهمية الرقم سبعة وأفعاله السحرية عند الماسونية والدرزية التوحيدية،

وتتشابه قصة الخلق عند المانوية والمندائية. ففي الماني يعتبر الخالق الواحد هو (صاحب الأنوار) وهو الذي دعا (روح الحياة) (دميورجس عند مانوية الغرب) والإله ميترا في نصوص لهجة الجنوب الغربي. وقد نسل (روح الحياة) خمسة أبناء: زينة المجد، ملك الشرف، آدم النوراني، ملك الافتخار، والحامل.. وهبط (روح الحياة) مستعيناً بأبنائه الخمسة إلى مملكة الظلمات وبدعاء الرجل القديم بصوت عالٍ. فقتل ثم سلخ (أراكين ـ عفاريت) مملكة الظلمات ومن جلودهم خُلقت (أم الحياة ـ السماء)، ولكن أجسادهم ألقيت إلى أرض الظلمات، حيث تكونت الأرض من لحمهم والجبال من عظامهم.

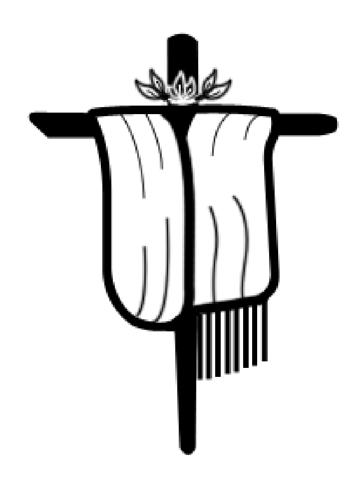
وتأثّرت المانية بالزرادشتية، فقدست الكواكب واعتقدت بأن روح الله تحل بها، وبذلك تخرج عن مفهوم المندائية التوحيدية، وتصبح إلحادية. فالمبشر نفسه عند

المانية كان في مرتبة البتول الأولى النورانية. وقد اتخذ مقامه في الشمس، ومن هنا سيّر السفينتين (الشمس والقمر) وكانت الشمس والقمر والنجوم والبروج قد كوّنت نوعاً من الآلهة كان عملها الوحيد هو أن تخلّص ذرات النور من اختلاطها بمخلوقات الظلام ثم تنقلها إلى سماء النور. وبأمر (المبشر) سُيّرت العجلات الثلاث وشُيّد (الباني الكبير) أرضاً جديدة وسجناً للأشرار. وهكذا بدأت الحركة للعالم كله وحينئذ أعاد (المبشر) التجربة التي قام بها من قبل (روح الحياة).

الهيولى هي المبدأ الخبيث

هذا وقد وجد (شيدر) في ملخص عقائد ماني: إن الأصلين القديمين هما الله والهيولي (الحركة المضطربة) **فالله هو المبدأ الطيب والهيولي هي المبدأ الخبيث** (وهذه الفكرة ترجع إلى الجنوستيكية ـ ابن ديصان) فيتدخل الله لينظم الحركة ويبدأ بإرسال قوة هي النفس التي تختلط بالهيولي، ثم يرسل قوة أخرى هي العقل فيبدأ حركة التخليص. فالنفس التي تنبعث من الله والتي قد وضعت تحت سلطان المادة باتحادها مع الجسد والذي فقد إحساسه فيوقفها ويخلقها روح من عند الله. والإنسان مكون من النفس التي ترجع كلياً إلى العالم العلوي ومن الجسد الذي يبقى في العالم السفلي.

أما نهاية ماني فكانت أن ماني صُلب وسُلخ حياً ثم قُطع رأسه وحُشي جلده وظل معلقاً على أحد أبواب مدينة (جنديسابور) في الأهواز.



الفصل الثامن

الأساطير المندائية القديمة

قصة الأمة المندائية

راوي هذه القصة رجل دين مندائي من إيران قام بروايتها أمام الباحثة الإنكليزية الليدي دراور التي اهتمت بالديانة المندائية اهتماماً كبيراً منذ العشرينيات من القرن الماضي والتي جعلت من بحوثها عن هذه الديانة نبراساً أنار طريق الباحثين من بعدها وقد ترجمها أحد الباحثين المندائيين.

قوم آدم

كان الصابئة، وهم الأبناء الحقيقيون لآدم (بغرا) وحواء (كاسيا)، يعيشون في سيرانديب (سيلان) قبل ٢٥٠ ألف عام . وقضى الوباء عليهم جميعاً عدا زوجين هما رام ورود . وأصبح لهما أبناء وبنات تكاثروا بدورهم حتى كثروا أخيراً وكونوا العنصر البشري. ولكن بعد ١٥٠ ألف عام، وبأمر من (هيبل) زيوا ، اندلعت ألسنة اللهب في الأرض كلها ونجا اثنان فقط وهما شوربي وشرهبيل . وكان لهما أبناء وبنات، وتكاثروا فأصبحوا شعباً مرة أخرى في سيرانديب . وبعد ١٠٠ ألف عام جاء أمر من بيت الحي إلى نوح، وذلك قبل ثلاثمائة عام من الفيضان، قائلاً "ابن فلكاً (كيوالا)، لأن العالم سوف تدمره المياه"، فجيء بخشب الصندل من جبل حرّان، وبُني الفلك بطول ثلاثين جاما(ذراع)، وعرض ثلاثين جاما، وارتفاع ثلاثين جاما، . وسأل نوح عن آية فقيل له عند ظهور الأنجارا في التنور (والأنجارا هي براعم خضراء من القصب الغض) فستكون تلك هي الآية . وبعد مضي ثلاثمائة عام، كانت زوجة سام، وكنة نوح، تخرج القصب الملتهب من التنور، وكانت على وشك وضع خبزها فيه حين رأت في وسط النار، أنجارا خضراء نابتة، فقطعتها وأعطتها لنوح، وعندما نظر إليها بدأت روحه تتوثب في داخله.

الطوفان

جاء نوح بزوج من كل الحيوانات، حتى البرية منها، كالأسود والأرانب، ودفعهم داخل الفلك ودخل هو وكنته في الفلك . أما سام فكان في البرية يرعى

غنمه . فادلهمت السماء بالغيوم وظلت تمطر لاثني وأربعين يوماً وليلة ، وهطل المطر من السماء وارتفع منسوب مياه الأرض. وساق سام أغنامه إلى الجبال لكنها غرقت مع كل الأشياء الحية الأخرى. استطاع سام أن يصل إلى الفلك، ولأنه كان مغلقاً صعد على سطحه، وهناك كان هيول زيوا يمنحه الأكل في أوقات الوجبات. وكان الفلك يترنح فوق الماء هنا وهناك لأحد عشر شهراً . ولم يكن هناك شيء سوى الماء، والشيء الوحيد المنظور فوق المياه كان الفلك . وكانت الجبال، والأوطان، والمدن كلها مغطاة . وأخيراً جاءت الرياح بالفلك بالقرب من مصر، وتوقف هناك. وعندما أدرك نوح بأن منسوب المياه قد انخفض أرسل الغراب قائلاً له "اذهب، وتجول طائراً، وائتني بأنباء الدنيا "، فطار الغراب، ولكن عندما رأى جثة تطوف فوق الماء نسي كلمات نوح وبدأ يأكل منها. وانتظر نوح، وأخيراً عندما لم يعد الغراب أطلق حمامة. وطارت فرأت الغراب يأكل من الجثة، وكذلك رأت شجرة زيتون خضراء تنمو فوق الماء، فأخذت غصناً منها في منقارها، وعادت إلى نوح ومنحته إياه . فقبّلها وفتح الباب وخرج من الفلك بصحبة كنته، ورأيا ساماً جالساً على سطح الفلك . فنادى نوح ابنه قائلاً "اهبط ! أنا أبوك وهذه هي زوجتك" فهبط سام وعانق زوجته ووالده، وشكر بيت الحي لسلامتهم وصحتهم. ثم خرج وبنى بيتاً من الطين ليعيشوا فيه، بينما ذهب نوح يتجول في الأرض ليستمتع بمشاهدها، يتمشى فيها ويستعيد صحته . وجاءت روهه فرأت نوحاً وادعت ظهور زوجته .

ألقت عليه التحية وقالت "أنا زوجتك أنهورايتا!" فأخذها وحبلت منه وأنجبت ثلاثة أبناء هم، **حام، ويام، ويافث** . وهؤلاء هم أسلاف العناصر البشرية،

فأصبح حام أباً للجنس الأسود

ويام أباً للأمم البيضاء وإبراهيم واليهود، ويافث أباً للغجر.

أما سام وزوجته أنهار فهم أسلاف المندائيين . وبعد مضي ستة آلاف عام بني البيت المقدس **القدس** .

موسى ضد المندائيين

وفي القدس أشركت روهة في ملكها موسى من بني إسرائيل . وكان موسى ضد المندائيين وظل يخاصمهم في مصر . وكانت لأردوان (أردبان) الملك المندائي رؤية ، وسمع صوتاً قادماً من بيت الحي قائلاً : "قم واخرج من هذا المكان من أجل صحتك وراحتك" فقام وأخذ المندائيين معه وخرجوا من مصر ، وجاءوا إلى البحر الذي انفلق تاركاً طريقاً تحفه جبال من المياه على الجانبين، وهكذا خرجوا من مصر . وبقي فروخ ملكا ، شقيق أردوان ملكا ، في مصر يحارب اليهود هناك حتى حاصروه وهزموه فهرب. وعندما رأى بأن طريق البحر ما زال مفتوحاً ، ذهب هو وشعبه خلاله ، ولكن عندما بلغوا منتصف البحر أطبقت عليهم جبال المياه فغرقوا جميعاً.

أما **أردوان ملكا** ومعه ستون ألفاً من المندائيين ظلوا يسافرون ويسافرون حتى وصلوا أخيراً إلى طور ماداي، وانفتح أمامهم الجبل، لأنه كان عالياً وكبيراً وصعب الاجتياز، فدخلوا عليه وذهبوا خلفه . فانغلق مرة أخرى. فقال هيبل زيوا إلى أردبان ملكا "ابق هنا مع المندائيين، ولن تدور عليك الاثنتا عشر (علامات البروج) والسبعة (كواكب)" . وطاردهم موسى، وعندما وصل طور ماداي لم يستطع الاستمرار فعاد وذهب إلى أورشليم .

رضع من حلمة الشجرة

وعاش اليهود هناك حتى أنجبت إينشبي يحيى (يوحنا المعمدان). وكان زكريا وإينشبي كلاهما قد تقدم بهما العمر الآن ، فبعد أن شربت إينشوي الماء حبلت منه . ورأى أحد اليهود في منامه بأن زكريا سوف يصبح أباً ، وأن ابنه سوف يصبح نبياً ، وانتظروا ليقتلوا يحيى . **وبعد تسعة أشهر، وتسعة أسابيع، وتسع ساعات، وتسع دقائق،** أنجبت إينوشوي ابنها ، فجاء أنوش - أثرا وأخذ الطفل وحمله إلى فرات - زيوا (وهو نهر في السماء توأم نهر الفرات في الأرض) ووضعه تحت شجرة كانت تحمل فاكهة تشبه حلمة الثدي . وكان يحيى يرضع من حليبها لثلاثين يوماً ، وأرسل أنوش

ـ أثرا امرأة اسمها صوفان لوليثا لترعاه وفي يومه الحادي والثلاثين جاء أثرا ليعمده في نهر الأردن . وعلمه: أ ، ب، كَ، وأتاه بكتاب الأرواح (سيدرة أدنشماثا) ووضعه بين يديه، وعلمه أن يقرأه ويتلوه . وعلمه كل سبل بيت الحي . وعندما بلغ سن الواحد والعشرين جاء أثرا إلى يحيى ليجعله ترميدا . فعلموه جميع الطقوس الإيمانية وأمروه ليرافق أنوش ـ أثرا إلى أورشليم، ليصبح يحيى نبياً هناك . فجاءوا بسفينة (بيلوم) وسافرا كلاهما ، وذهبا فجاءا عبر نهر الأردن إلى أورشليم .

أوصلته السفينة إلى أورشليم

وعند وصولهما هتف أنوش أثرا بصوت عال قائلاً : " إن كان في هذا المكان أحد قد أضاع طفلاً ، دعه يأتي ويطالب بحقه!" . وسمعت خادمة إينشوي ذلك، ولاحظت الأوصاف فعادت إلى سيدتها حاملة الخبر، وقالت "إن عينيه تشبه عيني إينشوي، ووجهه يشبه وجه زكريا" . وكانت إينشوي قد بلغت الثمانين من العمر ولم تعد تحيض إلاَّ أنها كانت نظيفة وطاهرة . وكان زكريا أيضاً قد طعن في السن . وعندما قالت الخادمة "رأيت فتى يشبهكما يجلس على سفينة في النهر، قامت إينشوي، وفي أوج فرحتها سارت باتجاه النهر.

إنها والدتي

فجاءت إينشبي إلى يحيى في النهر، وأسرعت بالدخول في الماء حتى بلغ صدرها ثم إلى حلقها ، فضمها يحيى إليه وقبَّلها . فوبخه أنوش أثرا قائلاً : "لماذا قبلت هذه المرأة ؟ هذا سلوك مرفوض، فلماذا فعلته؟" أجاب يحيى "عفوك سيدي، إنها والدتي، الحي، وضعني لتسعة أشهر في رحم هذه المرأة. وكنت أنام بخفة في رحمها ، لأنني أحببتها . إنها أمي، ويتوق قلب كل ابن إلى والدته!" . فقال أنوش أثرا "نعم، هذا صحيح، فالرجل يجب أن يُكرِّم والديه!".

رفض ترك المدينة

وعندها دخل يحيى أورشليم . وكان يبرئ الأعمى والمريض، وجعل الكسيح يسير . فغضب الرهبان وجاءوا إلى يحيى وأمروه بأن يترك المدينة فوراً . رفض يحيى أن يذهب وتحداهم قائلاً : " ائتوا بالسيوف وقطّعوني إرباً ، تعالوا بالنار وأحرقوني، أو الماء فأغرقوني!" فرد عليه الرهبان "نحن نعلم أن السيوف لا تقطّعك، ولا النار تحرقك، ولا الماء يغرقك" وعندما بدأ يحيى بقراءة كتابه كنزا ربا ، نطقت عصافير الهواء تُمجِّد الحي، وفتحت الأسماك أفواهها تُعظّم منداهيي.

الموتى يعودون إلى الحياة

حين يموت الصابئي لايوضع في صندوق كما يفعل المسيحيون بل يلف في "بانية" من البردي مما يشبه الحصير من القصب، ثم تفتل حبال من خوص النخيل وتلف بها البانية ثم يوضع جريد النخيل بين الحبال بحيث يستطيع أربعة رجال أتقياء، يسمون "حلالية" حمل الجنازة إلى القبر وهم ماسكون بتلك الجرائد من سعف النخيل. ولا يدفن الميت ليلاً ، فاذا مات وقت غروب الشمس أو بعد الظهر فإن دفنه سيكون في اليوم الثاني، وفي كل الأحوال، يجب أن تمضي ثلاث ساعات قبل أن يدفن الميت، ولعمل البانية والحبال التي يجب ان تفتل وهي جديدة، وإعداد جميع التحضيرات الأخرى، يكون مجموع ما يكفي لذلك ست ساعات. وديننا يمنعنا من البكاء على الميت، فالبكاء يساعد الجن في الإساءة للموتى، والرجال عادة لايبكون، إلا أن النساء يبكين أحياناً على الموتى، وليس هذا أمراً مستحسناً ولكنهن يفعلن ذلك.

مات وعاد إلى الحياة

وكان يوجد في مدينة المحمرة صابئي يسمى بهرام، وكان مريضاً إلى درجة الموت، ولذلك ألبسوه "الرستة"، ثم مات. كان الوقت حوالي العاشرة حين مات(ساعتين قبل غروب الشمس).

وجاء الطبيب ففحصه وقال إنه ميت. لقد كان ميتاً بصورة تامة. وجاء الصابئون بالقصب وعملوا البانية وغسلوه وأطبقوا عينيه إلا أنهم أرجأوا الدفن إلى اليوم الثاني، لان النهار كان على وشك الانتهاء. ووضعوا فوق الجثة غطاء أبيض شفافاً ثم وضعوا إلى جانبها مصباحاً مضيئاً، كما وضعوا سكيندولة والسكين المربوطة بها قبل أن يدفن الشخص، ويختم القبر بالسكيندولة من جهاته الأربع، ولكن إذا كان الميت عروساً أو امرأة ماتت أثر ولادة فتترك السكيندولة في إصبع الجثة. وهكذا هيأوا جثمان بهرام وحضر الأصدقاء ليحرسوه، فنحن لانترك الميت وحيداً. وكان لبهرام أبناء وبنات وزوجة وأم عجوز، كان يعيلهم جميعاً من حرفته كحداد. وحوالي الساعة الواحدة ليلاً جاءت والدته وهي تندب" أريد أن أرى ولدي" واقتربت منه وكشفت عن وجهه، فقال لها حراس الجثة" لماذا تكشفين عن وجهه؟" أجابت" إنه ولدي وأنا مشتاقة إليه". وانحنت فوقه وقبلته وقالت" أي بني من سيعين أولادك ويطعمهم؟ وماذا سافعل أنا....، سأتسول من باب إلى باب أسأل الصابئين العون، وهكذا سيفعل أبناؤك أيضاً". ومدت يديها وربتت على صدره صارخة "سيكون هذا الصدر تحت التراب. وارحمتاه!" وحين لمست الصدر احست بشيء من الحرارة، وخيل إليها أن نبضه يدق، فدعت الحراس قائلة "تعالوا، تعالوا، إن جسم ولدي ليس ببارد وإن به نبضاً يدق".

وجاء القوم إليه وتحسسوه وقالوا " أجل، حقاً إن به شيئاً من الحرارة" وبدأ قلب الرجل يدق بوهن أما عيناه فبقيتا مغلوقتين، ثم بدأ الجفنان ينفرجان بالتدريج، ومع ذلك فإن العينين بقيتا لبعض الوقت ثابتتين لاتتحركان، وكان الوقت منتصف الليل، وأخيرا بدأت عيناه تشعان حياة. فرحت أمه حين رأت ذلك وسرت سروراً بالغاً، ثم ذهبت فحلبت بقرة في ساحة البيت وسخنت الحليب، وجاءت به، ووضعت بضع قطرات منه في فمه بالملعقة، بدأ الرجل يبتلع، وبدأت يداه ورجلاه تتحرك تدريجياً، وعند شروق الشمس جلس معافى. قال الناس جميعاً" مات بهرام ثم عاد إلى الحياة مرة أخرى".

وجاء بعضهم إليه، وقالوا "لقد كنت ميتاً، ذهبت وعدت، فأخبرنا عن الطريق وماذا رأيت؟".

قال بهرام" إن أولئك الذين أخذوا روحي من جسدي كانوا مخطئين. فهم حين أتوا بي إلى" ابثاهيل"، في موضع الأرواح، نظر اليّ وقال لهم لقد أخطأتم، كان يجب أن تأتوا بروح البنت" زريفة" لهذا أعادوني بلطف وعادت روحي لتدخل جسدي".

وكانت زريفة ابنة للجيران، وفي اللحظة التي أخبرهم بهرام بهذا كانت هي بأتم صحة، ولم يخبرها أحد بما قال بهرام، ولكن في مساء ذلك اليوم توفيت فجأة بالرغم من أنها كانت بصحة جيدة.

حدث مثل هذا أكثر من مرة. فقد كانت عشيرة صابئية تسمى" البو زهرون" يسكنون بالحلفاية قرب العمارة، وكانوا يعتاشون من عمل الزوارق والمناجل والمساحي والفؤوس، والأدوات الأخرى التي يحتاجها الأعراب في تلك المناطق. ومن بين أفراد تلك العشيرة كان رجل قد توفي، إلا أنه عاد إلى الحياة مرة أخرى، كانوا قد قاموا بجميع مستلزمات الدفن قبل أن يعود إلى الحياة، وكان قد مضى على موته ست ساعات، وحين سألوا الرجل" أين كنت؟" قال" أخذوني باتجاه موضع الأرواح، ورأيت معي هناك سندال وتامول، وكانا في طريقهما إلى ابثاهيل، إلا أن ابثاهيل أمرني بالعودة لأني أخذت خطأ بدلاً من شخص آخر".

حين سمعوا ما قاله، أرسل صابئة ذلك المكان رسولاً إلى العمارة حيث كان يعيش تامول ليسألوا عن صحته فوجدوا أنه قد توفي، إلا أن سندال كان يعيش في إيران فارسلوا هناك برقية للاستفسار عن صحته، فكان الجواب أنه مات صباح يوم الأحد.

سأل الكهان الرجل الذي عاد إلى الحياة، عن هيئة أرواح الموتى فأجاب"إن سندال وتامول كانا كما لو أنهما حيان في الدنيا، وكانا يرتديان نفس الملابس التي يرتديانها في حياتهما اليومية، لقد كانا يظهران كما لو تراهما في المنام"(٢).

– في كتاب " كنزا ربا. القسم الشمالي في الفقرة الثالثة" تحث الروهة حواء على أن تندب ميتها آدم قائلة" من الذي هجرك، وأنت تجلسين هكذا يبكون هنا ولاتنتحبين؟" وتبدأ الروهة وجنياتها بالنحيب والبكاء على الميت، ويقتربن من حواء قائلات" إن صديقاتها يحتقرن امرأة شريفة لاترفع صوت النحيب على زوجها". بعد ذلك يظهر هيبل زيوا لحواء ويلومها على حماقتها وانخداعها بالكواكب، وحين

تحرضـها الروهـة ثانيـة علـى البكـاء، تـرفض ان تفعـل ذلـك وتقـول" الحمـد لـك يـا مناهي". والبكاء على الميت موجود بين النساء في العراق بصورة عامة فهن يصـرخن صـــراخاً عاليـــاً وقـــت وفـــاة الشـــخص فيـــأتي المجـــاورون لينوحـــوا معهـــن. (٢) وبسـبب أن الاثـنين كليهمـا قـد ماتـا، مـع رغبتهمـا بالحيـاة، لهـذا يتمسـكان بالأرض ويعاودانها كأشباح مؤذية، فالسكندولة تمنعهما من إيذاء الآخرين. لاحظ التعاويذ البابلية عن أشباح النساء اللواتي متن في فراش الولادة، والفكرة الهندية من أنهن كائنات شريرة. إن عرب العراق ليست لديهم مثل هذه الخرافات، بالرغم من أن الباحث" دوتـي" يقـول إن النسـاء البـدويات، يـؤمن بـأن نحيـب البـوم هـو عبـارة عـن نحيب الأم التي ماتت أثر الولادة، وفي الحالات التي ذكرت توضع السكيندولة في إصبع العريس وتعلق في رقبة المرأة.

الرواي: هرمز بر انهر(هرمز ابن الملا خضر)



هرمز بن ملا خضر

قصة دينية مندائية

كان مندائيو شسشتر يحبون أن يروا أفراد ملتهم أينما كانت ديارهم، وكـانوا مغـرمين بتتبـع أخبـارهم. وفي أحـد الأيـام جـاء إلى شيشـتر مـن بـلاد المغـرب درويـش فسألوه مـا إذا كـان هنـاك مندائيون في بلادهـم، ومـا إذا كـانوا يقـرأون كمـا نقـرأ

نحن "صلوات وتعازيم". أجاب الدرويش" معي درويش آخر يعلم ذلك. إنه شيخ كبير السن جداً وخاطب الكنزفرا قائلاً ولأجلك سآتي به إلى هنا".

ثم ذهب الدرويش وعاد معه الشيخ الآخر. وحين عاد إلى المندائيين ومعه الدرويش الثاني لاحظ المندائيون أن نصف جسم الشيخ الأول كان أبيض والنصف الثاني أسود ، وأن نصف جبهته ونصف رأسه كانا أبيضي اللون وكان النصفان الآخران أسودين، النصف بالتمام.

جاء الدرويش كبير السن ووقف قبالة الكنزفرا وقال" إن قلبي جذلان الآن!". فسأله الكنزفرا : لماذا ذلك؟.

أجاب" أنتم من المندائيين، ولقد رأيت قومكم". لقد ميز المندائيين من أزيائهم ومن الرستات التي يلبسونها. من الهميانات التي يتمنطقون بها ، فهو كان قد شاهد المندائيين والناصورائيين في جبل" مادّاي أو مدّي- جبل المندائيين".

سأله الكنزفرا :" كيف تسنت لك رؤيتهم؟".

قص عليهم الدرويش القصة فقال." إنه كان منجماً يصحب الجيش التركي الذي يقوده وزير السلطان، وكان الجنود كثيري العدد ، ومعهم المدافع والبارود ، وكانت الأوامر تنص على الذهاب إلى جبل المندائيين وإعلان الإرادة بأن على المندائيين الخضوع للسلطان التركي، فإذا رفضوا ذلك كان على الجيش فتح النار على الجبل، وكان الوزير قائدهم قد نصح السلطان باتباع الوسائل السلمية أولاً ، وإرسال مبعوث للتفاوض معهم أو مع زعمائهم. لقد قال للسلطان، "من الحكمة أن نتبع هذا الأسلوب أولاً إلى أن نعرف مقدار قوتهم".

وطبقاً للأوامر فهم حين وصولوا إلى الجبل، أرسل الوزير رسولاً وكان شخصاً ذا معرفة ، للتفاوض مع الريشامة ، وكان ذلك يوم أحد.

ذهب الرسول إلى الكنزفرا وتمنى له السلام، وجلس الاثنان، فقال المبعوث "لقد ورد إلينا أمر من السلطان أن تكون أنت وقومك من أتباعه وأن تؤدوا له الولاء". أجاب الريشامة": نحن لا نخضع للسلطان، إن خضوعنا لله وحده. ونحن لانطيع أمر أي إنسان، أو نكون تحت سيطرته." قال المبعوث": إذا لم تقبلوا بما عرضت عليكم، فسنطلق عليكم مدافعنا ونقتلكم".

اجاب الريشامة" لتطلق مدافعكم، وإننا سنهزمكم ولكن ليس عن طريق الحرب، فالسلطان لديه الجنود والمدافع، ونحن لا شيء لدينا، لا مدافع ولا سلاح. ومع ذلك فسنلحق بجيشه الهزيمة والخسران. من الخير لقائدكم أن ينسحب لئلا يهلك جنده".

عاد الرسول إلى القائد وقال: إنه يقول كذا وكذا. وتعجب القائد وقال" ماذا سيكون ما يقتلنا بلا حرب؟" وكان للكنزفرا ابنة وكانت له بناية مقدسة، وهي محل سري للعبادة فوق الجبل، إلى هناك ذهب وأخذ ابنته، فقد كانت له معرفة من معارف ليوت(دلبات أو فينوس) التي هي ملاك أنثوي تسكن في كوكب ليوث. وكانت الإبنة محببة جميلة بحيث إذا رآها إنسان تلاشى وأغمى عليه. وكانت تلبس تاجاً غاية في الجمال فوق جبينها، ويفوح منها عطر أخاذ بحيث كان من يشمه يفقد إحساسه ووعيه، وكان التاج من نور، وكان يوجد حكماء ولهم محلات يستقبلون فيها بنتاً أو ولداً ويقرأون له أو لها التعاويذ السرية، فتهبط فينوس على البنت أو الولد، وتجيب عن اسئلتهم وبهذا يتعلمون فيها معرفة كثيرة. وقد اعتاد الكنزفرا أن ياخذ ابنته إلى هذا الملجأ السري الذي كانت تهبط اليه ليوث، وضع الأب إناء زجاجياً مملوءاً بالماء أمام البنت قال لها" انظري". ثم بدأ بقراءة التعاويذ إلى أن احمر القدح ثم ابيض ثم ازرق، إلى أن اصبح كرة من نور. في تلك اللحظة تهب ريح عذبة على الفتاة فتنام وتدخل ليوث في أفكارها وتتحدث عن طريق فمها، وكان الكنزفرا ينهض ويقول لها "ليوث ساعدينا وتفضلي علينا!، إن جنود الترك قد جاءوا لإلحاق الضرر بنا وأنت تعلمين أننا لم نفعل لهم أي سوء". وأجابت ليوث" سأسبب لهم الهلاك، سوف لن يقدروا على إلحاق الضرر بكم ما دمنا في هذه الدنيا".

قال لها الكنزفرا" وماذا سنعمل ضدهم؟" أجابت ليوث" سافعل ما يمنعهم من رؤيتكم، ستظلم الدنيا أمامهم وسيعجزون عن الرؤية".

قال الكنزفرا "إن ذلك سيضرهم كثيراً، إنهم جنود مساكين وأناس فقراء، أنا لا أرغب بإلحاق الضرر بهم(لأن الناصورائيين أناس رحماء لا يرغبون بإلحاق الضرر بأحد). ولذلك سألها: "هل تقدرين على شيء آخر؟".

أجابت: "أقدر أن أجعل الماء يحيط بهم فبعجزون عن الحركة". قال الكنزفرا: "إذا أحاط بهم الماء فسيعجزون عن تناول الطعام وسيسجنون هناك ويهلكون، أسألك أن توحي إليهم بالخوف" أجابت ليوث": إن الإيحاء إليهم بالخوف هو بيد إبثاهيل والشفياهي، لأن ملك الظلام والشفياهي هم تحت إمرة إبثاهيل، اقرأ هذا الطلسم وسيرسل إبثاهيل روحاً تفعل لك ما أردت".

وجاء يوم الاحد وذهب الكنزفرا وتعمد في الماء وصلى واخذ طلسمه وذهب إلى معبده وبدأ يقرأ هناك، وظل يقرأ ويقرأ، حتى ظهر أمامه شيء يشبه النار، فتهيبه لكنه قال له" شلاما الأخ يا كنزفرا، شلام ادهي اهبيلخ"

(سلام عليك أيها الكنزفرا، ليكن سلام الحياة لك).

قال الكنزفرا: "إن هؤلاء الترك قد جاؤا للاضرار بنا، أسال منك، ومن إبثاهيل أن تلقوا الخوف في قلوبهم فقط، ليغادروا بلادنا دون إلحاق الضرر بأي أحد منهم". أجاب الملك الشفياهي" أستطيع أن أجلب لك ملكاً لكل جندي من الجيش التركي يقف بجانبه، وحين يحاول الجنود أن يطلقوا النار من مدافعهم أو من بنادقهم فسوف يدفعون إلى الخلف عاجزين، ولن يعرفوا السبب".

قال الكنزفرا: هذه طريقة جيدة لتخويفهم.

جمع الملك الشفياهي، واتخذ كل واحد مكانه بجانب الجنود الأتراك إلا أن زعيم الشفياهي جلس بجانب الكنزفرا فوق الجبل.

وصاح قائد الترك قائلا: "إلى المعركة، افتحوا النار عليهم واقتلوهم، إنهم لا يطيعيون إرادة السلطان فيجب أن يموتوا".

ولكن حين بدأ الجنود يطلقون النار أحس كل منهم أن شيئاً يدفع به إلى الأرض، فقد انكسر رأس أحدهم وذراع الآخر، فصرخوا" ماهذا" ودب فيهم الرعب ومعهم ضباطهم وقادتهم. قال القائد لمستشاره، وهو الرسول الذي كان قد أرسله للتفاوض مع المندائيين" ما الذي جعل الجنود يخرون إلى الأرض؟ لقد كانوا يسقطون على جميع الجبهات!".

قال" إن هؤلاء الناس دراويش، وهم أناس يعبدون الله، فيجب أن لا يسعى أحد إلى الإضرار بهم، ومن حاول ذلك فإن القوى التي يتسلمونها من الله عظيمة، تقتلنا جميعاً".

قال القائد" سنرجع إلى السلطان ونأتي بتعزيزات ونستمع لما يقول بهذا الشأن"، وكانت العادة في تلك الأيام، أنه إذا احتاج السلطان إلى جنود أجبر الناس على الدخول في الجيش.

ان ملك الجن الذي وقف بجانب الكنزفرا سمع ما قيل وبدأ يضحك عالياً. قال الكنزفرا" لماذا تضحك؟" قال الملك" أضحك على ذكاء الترك هؤلاء، إن إبثاهيل هو الذي يعطيك القوة بينما قوتهم بشرية فما أتفه قولهم". ثم قال" سأريك شيئاً مسلياً". قال الكنزفرا. حسناً. قال الآخر" غداً سيبدأون بالتراجع، ولكن سأفعل ما يعيقهم من التقدم للامام، جميعاً، قادة وجنوداً".

ابتسم الكنزفرا وقال" أود أن أرى هذا العمل".

وفي الصباح حاول الجيش أن يسير، وكان ملك الجن مع الكنزفرا يرقبانهم من فوق الجبل، ونظر الكنزفرا، وبدأ ملك الجن يقرأ تعاويذه همساً، فرأى الكنزفرا بريقاً من النور يهبط من السماء، ويتكاثف وينتشر في الهواء، ويمتد فوق الجنود، ومن معهم، وكلما كان الجنود الترك يحاولون السير، كان الخطو إلى الأمام يعجزهم، فكانوا مضطرين إلى الخطو إلى الخلف. صاح القائد" ماهذا اسرعوا" إلا أنهم لم يقدروا على ذلك وكان هو على نفس الحال أيضاً لايستطيع التحرك إلى الأمام. قال الضباط للقائد" سنموت جميعاً، فماذا نفعل، إن هذه نتيجة محاولتنا القتال مع المندائيين والناصورائيين الذين هم كالدراويش والذين يخافون الله، لماذا نحاصر هؤلاء الناس، ونريد إيذاءهم".

وكان مع القائد منجمون، يحسبون حساب النجوم ويتنبأون بالغيب، وكان مع أحدهم إناء يشبه مرآة تستطيع أن ترى فيها وجهك. كان الإناء أثرياً قديماً، وكان قد استخرج من باطن الأرض، وكانت عليه نقوش بأسماء ذات سلطة وقوة، وحين كان المنجم يمعن فيها النظر كان يرى ما يريد رؤيته. جلب المنجم الإناء ونظر فيه ليرى مجرى هذه الأحداث، إلا أن ذلك كان بصورة سرية، لأن القائد وسائر

المنجمين لم يعرفوا أنه يمتلك مثل هذا الإناء. تمعن المنجم في الإناء، فرأى الكنزفرا وملك الجن الذي سبب هذه الكوارث، جالسين فوق الجبل، وفي نفس الوقت أدرك ملك الجن بأن المنجم ينظر في إنائه فاخبر الكنزفرا قائلاً له: "إن لدى هذا المنجم إناء هو طلسم مندائي مع كتابات فوقه، وقد كان قد صنعه أجداد قدماء لكم". قال له الكنزفرا: "هاته لي، فهو يجب أن يعود لنا لا للترك".

كان المنجم لا يزال يتمعن بالإناء، وحين كان يفعل ذلك، حدث أن خر عليه شيء وخطف الإناء واختفى من أمامه كلية، فبدأ يصرخ وجاء الآخرون إليه مسرعين، قال المنجم" لقد كان لدي شيء أمامي، وهو أثر قديم، إلا أنه خطف مني ولا أرى من الذي فعل ذلك".

وناح وبكى، فقال له الضباط والجنود، " كيف حصل ذلك؟"

وظل المنجم باكياً عليه ليل نهار، فأشفق عليه الكنزفرا، فقد كان الإناء لا يقدر بثمن، فقال للروح" مر المنجم ليأتي إلى هنا، ودع الجنود يغادرون كل إلى أهله فهم يجب إلا يبقوا مسجونين هنا".

وحين جاء صاحب الإناء، ركع على يديه وركبتيه، لأنه قد رأى نوراً يحيط بالكنزفرا، نوراً كان يتخذ أحياناً شكل وجه إنسان أو شكل شخص. خاف المنجم فقال له الكنزفرا" لا تخف، إن الذي معي هو ملك الجان".

ثم قال له" من أين حصلت على هذا الإناء؟ إنه يخصنا وعليه كتاباتنا". أجاب المنجم" إن الإناء الذي تراه هو من جبل قوردون الذي يسميه العرب جبل قاف وهو من الجبال التي تحيط بالارض وهي واقعة في الشمال".

قال الكنزفره" وكيف حصل عليه الذين جلبوه إليك؟". أجاب المنجم" يوجد في تلك الجبال محل يتعذر بلوغه محاط بمستنقعات كثيفة، مملوءة بالقصب والشجر والحيوانات المفترسة، وقد حدث ان افتقر والدي الغني وارتاد هذا المكان المخيف قائلا" لتفترسني السباع والوحوش، فأنا الآن لا أبالي لأنني أصبحت معدماً". وكان له حمار يحمله في أسفاره، ولما اقترب الحمار من ذلك المكان رأى والدي ما ملأه رعباً، فقد رأى أفعى ضخمة تلتف حول لوح من الرخام الأسود، ورأسها منتصب

وعيناهـا تقـدحان شـرراً، وكـان في منتصـف اللـوح أسـد في هيئـة تهديـد، وبجانبـه عقرب كبير وفوقه زنبار أكبر من الطائر".

ضحك الكنزفـرا حـين سمـع ذلـك لأن والـد المـنجم لم يـر حيوانـات ووحوشـاً حقيقية، بل رأى سكيندولة، وهي مجموعة رموز طلسمية، فالافعى برأسها المرفوع تمثل أور التنين الهائل الذي تستقر فوقه الأرض، ورأسه مرتفع إلى إباثر، وعيناه المتقدتان هما من الماس، وهذا الرصد، والرموز قد صنعها المندائيون لتحافظ على كنز مدفون هناك، من الجان والعابثين الآخرين. لقد كان هذا الرصد قوياً بحيث لا يستطيع أحد الدنو من البقعة التي هو فيها، وسر الكنزفره كثيراً حين سمع هذا وقال " ساذهب إلى هناك".

واستمر المنجم قائلا" وغادر والدي المكان، إلا أن حماره تعثر بعارض اعترضه، فنزل من على ظهره، ورأى قسماً من جرة مطمورة في الأرض، فحفر وأخرجها وأزاح غطاءها فرأى فيها هذا الإناء، وسر سروراً عظيماً، فبواسطته كان يستطيع أن يستدعي الأرواح التي كانت ترشده للأشياء المفيدة، فادخر مالاً، وحين توفي ورثت أنا الإناء".

قال الكنزفره" إن هذا الإناء إناؤنا، وإن قومي هم الذين دونوا عليه الكتابة، ساحتفظ به وسأعطيك ما تريد عوضاً عنه".

أجاب المنجم" لا أريد مالاً عوضاً عنه، أعطوني ما أستطيع به من كسب قوتي، لأنني رجل درويش".

أعطاه الكنزفره مصباحاً معدنياً صغيراً، عليه نقوش وقال له" لهذا المصباح روح أليفة، فإذا احتجت إلى طعام أو إلى مال فسترى ملكاً صغيراً جالساً فيه سيجلب لك ما تريد، سأعطيك هذا عوضاً عن إنائك".

فرح المنجم وقال" هذا شيء حسن أيضاً".

كان المنجم هذا هو الدرويش الشيخ الذي جاء إلى شيشتر وأخبر الكنزفره أنه كان قد شاهد المندائيين. وحين قص المنجم قصته قال الكنزفره إنه يريد المصباح الذي أعطاه إياه كنزفره جبل المندائيين.

أجاب الدرويش الشيخ" إنه معي، ولكني لا أريد أن يراه أحد، فهو عزيز عليّ جدا" ولكن كنزفره شيشتر اقنعه بمعسول الكلام. وفي أحد الأيام جلبه معه، فرأى الكنزفره روحاً صغيرة داخله فسأل الروح" أين قومنا وفي أي بقعة؟" أجابت الروح" إنهم في جبل مداي" (يسمي العرب جبل المندائيين جبل مدي).

بعد ذلك سال الكنزفره الدرويش الآخر" كيف حدث أن أصبح نصف منك أسود والنصف الآخر أبيض؟" أجاب الدرويش الأول" أنا وزوجتي وأولادي الثلاثة وابنتي سكنا مرة البراري لصيد الحيوانات من أجل الغذاء، كالغزلان والخنازير البرية والطيور والأنواع الأخرى، وكان موضعي وخيمتي بعيدين قليلاً عن مواقع البدو، وفي إحدى الليالي حين كان القمر في ليلته الرابعة عشرة، خرجت للقنص فاصطدت ثلاثة غزلان أوثقتها بحبل قوي، وأتيت بها إلى خيمتي وعلقتها مربوطة إلى السقف وجلست هناك مع زوجتي وعائلتي، وخيل إلينا أننا رأينا شيئاً أسود في الخارج كان يقترب، ثم دخل فملأ باب الخيمة وكان رأسه، كما خيل إليّ، عريضاً وكبيراً، وكان بطنه هائلاً، وذراعاه ضخمتين، وكان على العموم يشبه الإنسان ما عدا أنه كان مغطى بشعر كثيف.

" وحين رأينا ذلك، ارتعبنا أنا وزوجتي وصرخنا" ماهذا!" نظر الوحش إلى الداخل وحين رأى الغزلان معلقة في السقف أمسك بها فانقطع الحبل وابتلع الغزلان الثلاثة مرة واحدة".

فر الاولاد رعباً إلى امهم، فقفز على أحدهم وابتلعه، ثم عمل بالثاني ما عمل بالأول، وكذلك فعل بالولد الثالث، ثم بعدهم التهم البنت، كانت زوجتي قد شلها الرعب فرأت شقاً في الخيمة، هربت من خلاله إلى الصحراء، فلحق بها الوحش، أما أنا وكنت صياداً ماهراً فقد أخفيت نفسي وأخرجت بندقيتي وملأتها بالرصاص وخرجت، وكانت السماء مقمرة، وكان من السهل رؤيتي، وحين رآني الوحش توجه نحوي فصوبت بندقيتي على جبهته وأطلقت النار، فصرخ الوحش صراخاً عالياً وقفز في الهواء وسقط على الأرض، أما أنا فقد سقطت كالميت إلى أن أشرقت الشمس.

" بعد ذلك، وقد وجدت نفسي لا أزال حياً، ذهبت افتش عن زوجتي وقد خشيت أن تكون قد قتلت، فتشت كثيراً، وأخيراً وجدتها ميتة في حفرة ومنذ اللحظة التي سمعت بها صراخ الوحش صرت كما تراني، نصف أبيض ونصف أسود." وحين رأى الله حالي جعل مني درويشاً، وحين التقيت مع هذا الدرويش الشيخ الذي سمعت قصته قال لي" يا بني ابتعد عن قتل الحيوانات، فقتل الحيوانات شيء رديء، لا تفعل ذلك بعد، فالله قد خلق لنا القمح والحبوب والخضر فلماذا نقتل الحيوانات(٥) إنها خطيئة عظمى" بعد ذلك أعطاني الدرويش نقوداً وأبقاني معه".

وحين رأى كنزفره شيشتر الكتابة على المصباح قرأها، مع ان الدرويش الشيخ لم يقدر على ذلك. كان اسم الروح منقوشاً عليه" فارور" قرأها وحفظها عن ظهر قلب، ثم صنع لنفسه إناء وكتب طلسماً عليه. وكانت الروح تأتيه حين يدعوها، فوجد الكنزفره ذلك مفيداً له لأن" فارور" كان يأتيه بما يحتاج إليه، حتى الأولاد إذا كانوا يسلكون سلوكاً سيئاً كان يهددهم به فينصاعون لأمره.

والآن أخذ الكنزفره يفكر كثيراً في جبل المندائيين ورغب في الذهاب إليه، وهكذا أعد لنفسه هو وسبعة آخرون، بينهم أربعة من اقربائي وأنا للسفر للجبل، وسرنا إلى أن اقتربنا من سوريا حيث استخدمنا كصاغة من قبل ملك تلك الأقاليم، هناك صادفنا درويشاً كان من بين أولئك الذين ذهبوا إلى جبل المداي مع الترك، ولكن حين توجهنا إلى الجبل لم نجده. واستمررنا على هذه الحال من التفتيش ثلاثة أشهر إلا أننا لم نعثر على الجبل.

ملاحظات حول القصة

١- الحرب والقتل ضد العقائد المندائية. فالعقوبة في الأساطير المندائية لا تكون بالقتل مالم يكن بأمر من السماء، وحتى في مثل هذه الحالة تكون قوى النور رؤوفة رحيمة لإنقاذ حياة العدو.

٢- ليبات(فينوس) يقال إنها موحية لجميع الاختراعات، وإن عبادة ليبات محرمة حسب نصوص الكتب المقدسة عندهم، وفي وصف المطهر(كنزاربا يسار، القسم الرابع) يخصص وصفاً لبيت طهارة لأولئك" الذين يدخلون بيت تموز ويمكثون هناك

ثمانية وعشرين يوماً ، يجزرون الخراف ويمزجون الكؤوس ويقدمون الخبز ويجلسون يندبون في بيت ليبات" مبرهنين على أن الكتاب حين كتب كانت احتمالات- أدونيس- فينوس- لاتزال موجودة ، وهنا إشارة إلى عبادة فينوس في الكتاب التاسع من القسم اليمين من الكنزاربا. إنه رفض لعبادة الكواكب. وشجب قام به المصلحون من الكهان للقضاء على اعتقادات قديمة.

٣- الأواني الطلسمية شائعة في العراق ، ويكون الإناء عادة من نحاس أو فضة وفي بعض الأحيان له ارتفاع في مركز قاعه(على ذلك المحل تقع انظار المتفرس فيه) وتنقش على الإناء كتابات سحرية مقدسة ، وللكتابات المندائية ، كما يعتقدون ، ميزة خاصة وصفات سحرية ، والماء الذي يشرب بهذه الأواني يكون ماء شافياً ، كما يعتقدون.

٤- إن هذه القصة توضح فكرة المندائيين في قتل الحيوانات. وكتاب الكنزربا متناقض في هذا الشأن ، فالفقرة الرابعة من الكتاب الثالث من" كنزربا يمين" يحدد حيوانات معينة باعتبارها حيوانات محللة للذبح " الطيور الطائرة وسمك النهر" ويحرم أي حيوان لا يذبح بآلة حديدية وأي وحش يقتل بواسطة وحش آخر. وهناك في كنزه ربا مكتوب أيضاً" لا تأكل الحيوان... كل لحم الحيوانات التي هي فاكهة الماء (السمك)".

ويذكر جوزيفوس بأن الأسينيين كانوا نباتيين ويقتبس(بروفيري) من (إيبولس) أن المجوس كانوا يقسمون إلى ثلاث طبقات ، طبقة تمتنع عن أكل لحم أي مخلوق حي ، وطبقة تمتنع عن أكل لحوم الحيوانات الداجنة ، وطبقة ثالثة لا تمس أي حيوان ، وأما محاولة(برفيسور لوسيوس) تفنيد ادعاءات جوزيفوس حول الأسنيين فليست مقنعة.

كيف صبأت ابنة نبوخذ نصر

عن كتاب أساطير وحكايات شعبية صابئية ننقل هذه الحكاية الدينية المتوارثة ... بحيث يتعين على كل مندائي أن يلتزم بالقواعد والقيم التي ترد في هذه الحكايات الدينية القديمة.

تقول الحكاية:

في يوم من الأيام كان المندائيون والناصورائيون والترميذي يسكنون في القدس. وكان للناصورائيين مكانهم الخاص بهم، وهو بناء كانوا يتعبدون ويمارسون طقوسهم فيه، وكان بناء منعزلاً بحيث لايستطيع أحد أن يطلع عليهم ولا أن يدخل إليه. وفي أحد الأيام ذهبت ابنة نبوخذ نصر ملك بابل(وكانت يهودية) إلى القدس واستأجرت لها داراً تجاور البناء العائد للناصورائيين، وفتحت الفتاة فتحة في جدار دارها، وغطتها بشيء شفاف، بحيث تستطيع أن ترى وتسمع من خلاله ما كان يقال، وماكان يقرأ. وهكذا تعلمت الفتاة العقيدة السرية. لقد كانت مثقفة غاية الثقافة، سريعة الفهم والإدراك، وقد لازمت الفتحة صباحاً وظهراً ومساء مصغية ودارسة، حتى بلغت درجة فهم ما كانوا يقرأون وعرفت علومهم السرية، وحفظت كتبهم عن ظهر قلب. وحين كانوا يقرأون في كتاب " الكنزه ربه" كانت تسجل وتدون ما كانوا يقرأون وإلى أن تعلمت وفهمت كل شيء. وقد بقيت الفتاة في القدس تتابع الدرس ولم ترجع إلى أهلها.

وكان للناصورائيين علم سري يتلونه بتؤدة، وبهمس، وتصادف ممارسة هذا النوع من العلم اليومين الأول والخامس من أيام الأسبوع(الأحد والخميس). وحين خيّل لها أنها رأت حين كانوا ينشغلون في هذه التلاوة السرية أن ضياء قد هبط فغشيهم، وهو يغدو ويروح، بينهم وبين السماء.

وفي أحد الأيام تخلف أحد الناصورائيين في حين خرج الآخرون بعد صلواتهم ليمتعوا أنفسهم في الحديقة، أخذ الرجل ذلك الكتاب السري المحتوي على الطقوس التي كانوا يهمسون بها همساً وشرع يقرأها بصوت عال وكانت الفتاة قريبة منه تصغي إليه فدونت ما سمعت من هذه الطقوس السرية، كانوا يتخاطبون مع عالم

الأنوار: مع آدم كسيه(آدم الخفي) في مشوني كشطه، ومع الأرواح النورانية. فنحن نقول إن هناك آدمين، آدم بغرا أي آدم الطبيعي وآدم الخفي(آدم كسيه) والذي هو في مشوني كشطه وسكان مشوني كشطه أنقياء كاملون ولايراهم إلا التقي الكامل. إنهم يتحادثون بحرية مع الأثري والملكي.

وحين تعلمت الأميرة هذا العلم كانت سعيدة جداً، ومبتهجة غاية الابتهاج وبدأت تراقبهم في اليوم الأول وتفعل ما كانوا يفعلونه إلا أنهم كانوا يجهلون ما كانت تصنع، لأنها كانت في مخبئها، وفي اليوم الخامس، كذلك قامت بفعل ما كانوا يفعلون، وتابعت تلاواتهم بدقة تامة.

وكان لها معبد في دارها يشبه مكانهم بكل تفاصيله وقد أبقته مغلقاً وخفياً، وهكذا لم يعلم أحد من قومها ما كان يجري هناك حين كان هذا العمل يحدث، رأت في يوم أحد، نوراً يهبط من عل ويسقط على وجهها، فسرت وابتهجت وتحدثت إلى النور، لا بالألفاظ، فالنور قد تغلغل في تفكيرها، صاحت الفتاة" سأذهب إليهم في مكانهم، سأرى العالم الآخر، أريد أن أرى بعيني" قال لها النور" اذهبي إلى الناصورائيين، وسيدلونك على الطريق".

وفي أول يوم من أيام العيد ذي الايام الخمسة" بارونايا" نهضت من مكانها وذهبت إلى الناصورائيين، تناولت الكنزربه وبدأت تقرأ، فأخذتهم الدهشة وقالوا" أتكون هذه الفتاة ناصورائية؟" وأخذوا يتحدثون فيما بينهم قائلين" لابد أن يكون الله هو الذي منحها هذا العلم. فمن غيره كان معلمها؟".

قالت لهم الأميرة" عمّدوني واجعلوني مندائية" وحين علم اليهود بتحولها، هجموا على المندائيين وأحدثوا فتنة وشغباً. وذهب كهان اليهود وشيوخهم وعلماؤهم إليها وتناقشوا معها قائلين" سيحدث من جراء عملك هذا قتل وقتال، فيجب أن تعودي إلى مكانك الخاص وأن تتزوجي هناك".

قالت لهم الفتاة" لست مضطرة على فعل ذلك ولاداعي للقتل والقتال بسببي، ولست أبغي زوجاً، ولا أريد مالاً، ولا نفوذاً ولا زواجاً. أرغب فقط أن أخدم الله كلية".

قالوا لها" اتركي الناصورائيين"

أجابـت" سـوف لا أتـرك النـاصـورائيين، فليسـت لـديكم المعرفـة الـتي لـديهم".
(كانت هذا الفتناة ابنة نبوخذ نصر وكان ملكاً على بابل، وكـان يهودياً ، وأخيراً تـرك مملكتـه وصـار ناصـورائياً ، فاسـتولى الآشـوريون علـى المملكـة ، وطـردوا منهـا البابليين)

أجابها الكهان" سنقتلهم جميعاً أو نتعلم منهم"

قالت" لاتكونوا حمقى فأنتم لاتقدرون على قتلهم وتعلم أسرارهم، فإذا فعلتم ذلك فسيعاقبكم الله".

تجمع اليهود بسلاحهم وأرادوا سحبها وإخراجها عنوة.

قال لهم الناصورائيون" لقد جاءت فتاتكم إلينا بإرادتها ولم نجبرها على ذلك فخذوها واذهبوا".

ولكن الأميرة لم توافق على الذهاب مع اليهود وحين حاولوا إجبارها بدأت تقرأ العقيدة السرية ، فكانوا كلما اقتربوا منها تضيق أنفاسهم بوسائل مجهولة فبدأوا يخافون وحاول بعضهم الفتك بالمندائيين. نهض الناصورائيون وبالقوة التي لهم في يوم الأحـد تحـدثوا إلى الأرواح (الملكـي) الـذين قـالوا لهـم" اذهبـوا إلى جبـل منـدائي". استعد كثير من الناصورائيين والمندائيين، بعد أن كانوا قد هيأوا أنفسهم للرحيل بقيادة الناصورائيين، وقد منحوا من القوة بحيث كانت مسيرتهم في يوم تعادل مسيرة أربعين يوماً. وكانوا في كل يوم يبذرون الذرة التي كانت تنمو وتحصد بقدرة الله ولهذا لم يعرفوا الجوع. وسافروا أربعين يوماً وكل يوم بأربعين يوماً إلى أن وصلوا بسهولة وسرعة إلى جبل المندائيين حيث كانوا سعداء آمنين ومستمتعين بذلك الجو اللطيف، لقد كانوا قادرين على أداء صلواتهم وعلى العيش بلا قلق، وكانوا يقولون" لقد أنقذنا الله من أولئك القوم".

وتبعهم بعض اليهود وحين قطعوا في رحلتهم أربعين يوماً رأوا الذرة الخضراء وعلامات مخيم النار فقالوا ، "الآن سنقبض عليهم، وسنلحق بهم، لابد أن يكونوا قريبين من هنا" إلا أنهم لم يلحقوا بهم. وأخيراً وبعد أيام كثيرة اقترب اليهود من جبل المندائي حيث كان المندائيون يعيشون ومعهم ابنة ملك بابل التي صنعت لنفسها مكاناً تقدر أن تتعبد فيه كالناصورائيين.

وحين كان اليهود على مقربة من الجبل نزل ضوء كالسيف من العلى واعترض سبيلهم فكان كل ما تقدم واحد منهم قضى نحبه.

تشاور الكهان فيما بينهم وقالوا" لا مفر لنا ، يجب أن نعود" وهكذا عادوا إلى بلادهم حزينين مكسوفين".

وقد بقي بعض الناصورائيين في القدس ولم يسافروا مع الآخرين فجاء اليهود وألقوا عليهم القبض. قال لهم الناصورائيون" ماذا تريدون؟" أجاب اليهود ، نريد معرفة علمكم السري. علمونا وسوف لانقتلكم".

أجاب الناصورائيون" ليس لدينا علم سري".

قال اليهود" علمونا ، أليس ذلك خيراً من الموت؟".

أجاب الناصورائيون" لايوجد لدينا علم سري، فكيف نعلمكم وليس لنا أي علم سري".

قتل اليهود واحداً من الناصورائيين ثم ثانياً ، وكانوا يرددون دائماً علمونا معنى عقيدتكم أو ستموتون جميعاً كهؤلاء"؟

إلا أن الناصورائيين استمروا على الرفض قائلين" اقتلونا إن شئتم فليس لدينا أي علم سري".

قتل اليهود الناصورائيين جميعاً ولم يتعلموا شيئاً من علمهم. بعد ذلك ذهب اليهود إلى هيكلهم المقدس واجتمعوا هناك. كانت قلوبهم وجلة وهم يعلمون بأنهم قد قتلوا أولئك الناس خطأ. وفي الصباح رأوا طائراً أبيض يحوم فوق الهيكل، نظر الجميع إلى الطائر، وحين كانوا ينظرون نزلت نار من السماء فأحرقت جميع أولئك الذين أوقعوا بالناصورائيين وقتلوهم، وفرّ الباقون من اليهود إلى الصحراء وهم في هلع عظيم وكانت، النار شديدة بحيث نفذت إلى عمق اثنى عشر فرسخاً في الأرض.

هرب بعض اليهود إلى أن وصلوا بابل، قال الملك نبوخذ نصر للربيين والكوهينيين" لماذا فعلتم ذلك؟ لماذا قتلتم أولئك الناس بلاحق؟" أجابوا" لقد كانت الفتاة ابنتك وما كان غضبنا إلا من أجلك" قال لهم" هل ذهبت ابنتي لأنها قد أحبت رجلاً منهم؟" فأجابوه بالنفي. فسألهم" ماذا كانت غايتها إذن، ولماذا ذهبت معهم؟"

قالوا" لدى الناصورائيين عقيدة سرية وهذا كان السبب" أجاب الملك" أنا نفسي واتباعي سنلحق بهم أيضاً".

غادر الملك وحكماء مملكته المملكة وذهبوا إلى جبل المندائيين، وبعد ذلك التحق هو وحكماء قومه بالصابئيين وأصبحوا مندائيين وتعلم الملك العقيدة السرية من ابنته.

ومن ذلك الوقت ولسلوكهم الشرير لم يملّك أي ملك يهودي(كلداني) في بابل. إن من يريد الله أن يعلمه يمكنه من تعلم عقيدته مهما كانت سرية.

تحليل القصة

هذه الأسطورة ممتعة لأنها تربط قسم مريم في كتاب" دراشة اد يهيا" بقسم آخر عن مريم في كتاب الصلوات اليومية الأسبوعية وقصة" الناس في جبل مدّاي في كتاب حران كويثا".

إن العبارات في دراشا اديهيا تحكي بصيغة الشخص المتكلم. فمريم تتحدث عن قصة تحولها(بواسطة أختها الروحية في مشوني كشطة) وعن هربها إلى الفرات الأدنى، وتبدأ هكذا" أنا مريم ابنة ملوك بابل، وابنة حاكم القدس القوي، اليهوطابي(الكلدان واليهود)(انظر الملاحظات السابقة) ولدوني والكهان ربوني، وليس هناك ذكر لبختنصر. وتقص مريم كيف أن والديها منعاها من مغادرة ملجئها في غرفتها أو الخروج إلى الطرق العامة، ولكنها تعصي أمرهم" لقد فتحت الباب الداخلية وتركت الباب الخارجية مفتوحة على مصراعيها. خرجت إلى الطريق العام، فسقطت فوقي، شموس ربي. أردت أن أذهب إلى الهيكل(بيت امه) إلا أن قدميّ قادتني إلى بيت مشخنه(اي بيت العبادة للمندائيين). دخلت إلى هناك فوجدت إخوتي جالسين يتلقون الدروس(اردش دراشي). وغلبها النعاس ونامت وهي تصغي إلى اصواتهم" لكن أتت اليّ اختي من مشوني كشطه وأيقظتني وقالت لي انهضي، انهضي يا مريم، قبل أن يبزغ الصباح ويصيح ديك الفجر، قبل أن ترسل الشمس أشعتها فوق العالم، قبل أن يذهب الكهان وأولاد الكهان ويقبعوا في ظلال خرائب القدس وقبل أن يأتي أبوك الدنيوي وينزل على رأسك الكارثة". يكتشف أبوها أمرها ويتهمها بالسلوك السيء. فتطلب إليه أن يتركها وشأنها،

ويتهمها بنبذ اليهودية وخروجها عن محبة ربها. إلا أن مريم ترفض أن تشجب عقيدتها الجديدة. بل إنها تشتم اليهودية والكهان. وتنقلب القصة هنا إلى رموز، فمريم تشبه بكرمة تحمي الطيور من العاصفة. وتوجد إشارة ولكن ليس وصفاً، لفرار مريم إلى الفرات الأدنى، وعلم يرفرف فوق رأسها وكتاب موضوع في حجرها" تقرأ في كتاب الكشطة فتهز العوالم بأجمعها. في يدها صولجان الماء الحي "مركنة" ويحيط بخصرها الزنار(هميانة) تصلي وتتسجد فتجتمع الطيور والأسماك لتصغي إليها، تطير وتتجمع نحو صوت مريم وليست لها من رغبة لأن تحط وتغفو، إنها تستروح عطر وجودها وتنسى العالم.".

وتدعوها أمها مشوقة اياها بمسقط رأسها مذكرة إياها، كم كانت مشرقة في القدس وتطلب إليها" انسي هذا الرجل الذي أسرك وخرج بك" وترفض مريم، بازدراء أنها تتبع عشيقاً. ويأتي نسر أبيض ويرمي كهان اليهود في الفرات ويعود ليوقع الخراب والنار على القدس. هنا ينتهي هذا الجزء.

يستنتج ليدز بارسكي من هذا الجزء بأن هذه الطائفة كانت في يوم ما قد طردت من القدس وسيقت إلى بابل الجنوبية.

وليس في كتاب حران كويثا أي شيء مما جاء في جزء مريم إلا أنه يصف اضطهاد قوم جبل مندّاي وكيف تبعهم العدو وذبحهم، ونجاة الباقين. إن الشيء الوحيد الثابت في جميع هذه المتناقضات المشوشة هي حقيقة كون المندائيين يعتبرون جبل مندّاي موطنهم الحقيقي وأن جنوب بابل محل لجوئهم وأن القدس لم تكن مركزهم الأصلي.

إن صلة نبوخذ نصر غريبة، ولكنها ليست بدون فائدة. يظهر في كتاب"دانيال" أنه في بلاط الملك الفارسي كانت جماعة معينة من اليهود وكانوا نباتيين، وبعقائد ليست بعيدة عن عقائد الأسينيين. وهنا تأخذ قصة نبوخذ نصر أهميتها والقصة التي تحكي لنا نباتية نبوخذ نصر(يأكل حشائش الحقول). إن الجنون والسير على أربع يظهر بما يشبه تفسير الكهان الأرثوذوكس، ومن الممكن أيضاً أنه في يوم ما يمكن أن يكون بختنصر قد مال إلى العقائد الإيرانية. وأنه عاد أخيراً إلى عقيدة

الدولة الأساسية(دانيال (٤) ٣٣- ٣٦). ان نفوذ زوجته الميدية يمكن أن يكون قد أثر في انحرافه هذا.





التشبيهات في النصوص المندائية

{{وكما تجري المياه في الأنهار تدفقت الدُموع من عينيك}}

{{إن الرحمة وجدت بعيداً عن العنف، اقتلع الآن الرائحة الكريهة من دارك؛
ولسوف يهبُ عليك نسيمٌ مشبع بالأريج}}

{{كمن ينتظر موسم الحصاد في حقل لا زرع فيه}}

التشبيه عملية دمج بين محسوس أو ملموس موجود وبين تخيّل أو تصّور لشيء غير موجود في الطبيعة لكنه يدرك بالعقل [الخلق]أو إنتاج رؤية مشتركة أيضاًحية يمكن معها الركون إلى نتيجة التشبيه لئلا تختلط الرؤى على المتلقّي وبذا تضيع الفائدة المبتغاة منها .

في كتاب { {مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريّا {عليهما السلام} كمٌ هائلٌ من التشبيهات والأمثال وردت لتقرب صور المشبّه بالمشبّه بهِ لنستوعبها ولتكون منطلقا "لتحقيق الغاية المطلوبة العظة سلباً كانت أم إيجاباً ؛لأن العظة إمّا للترغيب أو للترهيب وبالتالي سيكون هناك عقاب أو ثواب ؛ اندفاع لتحقيق غاية، أو كبح لأنفسنا كيلا نقع في براثن الشر وبالتالي سيكون العقاب بدلاً من الثواب المرتجى والمنتظر ؛ فما جزاء الإحسان إلا الإحسان وما جزاء الشر إلا الكراهية . في النص الثالث نقرأ {وكما تجري المياه في الأنهار تدفقت الدموع من عينيك} إنه وبحق تشبيه رائع وتصوير بليغ، مبالغ فيه كثيراً [استغفر الله إن أسأت التعبير] لكن هذه المبالغة هي بالتأكيد ما أريد من هذا النص لتأكيد الحال المقصود لإظهار شدة ندم [يوشامن] وما فكّر فيه، وما نجم عن هذا التفكير ؛ فندم حين لات مندم وظلّ أسير {التنهدات} عند باب {سوفات}. ولولا هذا التشبيه الأرضي المحسوس لدينا (بالنظر) لما استطعنا أن ندرك مقدار الندم الذي أحسّه [يوشامن] وبالتالي لن ندرك كم عانى والنتيجة والهدف من هذه المعاناة، إلا إننا وبفضل هذا التشبيه فهمنا الدرس وما يتوجب علينا عمله لاحقاً.

{ {إن الرحمة وجدت بعيداً عن الغضب ؛اقتلع الآن الرائحة الكريهة من دارك ولسوف يهب عليك نسيم مشبع بالأريج} }

لنتساءل هنا : هل الرحمة شيء ملموس أو محسوس، أهي مما يمكن أن يكون شيئاً يمكن أن نلمسه بأصابعنا أو نشمّه بانوفنا أو نتذوقّه بلساننا أو نراه بعيوننا أوهي مما نسمعه بآذاننا ؟ بالتأكيد ما لم تدركه حواسنا وتعطيه السمت واللون والصوت والطعم والرائحة ستكون الإجابة [لا] فما لا تدركه حواسنا يصل إليه [العقل] ليجلو كنهه ويعرف ماهيته فالدماغ الذي وهبنا إياه الواهب الأوحد ليكون هادينا وناصرنا وبه نتعرف على الخالق الذي ليس له مثيل . والنبي يحيى

{ع} أراد لنـا أن نقـرّب مـا خفـي علينـا بـأن أورد لنـا تشـبيهاً ممـا يحـيط بنـا مـن محسوسـات نـدركها بإحـدى حواسـنا ؛ لـذا شـبّه الرحمـة بشـيء مـخالفٍ لهـا ألا وهوالعنف.

فالعنف شيء نستطيع أن نجلو سره بأفعال يمكن أن تصدر عنا أو عن الآخرين وهـي شيء معكوس للرحمـة والتسـامح، والرائحـة الكريهـة يمكـن أن نميّزهـا بـأن نشمها وبذا نعلم مدى حقارة أو عظمة الشيء الـذي تصل رائحته إلينا ، و لتأكيـد المعنـى فـإن شـيئاً آخـر يجعلنـا نقـف ونتأمـل ألا وهـو كلمـة (اقتلـع) فهـل الرائحـة ممـا يمكـن أن{يقتلـع} أو يجتـث لينقطـع عنـا خبثـه أو طيبتـه ؟أكيـد سـيكون جوابنـا بالنفي . لكن ولكي نتمكن من استيعاب الغرض أو الهدف من إيراد هـذا التشـبيه فالعبارة القادمـة ستحل علينا بلسـماً يحمل في طياته ما أُريد لنـا أن نفهمـه ونـتعظ بـه لتصبح أيامنـا هانئـةً وتصير ليالينـا هادئـةً لا يعكّرهـا شـيءٌ؛ فمـا أروع أن تهـبَ علينـا النسـائم المشبعـة بالأريج، العبقـة بعطور الحياة،ا لمليئة بحب الخالق الذي وهبنا الحياة ووهبنا كلَ شيءٍ، إنه على كلِّ شيءٍ قدير.

{كمن ينتظر موسـم الحصـاد في حقلٍ لا زرع فيـه} كـم هـو رائـع هـذا التشـبيه وكأنه قد [صيغ] ليكون عنوانا" لمسرحيةٍ تتألف مـن آلاف الفصـول الـتي لـن تنتهـي، أو أنه سيكون عبـارة لجملةٍ واحـدة وينتهـي الـنص ؛ لنـا أن نقـرأ وننتهـي أو نقـرأ بـين السطور وهنا لن نكفّ عن التطلع إلى كلِّ حرف منها دون أن يعترينا الملل بل سـيحل علينا نص مفعمٌ بكل ما هو رائعٌ زاهٍ بمعانيه العميقـة الـتي لـن تـدرك بمجـرد القـراءة السطحيّة، لنقف هنيهة ونستوعب المعـاني الجليلـة ونمـلأ ضـمائرنا ونفوسـنا ؛ أم نحـن كما تعودّنا ليس لدينا [الوقـت] لمثلِ هـذه الامـور الـتي لم يعـد لهـا مكـان في حياتنـا الحاضـرة الـتي تتطلـب منـا الـركض السـريع والـدائم وراء مـا يسـمّى [لقـمة العـيش] بئس العيش الذي نعيشه الآن .لا لم يعفُ عليها الـزمن؛ فلقـد يـأتي يـوم ننـدم فيـه لأننـا لم نعط الآخرة ما تريد ولم نهب يومنـا مـا مطلـوب منّـا فلم نخصـص منـه وقتـاً للتأمـل والعبادة والاستفادة ؛ كيلا نضطر وقت الضيق لان نرفع أيدينا وأعيننا ورأسنا وكـلَ حواسنا إلى السماء ونطلب العون والـمشورة والمساندة ونسـتغفـر ربنا لما اقترفـنـاه دون قـصـد.

حكاية دينية

[اعتاد أحد الآباء أن يُعطي ابنه ما يشاء من نقود ، وهـذا يبعثرهـا كيفمـا يشـاء ، دون أن يلتفت إلى كـلام أبيـه بـالتروي والادخـار ، ذات يـوم خطـر لـلأب أن يختـبر ابنـه فاضطره أن يشتغل ؛ فكـان حاصل الابن درهـماً واحـداً وهنـا أخذه الأب وأوهـم ابنـه أنـه سـيرميه بعيـداً وعنـدها صـرخ الابـن محتجـاً : هـذا كـدي ولا يهـون علـيّ ضياعـه

{ويل للكروش الكبيرة لا تشبع مهما أكلت}

{فــإذا وهبــتم لا تمنّــوا ولا تجهــروا ، فــإن جهــرتم مــرة فــلا تكــرروا ذلك وإن أعطيتم بيمينكم فلا تخبروا يساركم}

وفي نص آخر نجـد [طوبى] ولأربع مرات لكن نجد[ويل] لعشر! {طوبى للنفس العارفة والقلب العامر ،ويل للذي يعطي النصائح ولا ينصح نفسه .. طوبى لمن عمل خيراً وويل لمن عمل شـراً .. لتعمل أيديكم الحسنات ولتعطِ الصدقات لترتقوا متطلعين إلى عالم النور} ونص آخر وعلى نفس النمط:

{ويل لمن رزقته الحياة ولم ينتفع برزقه ، بل اتخذ الرزق سبيلاً للخطايا .. ويل لصاحب اللسانين الذي يُعطي حكمين متناقضين فـي قضيـةٍ واحــدة}

{من صان نقـاء النفس ؛ فإن منزله فـي قمـة عـالمِ النّور}

مواعظ وحكم مندائية

بشميهون ادهيي ربـــي

كتب المندائيـة المقدسـة زاخـرة بحكـم ومـواعظ ، وبكلمـات الحـي الأزلـي ، موصلة مواعظه وتوصياته إلى البشر ليتعظوا ويلتزموا ، ليسمعوا ويفهموا أن الحق أحق أن يتبع.

ومن هذه **البوث البوثة** التالية والتي إن تأملناها بعمق وأخذنا منها ما دعانا إليه الحي الأزلي ؛ سنستخلص منها مواعظ وعبراً ، ونجد الحي الأزلي إنما هي دعوة صريحة محضة إلى أن نبتعد عن الشر والشطط لئلا نقع في المحظور والزلل الذي لا يمكن لنا أن ننجو منه.

(إنما الشر والعصيان والحمّى الآكلة والسحروالشعوذة رجس من بلد الظلام)

نلاحظ في هذه البوثة وصية هي غاية في السمو والرفعة، إنما يدعونا رب العظمة أن نتقي الشر وأن نبتعد عنه كيلا نقع في التهلكة ونكونن من الخاسرين حيث لاينفع ندم أو عذر فما نهانا عنه الخالق العظيم يجب أن نلتزم به و أن نعطه ما كان علينا واجباً مفروضاً بلا جدال. نعم يجب أن نتحلى به تجنباً لما يمكن أن نتعرّض له في رحلتنا نحو النهايةِ المحتومة حيث لا نأخذ معنا إلا أعمالنا وما اقترفت أيدينا ؛ الخسارة ليست هي خسارة الجسد بل هي خسارة الروح ونسمة الحياة التي وهبنا إياها الحي العظيم، المعظّم بهباته وعطاياه الجزيلة لندرأ عمّا يبعدنا عن مزالق الهوة التي يحذّرنا منها رب العظمة ،ولم يكتف من تقدس اسمه بأن نبهنا إلى الشر بل إنه أردفه بآفة أخرى لا تقلّ أهمية ألا وهي العصيان وهذا العصيان ليس عصياناً أرضياً ،ليس عصيان المرؤوس لرئيسه ولا هو عصيان المأمور لآمره وليس هو عصيان الابن لأبيه،ألا إنه عصيان من جنس آخر ومن فئة أخرى عصيان ليس له مثيل أو نظير إنه عصيان الضعيف للقوي، عصيان العبد للمعبود ، عصيان البشر لخالق البشر، عصيان وأي عصيان ذاك الذي ليس فيه تكافؤ وليس فيه ما يقي البشر من غضب صاحب العظمة الذي ليس لغضبته إلا طريق واحد .

أمّا الحمى الآكلة فهي اللظى وهي السعير وهي الويل الذي ينتظرنا نحن الخطّائين المتلئين خطايا، المبتعدين عن درب الحق، السادرين في الغي والطغيان غير الآبهين بالحساب يوم الحساب العظيم غير مدركين أن ذلك الحساب سيكون قاسياً "عظيم القسوة على من طغى وتجبّر،شاملاً جميع الذين تناسوا أن الله موجود ولا وسيط إليه سوى العمل الصالح ولا شفيع عنده إلا العمل الصالح الجيد المفيد له وللآخرين، العمل الذي لا شائبة فيه، العمل الخالص لمرضاة ربّ العرش العظيم {تقدس اسمه} هو العمل الذي نبغي منه أن نبتعد عمّا يقربنا من تلك النار التي لن تبقي ولن تذر، ويقي وجهنا من الاحتراق ذلاً وانكساراً، العمل الحسن هو الذي نعبر بوساطته بحر الظلمات، بحر سوف العظيم .هنيئاً لمن عمل صالحاً؛ فسيكون الرحمن مخلّصه وشفيعه، وبه سيكون رحيماً.

إن الله لقادر وعلى كل شيئ قدير، سبحان ربّي العظيم، سبحان ربّي علام الغيوب، سبحان ربّي الذي إليه أنيب ضعفي ومن هذا الضعف اتجهت إلى السحرة والمشعّوذين ولقّلة إيماني ولضعف إرادتي طأطأت رأسي الذي خصّه رب العظمة بالحكمة والعلم وسمحت للآخرين أن يسحبوني معهم إلى دار الظلام حيث لا قرار ولا استقرار .

لم يترك لنا رب العظمة ما يجعلنا نحث الخطى نحو المعصية ونحو الهلاك، لم يترك لأنفسنا الضعفية الحجة لنلج منها إلى حيث الخسران المبين ونصبحنّ من القوم الهالكين، أن (تبارك اسمه) ينهانا من الاستماع إلى السحرة والمشعوذين فتركبنا قوى الظلام ونتخيّل أنفسنا أننا نحن السحرة وأننا نحن المشعوذون، ناسين أو متناسين أن الله العلي القدير موجود غير بعيد عنا فيما لو دعوناه وطلبنا منه جلت قدرته المغفرة، إن العلي القدير نهانا عن إتيان السحر والشعوذة لأنها مخربة مدمرة لأنها صادرة عن ذاتٍ شيطانية، ذات من الظلام وجدت، وفي الظلام جبلت وصيغت، فما يصدر من الظلام إلا ظلام لا نور فيه، هو وهم ولكننا نتشبث فيه، هو خيانة لكننا ننساق إليها كما تساق البهائم، هو باطل إلا أننا له محبون وإليه مندفعون، فأي غشاوة تطبق على عيوننا ولا تجعلنا نرى سواء السبيل، وأي صمم يوقر في آذاننا فلا نعود نسمع صوت الحق وندخل في مجاهل الضياع والهلاك . وصية ربانية فهل يصون الذي خلق من دم وتراب تلك الوصية ويحافظ على الأمانة التي تطوق عنقه إحاطة السوار بالمعصم، من منّا صان الأمانة وجعلها نصب العيون والأحداق محافظة المحاجر على العيون، من منّا سمع وامتثل وأطاع، من منّا سمع واستوعب، من منّا؟ ربنا تبنا فاغفر لنا، إنك أنت التوّاب، ربنا إنك أنت الوهّاب فهبنا من لدنك ما تصفو به سرائرنا وأفكارنا، هبنا من لدنك ما يقوّي عزائمنا ويشدّ من أزرنا فنكوننّ من الفائزين، ولك شاكرين وبحمدك لاهجين وببركتك مسبحين وبرحمتك لائذين، لأنك أنت الغفّار وبك نستعين لدحر قوى الظلام والسحرة والمشعوذين .

والحي مزكّي القلوب والنّيـــات

[يوشامن] الذي كان ملءالعين والبصر، منكسراً منطوياً على نفسه، نادباً حظه وغروره، غير قادرٍ على الوصول إلى رضا الحي الأزلي والذي جعل ل[يوشامن [مكانة عالية متميزة إلاّ أن هذا الأخير لم يقنع بهذه المكانة وأراد أن يكون في مرتبة أعلى مما هو فيها ومكانة أكثر تميّزاً دون أن يحسب العواقب،و دون إن يدرك إن الحي الأزلي إنما قد وضع كلّ شيء في موضعه الصحيح كيلا تختل الموازين ؛ فيتطلع طامعاً ويحس مغبوناً أنه قد حرم مماهو حقه .الحكمة الإلهية نابعة من مدبر هذا العالم والذي بقدرته تكونت العوالم فكيف ب[أحدهم]الذي تطاول على هذه الحكمة الأزلية وأراد أن يثير المتاعب لا لشيء إلا إنه أراد أن {يشدانتباه الحي الأزلي إليه وليؤكد تفرده} ❖١❖ فكانت هذه الفكرة وبالاً عليه وجعلته الخاسر الأوحد . لقد اصبح يوشامن مبعداً عن عوالم النور يجتر آلام غربته التي لن تنتهي الا إذا غفر الغفّار الأكبر،بإرادته وحده يكون التكفير عن السيئات.

نجد {يوشامن} نادماً خاسراً وحيداً يحمل وحده هموم غلطته التي أوجدها هو لنفسه والذي كان يقول{ليس هناك من هو أقوى مني} إلا أنه يتدارك فيقول{ولكن هل هناك من هو أتعس مني الآن} ❖٢❖ هذا النص الرائع لهو خير دليل على ما كان يحس به يوشامن من تعاسة وحزن؛ فبعد أن كان في عوالم النور ذا مكانة لائقة نجده يقبع عند باب{سوفات}منفياً ومعاقباً لأنه "ركب ظهر الغطرسة والخيلاء"❖ ٣❖وكنتيجة حتمية لهذه الغطرسة وعدم الاعتراف بفضل الحي الأزلي بوجوده {فبات ضوؤه المتكامل ظلاما" وأفعاله خاسرة} ❖٤❖ إذن الرحمة والنقمة ضدّان لا يظهران إلا لمن ملك قدرة على منحهما ،وإنزالهما على من يستحقهما ، وهنا كان مانح الرحمة تقدس اسمه ومازال موجوداً.

إن {يوشامن} حينما يخلو إلى نفسه وهو جالس عند باب{سوفات} وحيداً حائراً خائر القوى ولا يجد من يناصره ويسانده ويشد من أزره ويرشده إلى

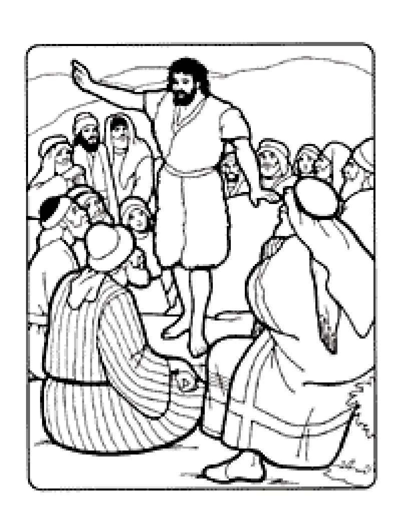
الطريق القويم وهـو الذي منح التعاليم التي لا حدود لمعرفة مكوناتها إلا بقـدرة ملك النور، إلا أننا نجده يقول {أنا يوشـامن أفكـر ﾑ الضـوء والوضـوح والتفاسـير، أفكـر ﾑ تعـاليم لا حـدود لها، تعلمتهـا مـن الكـتـاب الأول، أفكـر ﾑ الأقـوال الـتي وهـبـني إياهـا أبـي} ❖٥❖ إذن هـو يعـترف أن معرفتـه مـا كـانـت إلا هبـة مـن الوهـاب لا هبـة تدانيها، إلا أنه وكمن استفاق من غيبوبة أو حـالة كـان فيهـا خـارج الـوعي والإدراك السـليم يبـدأبالتالي يتسـاءل كـيف حـدث هـذا الامـر الشـنيع، ولمـاذا حـدث ؟ وهـاهـو يشعر بالحيرة والندم لما قـد اقترفه بحق نفسه فيقول{كـيف تجـرأت علـى إثـارة هـذا الصـراع ؟} ❖٦❖ وأي صـراع هـذا الـذي أثـاره ولاحقـاً نـدم عـليه إنـه صـراع غـير متكـافئ، غير متوازن بين خـالق ومخلـوق ؛ خـالق لـه القـدرة علـى كـل شـيء ومخلـوق لـيس لـه إلا الـتفكير المحـدودالعقيم والـذي لا يـؤدي بصـاحبه إلا إلى التهلكـة والخسـران المبين، وإلا فمـا الـذي دفعـه لأن يفكـر ﾑ {إثـارة صـراع} فـالحي الأزلـي موجـود عـارف بكـل أمـور الـدنا الـتي وجـدت بقدرتـه وبمشـيئته وجعلـها تـدور وتسـير بنظام وانتظام لايتقدم ولا يتأخرمنها شيء إلا بإرادته{تجلّت قدرتـه} فسـبحانه وتعـالى مـا أن{علـم} أن يوشـامن {فكـر} ﾑ التعـالي والتفـرد حتـى أمـر {لتحجـب أعمـال يوشـامن إن يوشـامن أصـبح مـن الخاسـرين} ❖٧❖ . مجـرد الـتفكير السـاذج كـان كفـيلاً بـأن يطـيح بـه وينزلـه إلى أحـط الـدركات، بعـدأن كـان ﾑ أعلـى درجـات القرب من الحي الأزلـي. ومـا أن أنـزل {يوشـامن} إلى هـذه الدركـة {حتـى بدأضـوؤه يخفـت} ❖٨❖ فلقـد قـال لـه رسـول الحـي العظـيم {انهـض مـن عرشـك واقتعـد الأرض} ❖٩❖وبقولـه هـذا اتضـح ليوشـامن عمـق الهـوة الـتي قـذف إليهـا والـدرك الـذي أنـزل إليه لأنه أصبح أسيراً فلقد قال رسول الحياة{لقـد أسـرك صـراع الحيـاة} ❖١٠❖ بينما كـان يضعه ﾑ سجنه الذي لـن يطلقـه منـه إلا واهـب الحيـاة والمقـدرة . ثـم هـاهو رسـول الحي العظيم يخبره {قـد خيّم الظلام على بيتك وستبقى على هـذه الحـال حتـى يشفق عليك الحي الأزلي} ١١❖إلا أن الرحمةسرعان ما تكون هي المعول الـذي يهـدم النقمة وبها سيعود {يوشامن} إلى سابق عهده؛فهاهو {أنصـاب زيوا} يتوسل إلى الحـي الأزلي لأن يصفح عن الخـاطئ القـابع {عنـدباب سـوفات، وﾑ صـحن سـجنه غـارق ﾑ التنهدات ؛فبات لا يقوى على التفكير} ❖١٢❖إذن من اعتـدَّ بنفسه وقـال{لـيس هنـاك

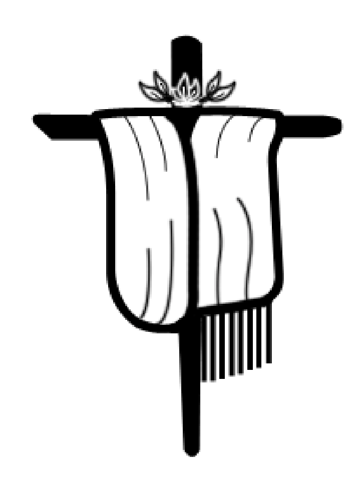
من هـو أقـوى منّـي} ❖١٣❖ينبري مـن يـدافع عنـه دون عـلم منـه ؛شفقة" عليـه وكـيلا يظل يردد {أنا منزل الاحزان،وحدي أحمل الهموم} ❖١٣❖ويطلب /انصاب زيوا/من رسـول الحـي العظيم {إذهـب يارسـول الحيـاة وكلـم ملك النـور العظيم عـن يوشـامن الواقـف عنـد بـاب سـوفات ؛ ليمنحـه الصـوت المتـدفق مـن فمـه حـريةً وأمـلاً في الحيـاة} ❖١٤ ❖ويسـتجيب ملـك النـور لتوسـلات أنصـاب زيـوا ، ويقـرر أن يصـفح عـن المستغفر التائب الراجع إلى الطريق القويم نادماً خاسـراً ،بيدأن الحـي الأزلـي المملوء رحمـةً ومغفـرةً يقـول لرسـوله {اذهـب ليوشـامن وثبـت قلبـه ،وقل لـه الحـي الأزلـي مـن غـرسك ؛فلن يجعلك وحيداً} ❖١٥❖ .

يوشامن الغارق في خضـم أحزانه لم يعلـم ان رحمـة مـن سـبحانه وتعـالى قـد حلـت عليه وأن الرحمن الرحيم قد غفر لـه ما تقدم من ذنب فنجده يقـول:{هـل هنـاك أحـد مثلـي تخلـى عنــه حتـى الأبنـاء، لـيس ثمـة أصـداء لنـداءاتي، ولـيس هنـاك مـن مجيب، {لقد أصبحت كشجرةأرز سـامقة تحيطهـا الأشـواك} ❖١٦❖إن هـذا التشـبيه الرائع في صياغته الجـامع لكـل المعانـاة الـتي حاقـت بيوشـامن في اللحظـة الـتي أحـس فيها أنه القوي فسقط في المحـذور نتيجـة غطرسـته واعتـداده بنفسـه،مثله مثـل شـجرة الأرز فعلـى الرغـم مـن أنهـا شـجرة عملاقـة معمـرة سـامقة،عالية عـما يحـيط بهـا مـن أشـجار،متميزة بشـكلها ومتانتهـا ، إلا أنهـا ومـع كـل ذلـك الجـبروت الـذي تظهـر عليه،فهـي غير مثمرة ، غير منتجةلذا فإنها غير ذات فائدة وبالتالي هي أقل مرتبة من بـاقي الأشـجار المثمـرة، ومـع كـل هـذه الضـخامة والتفـرد فانهـا محاطـة{بالاشـواك} ترى أي اشواك تلك التي تحيط بهذه الأرزة ؟ أهـي أشـواك حقيقيـة أم استعارة أريد بهـا التعـبير عـمن يحـيط بيوشـامن والـذي كـان يحثـه علـى التبـاهي والتفـاخر وبالتـالي يشـجعه علـى المعصـية وإبعـاده عـن طريـق الحـق ؟ إن أول هـؤلاء العصـاة {الـنفس} الأمارة بالسوء والتي كثيراً ما تشير على صاحبها بغير مـا يعتقـد وتبعـده عـن الطريـق السوي ويصبح بذلك فريسة سهلة للشيطان الغاوي بما تزينه له بأنه الأقوى والأجـدر، وبذايكون مغالياً في تقدير قوته الذاتية . لقـد كـان يوشامن يؤمن بأنه مهما فعل مـن أفعال ؛ سويةً كـانت أم غير سوية فلن يكون هنالك عقاب لأنه مازال صغيراً ، {كـان أبـي يقـول إن الحيـاة العظمـى لا تأبـه للصـغار، وإن الصـغار ليسـوا مسـؤولين عـن

أخطـــائهم وإن الآبـــاء لا يكرهـــون الأبنـــاء} ❖١٧❖ إلا أنـــه تناســـى أن هـــؤلاء الصغار يكبرون ويصبحون آباءً بدورهم، ومع كل ما بدر منه، إلا أن الحي الأزلي يخبره عن طريق رسوله {إن الرحمة وجدت بعيداً عن العنف} ❖١٨❖ {إن تفعل خيراً تجد خيراً وإن تفعل شراً تجد الكراهية} ❖١٩❖ فأي نصيحة سماوية تلك التي أوصلها رسول الحياة العظمى إلى يوشامن ومنه إلينا نحن البشر الخطاة والذين لن يسد أفواهنا إلا التراب .

والحي مزكي الأعمال





الفصل التاسع

تاريخ المندائية
من آدم إلى اليوم

الاصل والتاريخ

تعترض مسألة أصل وتاريخ طائفة الصابئة المندائيين صعوبات كثيرة وذلك لقدم هذا الدين من ناحية ولانعدام الأدلة المادية لدى الباحثين في عقيدتهم من ناحية أخرى، إلا أنه كما ذكرنا سابقاً فإن الاعتقاد السائد هو ان الدين بدأ مع نزول سيدنا آدم (ع) في بدء التكوين ولايزال إلى يومنا هذا، ويستدل من بعض الإشارات للكشف عن بعض الحقائق عن هذا الدين، فالنصوص والمخطوطات التي عثر عليها والأواني الفخارية التي دونت عليها نصوص مندائية والتي تم العثور عليها في نفر وخويير على نهر الفرات شمال مدينة المسيب الواقعة بين بغداد وبابل، وكذلك عند سفوح جبال (بثت كوه) في الشرق يدلل على وجودهم في وسط العراق في العصور القديمة أيام حمورابي ونبوخذ نصر، كذلك يخبرنا كتاب (حران كويثا) وهو أحد الكتب الدينية المتداولة، عن وجودهم في مدينة حران الواقعة بين سوريا وآشور وبابل والتي يرجع تاريخها إلى (٢٠٠٠ ق.م) والتي باقية آثارها لحد الآن بالقرب من مدينة حلب السورية، ومدينة حران كانت تعتبر من أشهر المدن في التاريخ، حيث جاء ذكرها على لسان النبي إبراهيم الخليل (ع) عندما قال في هجرته (إني مهاجر إلى ربي) ويعتقد المندائيون بأنه كان يقصد في قوله هذا إلى مدينة حران حيث يعيش فيها الناس الموحدون .

ومن ضمن المدن الأخرى المهمة التي سكنها المندائيون هي مدينة أورشليم، موطن سيدنا يحيى (ع) حيث كان يُعمد الناس في يردنا (نهر الاردن)، إلا أنهم هاجروا من أورشليم بعد تعرضهم للاضطهاد، لينتهي بهم المطاف إلى الاستقرار في واسط وميسان والبطائح والطيب في العراق وعلى ضفاف نهر الكارون في إيران، ليسكنوا هذه المناطق ويمارسوا فيها، متحفظين، طقوسهم قرب الأنهر وإلى يومنا هذا .

قصة الرسالة المندائية

إن هـذا الانتشـار الضـئيل يعـود سـببه إلى مناهضـة المسـتبدين لهـم ولأسـفارهم المدونـة في الكتـاب الخـاص بهـم، ذلـك الكتـاب الـذي كـان الكـاهن زكريـا والـد يوحنا المعمدان يعتمده للصلاة أمام المؤمنين. كان زكريا كاهناً ورعاً مؤمناً يخـاف اللّه في تصرفاته، وكان متقدماً في العمـر عنـدما بشـره المـلاك قـائلاً: إن الخـالق قـد سمع صلواتك وسينعم عليك بمولود، ولما سمع زكريـا فـرح جداً لكـن الشـك تسـرب إلى رأسه، عند ذلك قال له الملاك: بما أنك شككت بأمر اللّه فإن جزاءك أن تبقـى أخرسَ ثلاثة أيام قبل ولادة الطفل، وإن أول كلمـة سـتنطق بهـا هـي اسـم المولـود بعـد ولادته، بالفعل كـان زكريـا متحيراً ومشـككاً، وإن أول كلمـة نطـق بهـا زكريـا بعـد ولادة المولـود كانـت اسـم "يوحنـا". تربـى يوحنـا وشـب في بيـت أبيـه علـى الصـلاة والتقوى، ولما أصبح في سن اليفاع بدأ يطالبه أن يبحث عن الرسالة التي ولـد لأجلها، رحل يوحنا حاملاً معه توصيات أبيه وبركاته، والكتاب الـذي كـان زكريـا يصـلي منه، إنه كتـاب يخبر عن ألرسـالة (الأثينيـة) الـتي انتشـرت كعشـيرة ملائكيـة منـذ حوالي خمسـين ألـف سـنة في منطقـة (قفـر الصـحارى) "قلـب الشـمس" وكانـت تحمـل اسـم "(المدينـة الذهبيـة)" مدينـة النـور والحريـة والمسـاواة ولقـد خـرج مـن إرثهـا الـوراثي أنبيـاء العهـود القديمـة والجديـدة، وبعـد انتقـال سـيدنا يسـوع الناصـري والـنبي يوحنـا المعمدان إلى مكانهما الأساسي بدأت تنقرض هـذه الرسـالة بسـبب الـدعايات الملفقـة التي أطلقها ضدهما حكام ذلك الزمن.

أخـذ يوحنـا مهمـة الـتطهير بالمـاء (العمـاد) عـن قناعـة راسـخة واعتبرهـا رسـالة روحانية أُرسل لأجلها. فكان يقرأ من أبواب الكتاب ما كان ملاك الرب يوحي بهـا إليه، وبعد أن تمكن من العلوم الروحانيـة بواسـطة ملائكـة الكمـال الإلهـي، ارتفـع عن المجاملات والتملق ونادى بأعلى صوته مطالباً بتطهير الحق مـن الظلـم والاسـتبداد وكانت كلماته وإرشاداته تنـزل وحيـاً علـى الشـعب الـذي كـان يتسـابق إلى الـتطهير بالماء لأن وحيهم كان يوجههم إلى أن الاعتماد هـو السـبيل الوحيـد الصـحيح للانتقـال من الإثم إلى الطهارة، وكان يوحنا يقرأ لهم عن طهـارة الأثينـيين وعـن أسـباب تبنـيهم

أسلوب العماد وعن الاعتبار السائد بينهم على أن الماء لا تطهر الجسد فقط بل هي تدخل إلى أعماق الذات الهيولي من خلال مسامات الجلد ، الذي فيما بعد تكلم إفلاطون وأعطى شروحاً عن ذلك. راح يوحنا يعمد الوافدين إليه ويتطهرهم لاستقبال روح الكمال الإلهي الذي يأخذ طريقه إلى الضمير والقلب من خلال ذلك الجسد الهيولي، وبدأت رسالته تظهر بالتتابع وتجمع حوله المتعطشين لمعرفة حقيقة تلك الحضارة الملائكية التي ضاعت بسبب الجهل والاستبداد والتي فيما بعد ساهم في إلغائها من الوجود هؤلاء القيمون على صياغة الكتب المحرَّفة ، وفي ذلك الوقت المبارك كان أيضاً الإله يسوع عمانوئيل يعلم الشعب بواسطة الحديث والأمثال التي كان يتكلم بها أمامهم وكانت تعاليمه تتفاعل إيماناً في قلوب النصارى الذين آمنوا به وتبعوا تعاليمه الإلهية.

وبمرور الزمن تبدل اسم رسالة (يوحنا آدم) (الأثينيون) وأصبح (الرسالة المندائية)، كما تبدل مفهوم الطابع الروحاني للإيمان الذي تعلمناه من الإله يسوع عمانوئيل إلى طابع زمني لرسالة الرب يسوع المسيح كما أرادها "بولس".

البحث عن أصول الصابئة

يعتقد المندائيون أن لغتهم هي التي يتكلم بها سيدنا آدم عليه السلام.

ويعتبر دين الصابئة واحداً من أقدم الأديان، حيث يؤمنون بأن كتابهم المقدس ((الكنزاربا)) يتضمن الصحف الأولى التي نزلت على آدم ويسمى أيضاً ((سيدرا آدم)) .

الصابئة المندائية وبلاد النهرين

لقد أشار العديد من المؤرخين إلى أن معتقدات الصابئة المندائية برزت لأول مرة في جنوب ما بين النهرين . فقد ذهب هنري لايرد عالم الآثار البريطاني الذي أسهم في الكشف عن الآثار الأشورية إلى أن الدين الآشوري في أيامه المبكرة الأولى

وقبل أن تمسه التأثيرات الفارسية وغيرها (هو امتداد للدين البابلي) كان صابئي المنحى (١).

ولكننا نرى أن الصابئة المندائية تمتد إلى ما قبل ذلك وبالتحديد إلى العهد السومري، ولدعم هذه النظرية نقوم بمقارنة بين الدين الصابئي والسومري . فكلا الديانتين تعظمان الماء وتضعانه في منزلة عظيمة .

فقد كان في الزمن السومري إله اسمه (آيا) إله المياه وهو يجلس في مقصورة من الماء الجاري. وترى الليدي دراور أن البركة الطقسية ذات العلاقة بـ(آيا) إله المياه كانت تشكل جزءاً من العقائد السومرية في (أريدو) المدينة. وقد بحث الأب (بوروز) (مشاكل من أبسو، روما١٩٣٢) واستنتج بأنه لم يكن مبزل سوائل كما اقترح سابقاً، بل لا بد أنه كان حوضاً أو بركة، وأشار إلى أن بعض أسماء شعائر(أبسو) في (لاكش) تشير إلى برك متصلة بقنوات أو ما يشابهها.

إن طغيان الماء في الشعائر والطقوس الصابئة المندائية يمثل تمسكاً قوياً بأصل ديني بعيد يعود إلى العهود السومرية . فيعتقد الصابئة المندائيون أن الإنسان عندما يموت تنقل نفسه إلى العالم الآخر. هناك تحاسب النفس وتوزن أعمالها فإذا كانت الحسنات كثيرة تصعد إلى عالم الأنوار أما إذا كانت السيئات أكثر فانها تذهب إلى (المطراثي) وهي رحلة تمر بها النفس بسبع محطات (عوالم الحساب).

الحالة نفسها نجدها عند السومريين فهم يرون أن الإنسان عندما يموت تذهب روحه إلى العالم الآخر وتجتاز هذه الروح البوابات السبع ثم تذهب إلى مستقرها في العالم الأسفل(٣). كما إن هناك تقليداً دينياً مندائياً يتضمن إطلاق اسم ديني على الصابئي بالإضافة إلى اسمه المعلن، ويستعمل هذا الاسم في طقس التعميد والمناسبات كالزواج والوفاة وغيرها . وهو يسمى بـ (الملواشة) وهو اسم ديني حيث ينسب الفرد إلى أمه.

إن هذا التقليد هو تقليد سومري حيث كان يطلق أسماء على رجال الدين . حيث يعتقد بأن ممارسة السحر الأسود أو الضار يسري على الاسم الديني وليس على الاسم المعلن، وكان الكهنة يتحاشون الكشف عن أسمائهم الدينية لكي لايتعرضوا إلى أخطار السحرة والأعداء.

كما وتأتي جذور الصلة بين الديانتين الصابئية والمندائية والديانة البابلية هو أن كلا الديانتين تقدسان الشمس باعتبارها قوة للخير .

كذلك فإن الديانتين تنزلان الماء منزلة عظيمة فكان سكان مابين النهرين يرون أن الماء يدخل في كل جانب من جوانب حياتهم . وقد ظل سكان بلاد الرافدين يقدسون الماء ويضعونه بمنزلة عظيمة فاعتبروه أداة للتطهير . لقد كان من تقاليد الطقوس اليومية للمعبد البابلي أن يجري غسل تماثيل الآلهة ، ورش المعبد بالماء الطاهر .

أما بالنسبة للصابئة المندائيين فالماء هو مصدر الحياة ذاتها. ففي الوضوء أو ما يسمونه بـ(الرشامة) التي تجري عند النهر الجاري يقول المندائيون (أبرخ يرد نه آدميه هيي مشبه ماري كشطة سنخون).وتعني (تبارك الماء العظيم ماء الحياة سبحان إلهي احفظ عهده) كذلك يقولون في الوضوء (مللين ابملالي اد زيوه وازهي طن بصري دنهور) وتعني (لينطقا بكلام النور وليكن ضميري نقياً مؤمناً بالصلاح)(٦). وكذلك يطهر المندي سنوياً وفق طقوس خاصة بالماء.

ويلتقي الصابئة المندائيون بالبابليين بلباس التعميد الأبيض (الرستة) لدى المندائيين باللباس الأبيض الذي كان يرتديه الكهنة في بابل(٧) .ويحرم المندائيون حلق اللحى وشعر الرأس كذلك البابليون رغم إن عامة الصابئة لا يتقيدون بهذا التحريم اليوم، إلا أن رجال الدين منهم ملزمون تماماً بهذا التحريم فهم يتركون لحاهم وشعر رؤوسهم.

أما في حالة الوفاة فيعتقد الصابئة أن نفس الميت لاتصعد إلى السماء إلا بعد مرور ثلاثة أيام على الوفاة وخلال هذه الأيام الثلاثة تظل النفس تحوم ما بين القبر وبيت الميت وبعد الأيام الثلاثة تأخذ سبيلها إلى السماء . نفس الصورة نجدها لدى البابليين. فروح الميت عندهم تبقى تحوم ثلاثة أيام بعد إيداع جثمانه القبر.



التعميد في الماء من اهم طقوس الصابئة

يثار هنا تساؤل، هل كان الصابئة المندائيون قد تأثروا بشكل مباشر بأفكار الجماعات البابلية التي كانت تجاورهم، أو أن يكونوا هم ذاتهم من بقايا البابليين وطوروا معتقداتهم من خلال تفاعلهم مع الجماعات اليهودية وغيرها التي كانت تجاورهم، أو أن يكونوا من الجماعات الآرامية التي طورت أفكارها ومعتقداتها بعيداً عن هذه التاثيرات . ويذكر **ابن النديم** في الفهرست، أنهم من بقايا الجماعات اليهودية التي كانت تقطن جنوب العراق كالحسج. ويقول **عبد العزيز الثعالبي** في الصابئة هي ديانة(عاذيموس) الأول، كانت في القديم من أعظم الأديان انتشاراً في العالم وكان منشؤها في العراق وكعبها حران، وهي في الأصل دين الكواكب السبعة والبروج ألاثني عشر. أثبت التاريخ أن العرب كانوا يدينون بديانة قريبة إلى الصابئة منذ القرون الأولى، وقد اتخذوا الهياكل وسموها البيوت، وجعلوها معابد يقدسونها ويدينون بها. ويدل على ذلك أنهم كانوا يسمون أنفسهم عبيداً لها، كقولهم عبد شمس، وعبد المشتري وغيرها. وفي الحقيقة إن الصابئة المندائيين يرفضون عبادة الكواكب. فعندما نشر أحد المؤلفين (عبد الرزاق الحسني) كتاباً حول الصابئة المندائيين اعتبرهم عبدة كواكب فأثار حفيظة رجال دينهم. فقدم الشيخ دخيل إلى بغداد يحمل معه كتابهم المقدس الكنز العظيم(كنزاربا) يتلو منه أمام المحكمة بوجود مترجم يترجم أمام الشهود من السفر المقدس نصاً يرفض عبادة الكواكب ويظهر أنهم يعبدون الله.

لايعبدون الأجرام السماوية

تقول **الليدي دراور**(في الحقيقة إن الصابئين لا يعبدون الأجرام السماوية غير أنهم يعتقدون بأن النجوم والكواكب تحتوي على مخلوقات حية هي أرواح ثانوية تابعة لأمر ملك النور(ملكا دنهورا) وأنها تتحكم بمصائر البشر، ويصاحب هذه الأرواح الخيرة أضدادها من الأرواح الشريرة ففي فلك الشمس (شامش) ينتصب شامش الخير النافع رمز الخصب والخضرة ومعه الروح الشريرة المهلك(ادوناي)مع أرواح نورانية حارسة أخرى(١٠) .

فالصابئيون يوجهون دعاءهم للأرواح الخيرة النورانية فقط وليس لتلك التي تخص عالم الظلام. ويقول المندائيان **نعيم بدوي وغضبان رومي** (الصابئيون طائفة عراقية قبل أن تكون أي شي آخر، بل إننا كما تشير طقوسنا صلة الحاضر بالماضي البابلي الأكدي والنبطي في العراق) .



الصابئة المندائيون وطوائف البحر الميت

هنالك من يقول إن الصابئة من سكان فلسطين، وإنهم هاجروا منها بسبب الاضطهاد الذي لحقهم على أيدي المؤسسة اليهودية الرسمية ومن قبل الحكام الرومان.

يبدو أن ثمة علاقة بين الصابئة والأسينيين، وهم طائفة روحانية(صوفية) كانت موجود في فلسطين قبل الميلاد ، ويحسبها بعض المؤرخين على اليهود والبعض يعتبرها غير يهودية.

الأسينيون يؤمنون بالفضيلة المطلقة ، ويستقبحون الشهوات فهم لا يتزوجون ويتبنون أطفال غيرهم وملكية الجميع مشتركة عندهم ولايتبايعون وإنما يتقارضون قدر حاجتهم ويلبسون الألبسة البيضاء. يلتقي الأسينيون والمندائيون في طقوس التعميد حيث يتعين أن يرتدي الملابس البيضاء ويفعل المندائي الشي ذاته عند التعميد. إذ يرتدي ملابس بيضاء تعرف بـ(الرستة).

كما تلتقي الطائفتان في نظرتهما الثانوية تجاه الظلام والنور والخير والشر وهي ثنائية شاعت بتأثير التعاليم البابلية .

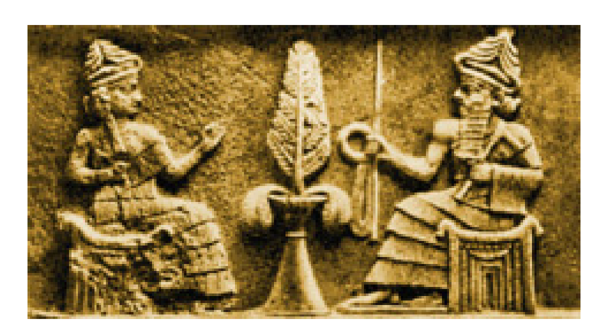
طائفة الحسح

بالنسبة للعلاقة بين الصابئة والحسح، وهو موضوع أثاره **ابن النديم** في كتابه الشهير الفهرست الذي أشار إلى العلاقة بين الصابئة المندائيين والحسح حيث يقول إن (هؤلاء القوم كثيرون بنواحي البطائح(جنوب العراق) وهم صابئة البطائح يقولون بالاغتسال ويغسلون جميع ما يأكلونه ورئيسهم يعرف بالحسح).

ووجد أتباع الحسح في شرق البحر الميت وهي فرقة فلسطينية قريبة إلى اليهودية. وقد اتخذت من التعميد ركناً أساسياً في طقوسها الدينية. وكانت دعوتهم تقوم على التمسك بالشريعة اليهودية ، وممارسة الختان، والتقيد بأحكام السبت.

عداء كبير لليهود

إن التشابه ما بين الصابئة المندائية وأتباع الحسح هو التعميد فكلا الطائفتين تمارس التعميد كتطهير من الخطايا ، لكن الطائفتين تختلفان في عدة أمور : فالحسح يلزم بالختان فيما تحرمه المندائية . والأولى تتشدد بالتمسك بيوم السبت فيما الثانية بيوم الأحد ومن وجهة نظري هناك اختلاف كبير بين الصابئة المندائية وطوائف البحر الميت (الأسينيين وأتباع الحسح) فالثانية هي من الطوائف اليهودية والعلاقة بين اليهود والصابئة عدائية ، وخالف الصابئة اليهود في أكثر عقائدهم، فعيدهم الأحد لا السبت، وإذا كان الختان فرضا على اليهود ، حرمته العقيدة الصابئية دينياً ، وتعد من قام به خارجاً عن الدين، أما خروج النبي موسى(ع) من مصر ونجاته من فرعون فهو نصر يهودي، ولكنه يمثل فجيعة ومأتماً عند الصابئة بسبب غرق المصريين ونجاة موسى(ع) وقومه . ويقيم الصابئة بتلك المناسبة التي يطلقون عليها (عاشورية) المآدب التأبينية ، والفاتحة (لوفاني) على أرواح المصريين الذين غرقوا في البحر الأحمر حينما كانوا يلاحقون نبي اليهود موسى (ع).



أوروبا تعتبرهم مسيحيين

في القرن السابع عشر أدى عدم فهم البحارة البرتغاليين للمعنى الصحيح لاسم هذه الطائفة ، أدى في اوروبا إلى اعتبارهم " المسيحيين الذين عمدوا يحيى " [حسب ماورد في كتاب خولسون(الصابئون وصبأ) المجلد الأول ص ١٠٠]. وربما يعود هذا الالتباس إلى أن يحيى بن زكريا هو أول من عمد المذهب النصراني، ولأن أحد مبادئ الدين المندائي هو التعميد أيضاً.

المترجم الأول للكنزا ربا

ماتياس نوربري



اعتمد حقل البحوث المندائي في القرنين السابع والثامن عشر على تقارير الرحاله والمبشرين المسيحين معتبرين أن المندائيين مسيحيون من أتباع القديس يوحنا وسرعان ما حُمل أدبهم الديني من كتب ومخطوطات إلى أوربا مع مفتاح لغتها وأصول قرائتها واضعين الأساس وممهدين الطريق لحقل البحوث المندائي فقد شهد مستهل القرن التاسع عشر أول ترجمة لكتاب المندائيين المقدس كنزا ربا إلى اللغه اللاتينيه باسم Codex Nazareus كتاب الناصورائيين أو Liber Adami أي صحف آدم من قبل المستشرق السويدي ماتياس نوربري حيث تعد أول ترجمة أكاديمية في حقل البحوث المندائي واضعةً حجر الأساس لتغني وتنير بمعلوماتها باحثي هذا المجال.

السيرة الذاتية

اشتهر نوربري لدى الكثير من الباحثين باللفظ الإنكليزي لاسمه ماثيو نوربرغ ولد في شهر حزيران عام ١٧٤٧ في إحدى القرى التابعه لمدينه أبسالا في السويد لعائلة عريقة النسب.

اهتم نوربري منذ شبابه في دراسة اللغات القديمة مما دفعه للالتحاق بجامعة أبسالا والدراسة فيها ليحصل عام١٧٧٣ على شهادة الماجستير لرسالته الموسومة كتاب العهد الجديد في اللغة السريانية.

ثم عين مدرس اللغة الاغريقية في الجامعة نفسها لكنه لم يواصلها بل شرع في تخصصه في الاستشراق لمدة خمس سنوات في العديد من الدول أهمها اليونان وتركيا فحصل على التقدير والاستحسان من بلاط السويد الملكي ثم أوقف رحلته وآثر المكوث في تركيا لكي يتعمق في دراسة المخطوطات الشرقية تحديداً العربية والتركية.

حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كوبنهاكن الدنماركية كما نال لقب بروفسور في اللغة الإغريقية واللغات الشرقية من قبل جامعة لوند السويد عام ١٧٨٠وقد استمرت خدمته في الجامعة المذكورة لحين تقاعده حيث قدم خلالها أكثر من ١٥٨ بحثاً أكاديمياً وقد لاقت هذه البحوث استحسان وتقدير الكثير من الجامعات وأهم هذه الشهادات التقديرية هي:

شهادة تقديرية من المجمع العلمي السويدي

شهادة ماجستير فخرية من جامعة أبسالا

وقد أغنت بحوثه حقل الاستشراق الأكاديمي في كل ميادينه مما اعطته شهرة كبيرة في الوسط الأكاديمي معتبرين ذلك مصدراً مهماً لبحوثهم.

البحث عن المخطوطات المندائية

التقى نوربري بعد تخرجه بأربع سنوات بالمستشرق الألماني الشهير جوهان دافيد ميشليس والذي حثه على البحث حول المخطوطات المندائية لمعرفة حقيقة دينهم حيث كانت الديانة المندائية مادة خصبة للباحثين والمستشرقين في ذلك الوقت لكونها تمثل حلقة تاريخية اساسية في عصر الديانة المسيحية المبكرة وقد اهتم نوربري بالموضوع وشرع بالبحث عن المخطوطات المندائية في كل مكتبات أوربا تحديداً في هولندا والمملكة المتحدة لكنه لم يعثر على شيء فواصل البحث في مكتبة باريس الوطنية حيث عثر على نسخة مندائية قديمة لكتاب المندائيين

المقدس كنزا ربا فبدأ بنسخها خطياً ليحتفظ بها لنفسه ولغرض دراستها وترجمتها في مقر أبحاثه في السويد.

أجل نوربري ترجمة الكنزا ربا معتقداً بان التعرف على أصول الديانة المندائية سيسهل عليه الترجمة.

عرّف نوربري الكنزا ربا هو كتاب فلاسفة أدب العظماء الذين وضعوا أحاسيسهم بأسرار التعاليم القديمة السامية.

أصبحت الكنزا ربا نقطة تحول في بحوثه حيث زادت اهتمامه بدراسته الطوائف الدينية وخصوصاً المندائية منها ولمعرفة حقيقة هذه الطوائف مكث نوربري خمس سنين في بلدان الشرق الأوسط واضعاً أحد أهم أهدافه هي الديانة المندائية.

كما يخبرنا في إحدى رسائله لعام١٧٧٩ بأنه وجد في القسطنطينية قساً مارونياً اسمه جرمانو كونتي الذي ادعى بأنه التقى مع المندائيين وشاهد طقوسهم وقداساتهم أما عددهم فيقارب ١٠٠٠٠ شخص يعيشون في مدينة اللاذقية السورية.

من الواضح بأن نوربري التقى مع أكبر قساوسة البطرياركية المارونية كونتي الذي كان هو الآخر مهتماً بنشأة الديانة المندائية حيث اعتبر في نظرياته نُصيريي اللاذقية جزءاً من المندائيين وبالتالي تكلم مع نوربري عن النُصيريين باعتبارهم مندائيين لكن جامعة كوتنكة الألمانية عقبت على هذا الخبر بأن معلوماتهم تدل على أن أتباع مسيحيي يوحنا أي المندائيون يقطنون البصرة وهم بعدد قليل. إن ثقة نوربري العمياء في القس كونتي أدت به أن يعتبره مصدراً اساسياً عن المندائيين وعليه عاضد نظرية كونتي ثم بنى نظريته الجديدة مؤكداً المنشأ الغربي للمندائيين وتحديداً طائفة الجليليين في فلسطين.

عاد نوربري إلى السويد بعد خمس سنوات من الاستشراق حيث شغل منصب بروفسور في جامعه لوند.

وفي عام١٧٨٠ ألقى في جامعة كوتنكة محاضرة بعنوان ديانة ولغة الصابئة التي تعد بحق إحدى أولى المحاضرات الأكاديمية عن المندائيين.

ترجمه الكنزا ربا

إن اهتمامات نوربري في الديانة المندائية دفعه إلى تكملة مشروعه المؤجل حول ترجمة الكنزا ربا ففي عام ١٨١٥ - ١٦ أصدر نوربري كتابه الشهير ? Adami Liber صحف آدم أو Codex Nazareus أي كتاب الناصورائيون وهي عبارة عن ترجمة لاتينية لكتاب المندائيين المقدس كنزا ربا حيث اعتمد في ترجمته على أقدم نسخة للكنزا ربا على الإطلاق المتواجدة في باريس التي نسخها خطياً قبل سفره إلى الشرق الأوسط.

اقتصرت هذه الترجمة على ثلاث مجلدات بضمنها النص المندائي مطبوعاً بالحروف السريانية.

لاقى هذا الإصدار شهرة سريعة وأصبح محط أنظار الباحثين ومصدر إلهام لكثير من الأدباء نذكر منهم استاكنيليوس شاعر اسكندينافيا الكبير الذي تتلمذ على يد نوربري وعشق أدب الكنزا وألهم به فأصبح كتاب الكنزا ربا له نقطة تحول أدبية في شعره ومصدر إلهامه حيث بدأ يكتب أشعاره الجديدة متأثراً بفلسفة ثنائية النور والظلام النفس والجسد ولعل قصيدته معراج النفس تجسد تأثره بالأفكار الفلسفية للقسم الأيسر من الكنزا ربا وعليه تأثر الأدب الاسكندينافي بهذا اللون الجديد من الشعر فما زالت بعض من أشعار استاكنيليوس الدينية تنشد في الكنائس السويدية حيث يلمس قارئها روحية الفلسفة المندائية.

وبالرغم من استحسان الأدباء لهذه الترجمة لكنها واجهت انتقادات شديدة من بعض الباحثين حيث اعتبروا طريقة الترجمة غير ملتزمة وفق معايير الترجمة الأكاديمية بل حتى نظريته عن أصل ولغة المندائيين كانت مبنية على أسس غير رصينة.

تؤكد بعض المصادر بأن نوربري شعر بأسف وحسرة في السنوات الأخيرة من عمره وذلك لكونه لم يحاول أن يرى المندائيين بأم عينه في الوقت الذي كان بالقرب منهم في محطات استشراقه.

عام ١٨٢٦ فارق نوربري الحياة مخلداً اسمه بأعماله الكبيرة كما خلده المجمع الأكاديمي السويدي برسم لوحة بورتريت له مازالت تتوسط شامخة إحدى قاعات جامعة لوند بصفته أحد أهم محطات التطور الاكاديمي للقرن التاسع عشر.

وبالرغم من انتقاد الباحثين لطريقة ترجمته لكن تعد هذه الخطوة بحق حجر الأساس لحقل البحوث المندائي فقد اعتمدت نسخة الكنزا ربا التي اكتشفها نوربري في باريس من قبل الكثير من الباحثين.

مندي طائفة الصابئة في محافظة ذي قار

يسكنون في ذي قار خصوصاً . ولكن عُرفوا بتواجدهم في جنوب العراق ووسطه وجنوب إيران وفي جنوب العراق يقطنون قرب الأنهر الجارية من دجلة والفرات ولهم مرجعية خاصة ومقرها في حي القادسية ببغداد وتعتبر مرجعية الديانة الصابئية في العالم أجمع .

والديانة الصابئية حسب ما ورد عن رجالهم أنهم وجدوا منذ وجود آدم وممتدون مع باقي الأنبياء من نوح وإدريس إلى خاتمهم النبي يحيى بن زكريا(عليهم السلام) حسب اعتقادهم.

وللطائفة الصابئة دار عبادة ويدعى بالمندي أو مندي طائفة الصابئة حيث يعتبر لهم مكاناً خاصاً ومقدساً تمارس به طقوسهم وفيه كتبهم المقدسة ويجري فيه

التعميد وفي الأغلب يقام هذا المعبد قرب الأنهار الجارية، وكذلك تقام به بعض الجوانب التثقيفية كالتدريس والندوات والمؤتمرات.

مندي الطائفة في ذي قار :

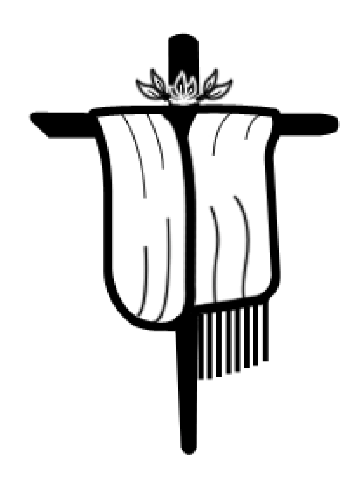
يعتبر مندي الطائفة في محافظة ذي قار من الأماكن ألمقدسة وهو بمثابة المسجد أو الجامع لدى المسلمين وكان هذا المندي بالأساس هو منزل شيخ الطائفة الشيخ **داخل عيدان داموك** الذي هو علم من أعلام الطائفة وعرف بنشر الدين الصابئي وأنه واجهة تاريخية للطائفة (ولد في مدينة العمارة ومن ثم انتقل إلى الناصرية من مواليد ١٨٨١ م وتوفي عام ١٩٦٤ عن عمر ٨٣ سنة ونال درجة الترميذا في عمر مبكر ٢٣ سنة)، فعندما انتقل إلى بغداد مركز المرجعية الصابئية في العالم قام الأخوة في الطائفة في ذي قار بشراء المنزل لجعله معبداً لهم، وإن سبب شراء هذا المكان بالذات هو التبرك بهذا المنزل لاحتضانه شيخهم الأعلى إضافة إلى قربه من الماء الجاري وهو نهر الفرات كما تعلو واجهة المندي شعار الطائفة **(راية السلام)** والتي يطلق عليها باللغة الآرامية (المندائية) (دراشا تاقنا) ترمز إلى النقاء والصفاء والبقاء والعطاء الزكي حيث تتكون من غصن زيتون وقطعة قماش من الحرير الخز الأبيض وأغصان الياس. ويرجع تشييد هذا البناء إلى عام ١٩٦٤ أما موقعه الجغرافي فهو في قلب المدينة صوب الجزيرة ومحاط بحي يقطنه الصابئة ويسمى محلة الصابئة. وواقع على ضفاف نهر الفرات وقد تم إعادة بنائه وتوسيعه في التسعينيات من القرن الماضي وتبلغ مساحته الآن قرابة ٩٠٠ متر مربع وقد قسم إلى عدة أقسام أو مكانات ففيه قسم خاص لممارسة العبادة (الصلاة) وهو في وسط المندي وقاعة لعقد الندوات والمؤتمرات ومكتبة للمطالعة ومكان لتدريس أبناء الطائفة وقسم لممارسة عبادة التعميد وهو ركن أساسي لدى أبناء الطائفة. وقد زار هذا المعبد وصلى فيه شخصيات كبار من الطائفة منهم شيخ الطائفة الشيخ داخل عيدان والشيخ محيي والمعروف لديهم بـ"سداد".

الطقوس والنشاطات التي تمارس في المندي :

إن من أهم الطقوس التي تمارس به هي الصلاة وتعتبر أحد أركان الديانة يمارس طقس الصلاة في الأغلب انفرادياً وليس جماعة بسبب الظرف الاقتصادي الذي يمر به البلد وانشغالهم في العمل إلا أنهم يجتمعون في يومهم المقدس وهو يوم الأحد ويعتبر الملتقى الأسبوعي لهم وهو كيوم الجمعة لدى المسلمين. وللنساء حضور للمعبد لغرض العبادة وإن ما قيل أنه ممنوع على النساء غير صحيح بل هو مفتوح لكل متعبد لله تعالى إضافة إلى اقامتهم دورات فصلية تختص بالديانة من تعليمهم أساسيات الديانة وأركانها وفلسفة الدين وتوحيد الله تعالى كما تقام دورات أخرى لغرض التثقيف العام، فاستحدث في المندي غرفة خاصة بتطوير مواهب الشباب والفتيات في مجال الإنترنت وهذا ما قامت به رابطة المرأة المندائية، وتوجد قاعة مخصصة لإقامة الندوات والمؤتمرات إضافة إلى إقامة مجالس الفاتحة وعقد القِران. وفي أحد أركان المندي مكتبة خاصة للمطالعة وهي منوعة لجميع الكتب والمصادر وكتب الديانات الأخرى ولا ننسَ أن هناك أعياداً ومناسبات أخرى خاصة بهم يقيمونها في المندي .

ويعتبر المندي المكان الوحيد لهم في المحافظة وإن عدم وجود معبد آخر بسبب قلتهم في المدينة فهم لا يتجاوزون الـ٢٠٠٠ فرد ومتمركزين في مكان واحد وكما قلنا قرب نهر الفرات ولكن هناك من يقطن في قضاء الشطرة وقضاء سوق الشيوخ وأقضية ونواحي المحافظة.





الفصل العاشر

محنة الصابئة المندائية

الشيخ ستار جبار
رئيس طائفة الصابئة المندائيين

يعيش الشيخ ستار جبار اليوم في سورية، حيث يرعى شؤون الطائفة. ويذكر أن غالبية أبناء الطائفة انتقلوا إلى سورية، وهم يمتلكون جمعية ترعى شؤونهم.

أجرى الباحث موسى الخميسي لقاء مهماً مع رئيس الصابئة المندائية وزعيمها العالمي، الشيخ ستار جبار، وعنها نقتطف بعض مايقوله الشيخ.

الشيخ المندائي ستار جبار الرئيس الروحي للطائفة المندائية في العراق يمتلك خوفاً كبيراً على من تبقى من أبناء المندائية، بعد أن تشتت وتشرد المئات من العوائل إلى دول الجوار في سوريا والأردن وإقليم كردستان ودول أوربا وأمريكا وكندا وأستراليا . يناشد الجميع بمراجعة للنفس على أن تكون أمينة وصريحة، بلا تزييف أو تزويق، بلا غرور أو ادعاء، فلم يعد العراق هذا اليوم كدولة ومؤسسات وأحزاب ورجال دين ومرجعيات وهيئات إسلامية، ليمتلك ترف الاستخفاف والاستهتار تجاه عملية قلع جذور طائفته نهائياً من أرضها العراقية.

السمة الأكثر سلبية والمرض المدمر حقاً إنما هو تردي الأوضاع بداخل العراق التي تحولت إلى استبداد الأخ الكبير وطغيانه ضد الأخ الصغير الذي يمثل أقليات مسالمة لاحول لها ولا قوة، فالطائفية هذا اليوم من وجهة نظر هذا الرجل هي النقطة السوداء والشوهاء، وهي منبع كل السلبيات والشوائب التي تتوغل يوماً بعد آخر في الجسد العراقي المنهك.

التهجير القسري للمندائيين لم يعد حوادث متفرقة، بل أمسى حالة منتشرة في عموم مدن العراق.

تهدّمت كل صيغ التعايش التي عشناها

على ضوء انعدام فكرة المواطنية التي تشكل قاعدة الديمقراطية وتضمن احترام الأقليات ومساواة الجميع أمام القانون، وعلى ضوء استفحال قسم من الشقيق

الآخر الذي تلبس النزعة العدائية والهيمنة والغطرسة تجاه إخوة الأمس من أبناء الأقليات العراقية، وعلى ضوء ممارسة الإرهاب بكل أصنافه وأنواعه، اعتداءات على العرض واغتصاب النساء ومصادرة الأملاك والأموال والاستيلاء على البيوت، واغتيال الأبناء والآباء في محلات عملهم، وإرغام العديد من العوائل على تغيير عقيدتها الدينية بقوة السلاح والابتزاز الرخيص اللاأخلاقي، فقد خلق هذا الوضع المتوحش اللاإنساني حركة تعبئة عند أغلب العوائل المندائية والمسيحية من أجل الخلاص بأرواحهم بعد أن تهدمت كل صيغ التعايش التي عشناها، ولم تكن لدينا كمؤسسات دينية ومدنية أية امكانية مادية أو قتالية لوقف إراقة الدماء، فكاد ان يتبدد حلمنا كأقلية دينية مسالمة بأن ينهض العراق من وسط الركام ليعيد بناء نفسه على أسس جديدة مدنية وحضارية، الكل، طوائف متناحرة وقوات احتلال عملوا على تحويل عراقنا إلى حرائق وأنقاض. لقد نزح أغلب العوائل وهي تساعد بعضها البعض هروباً من العنف الأعمى والفاحش.

أبناؤنا يذبحون بالسكاكين

لقد كان رهاننا أن نرى حقاً من يمد يده لتوسيع رقعة التعايش والتبادل بين الإخوة، وأن يقدم المساعدة والعون ويدافع عن وجودنا ويوقف آلات تدميرنا وإبادتنا وإبعادنا عن وطننا. لقد تفاجأنا باستدارة الوجوه عن محنتنا للحد الذي وجدنا أنفسنا عزلاً بكل ما للكلمة من معنى فقط مع إيمان قلوبنا، ولم نتخل عن الأمل حتى اللحظات الأخيرة ونحن نرى ابناءنا يذبحون بالسكاكين. فالعديد من عوائلنا المتبقية في داخل العراق تعيش الفاقة والبؤس، وعوائل كثيرة في كل من الأردن وسوريا استنفذت كل مداخيرها وتعيش متعففة على صدقات ومساعدات إخوتهم من المسيحيين والمندائيين والمسلمين. لقد فتحت لنا حكومة إقليم كردستان أبواب التعاطف فقط مع محنتنا، أما المؤسسات الحكومية والهيئات الدولية المختصة فلم تمد يدها لمساعدة أحد. ما نحتاجه الآن هو دعم عوائلنا مادياً والاعتراف بحقيقة المصير المظلم الذي ينتظرنا، والإحساس بالمسؤولية، وإجراء الحوار والمداولة، من

أجل بناء ما تحتاج إليه ثقافة السلام من خلق الفضاءات والتوسطات والقيم المشتركة.

نعيش تجربة اقتلاع بالمعنى الفيزيقي والروحي

إقليم كردستان غير مستعد لاستقبالنا، والحكومتان السورية والأردنية تبذلان كل ما في وسعهما لمساعدة اللاجئين العراقين بدون تفريق، ونحن كعوائل مهجرة نحتاج أكثر مما يرسمه التضامن والتعاطف الأخوي بعيداً عن اللعب السياسية والبرلمانية، بل في استخدام ما توفره الدولة العراقية للآخرين، نحن نعاني الفوضى وعدم الانضباط من العديد من المؤسسات الحكومية العراقية التي أدارت بوجهها عن محنتنا. لنا حضور وأنا أشدد على جوانبه الإنسانية وليس السياسية. إننا نعيش مفارقات بعضها يقف على حق والآخر على باطل، يجب النظر إلى محنتنا بأننا نعيش تجربة اقتلاع بالمعنى الفيزيقي والروحي، عن التربة الأصيلة التي شهدت ميلادنا منذ آلاف السنين. بصراحة لم نوفق للآن بالحصول إلا على وعود. والقسوة تزداد يوماً بعد آخر.

يراد لهم الإبادة

ثمة وضع محرج وصلت إليه حال الأقليات الدينية العراقية وخاصة طائفتنا التي لايوجد لها أحد يساندها ويدعمها في الخارج، كما هو الحال مع إخوتنا المسيحيين أو إخوتنا المسلمين. وفي يقيني فإن الأمر يتمحور حول الضمير الإنساني، فنحن ومنذ منتصف عام ٢٠٠٥ نلاحظ عمق الهوة بين محنتنا وتوجهات الإعلام في داخل الوطن والإعلام العربي، ونتساءل ما الذي حدث لكي لاتعمل ماكنة الإعلام المأمولة بنزاهتها ودفاعها عن الإنسان وحقوقه المشروعة بالعيش، بأن تمتلك مثل هذا الصمت واللا مبالاة عن أبناء هذه الأقلية الدينية التي يراد لهم الإبادة.

لم تخرج أي فتوى تحرم قتل أبنائنا

لقد عانيننا على مر التاريخ من الفتاوى الدينية، وراح منا آلاف الأبرياء. لقد حققنا زيارات للمرجعيات الدينية وعلى رأسها السيد علي السيستاني والراحل الشهيد محمد باقر الحكيم، كما التقينا بهيئة علماء المسلمين والسيد مقتدى الصدر، وعدد من قادة الأحزاب الدينية والسياسية في البلاد، والكل كان متجاوباً مع محنتنا، ولكن لحدّ الآن لم تخرج أي فتوى تحرم قتل أبنائنا والاعتداء على أعراضنا ونهب ممتلكاتنا والاستيلاء على بيوتنا، وإجبار ناسنا على تغيير عقيدتهم الدينية، والقيام بعمليات ختان لأبنائنا قسراً. ليس من الصعب أن يلاحظ المرء إلى أي مدى أصبحت حالنا مزرية والتي نستجدي من الآخرين فقط الأمان والسلام المفقودين.

الحكومة والاحتلال لايتجاوبان معنا

كل اللقاءات التي تمت مع سلطات الاحتلال ورئاسة الحكومة العراقية والمسؤولين، كانت نتيجتها عدم التجاوب الفعلي لحمايتنا والحد من العنف المسلط على رقابنا والعمل على احترام معتقداتنا الدينية وضمان سلامتنا في وطننا، في الوقت الذي أكدنا ولا نزال على التزامنا بتكريس أنفسنا لمواصلة السعي المشترك من أجل وحدة العراق وشعبه، والسعي من أجل إيجاد مناخ يوفر العيش سوية للأجيال الحاضرة والمستقبلية، في ظل الثقة والاحترام المتبادلين. أصبحت لنا عادة الاستماع إلى الوعود.

حملة ختان الذكور عنوة

القتل على الهوية، التهجير القسري، الاختطافات، الاغتيالات، الاعتداء على أعراض النساء، حملة ختان الذكور عنوة، وغيرها من الأساليب اللاإنسانية. ندعو كل السياسيين ورجال الدين المسلمين في العراق إلى العمل من أجل انتقال عادل وآمن نحو الديمقراطية مستلهمين في ذلك المعاني السامية لكلمات الرسل والأنبياء.

لنعيش سوية في أسرة واحدة

إن أرض العـراق مقدسـة في كـل الكتـب السـماوية، ولهـذا فـإن علـى أتبـاع الديانات السماوية احترام قدسية هذه الأرض التي لايجوز أن يسفك الدم على أديمها الطـاهر. كلنـا أمـل بـالعيش مـن جديـد سـوية كعائلـة واحـدة، تنظـر بعـين الاحـترام والإجلال لكل القيم الأخلاقية والدينية الموروثة لكل فرد فيها، وندعو الجميع إلى إدانة ونبذ ثقافة التحريض والكراهية وتشويه صورة الآخر الضعيف.

في العراق سبعة رجال دين مندائي

كـان عدد المندائيين قبل أحداث عام ٢٠٠٣ ما بـين ٣٥ إلى ٤٠ الـف منـدائي. الآن مـا تبقـى في العـراق لايتجـاوز الخمسـة آلاف منـدائي. كـان عـدد رجـال الـدين الـذين يقـودون الشـعائر والطقـوس ويحتلـون مناصـب كهنوتيـة عليـا ٢٩ كهنوتيـاً، أمـا الآن فعددهم ستة فقط. وكان عدد مساعديهم ٣١ أما الآن فتقلص هذا العدد إلى سبعة.

اغتصاب وختان .! إنه موت.!

المرأة التي يتم اغتصابها أو الرجل أو الصبي الـذي يجـري ختانـه بـالقوة مـن قبـل بعض أفراد الملشيات المتطرفة.

مثـل هـذه الحقـائق تبـدو بعيـدة التصـديق في عصـر الـتغيرات والتبـدلات والديمقراطيـة وحريـة الإنسـان وحقوقـه المشـروعة في العـيش وممارسـة عقيدتـه وأفكاره، فنحن نعيش في القلق والتعثر، إذ لايمكن أن تقتل إنساناً وتغتصبه لأنه لا ينتمـي إلى دينـك، لقـد اعتـدوا علـى اعراضـنا في داخـل الأسـرة وفي البيـوت وأمـاكن العمل والدراسـة، ونحـن نشـعر بالحيـاء مـن هـكـذا أفعـال خسيسـة ودنيئـة. إنـه مـوت وعار يشق السماء، فلا العقل ولا الوجدان ولا الضمير الإنساني، لايستطيع أن يبرر أو يعقلن هذه الدناءة. نحاول مساعدة من اغتصب بكل التقاليد الإنسانية والأخلاقية الرفيعة التي يأمرنا ديننا المتسامح على اعتبار أن من أصابه السوء، هو ضحية تحتاج الوقوف إلى جنبها لإعانتها على الوقوف لمواصلة مسيرة الحياة.

نفقد القدرة على إمكانية تحقيق التعاون

أشعر بمسؤولية تاريخة كبيرة في هذا الظرف العصيب، فأنا لست خارج العراق بشكل دائم، إذ يحتم عليّ واجبي الديني التنقل، لذا تراني أتنقل من مكان إلى آخر من أجل إطلاع المؤسسات العربية والعالمية على أوضاع أبناء طائفتي بعد أن فقدنا القدرة على مصداقية الادعاءات، لكننا لم نفقد القدرة للآن على الشعور بانتمائنا الوطني وإمكانية تحقيق التعاون.

نتمنى أن نترجم الآيات القرآنية الكريمة التي تذكرنا إلى واقع عادل في التعامل معنا

كنا ولا نزال نمنّي أنفسنا بأن تترجم هذه الآيات القرآنية الكريمة التي جاءت بالقرآن الكريم إلى واقع عادل في التعامل معنا على أساس أننا نؤمن بالله واليوم الآخر ونؤمن بالحساب والعقاب، وأن الابرار منا يذهبون بعد الوفاة إلى عالم النور وأن المذنبين يذهبون إلى عالم الظلام، ونحن ننزه الله سبحانه وتعالى غاية التنزيه. إن الدين الصابئي دين قديم يعتقد معتنقوه أنه من أقدم الأديان إن لم يكن أقدمها ، فنحن ننسب كتابنا المقدس "كنزه ربه" الكنز العظيم إلى آدم عليه السلام.

الإبادات التي تعرّض لها المندائيون

تعرض المندائيون طيلة تاريخهم الذي يمتد آلاف السنين إلى العديد من جرائم الإبادة الجماعية وموجات من القتل والاضطهاد والقهر والإجبار على تغيير دينهم وكان تكفير المندائيين هي الذريعة المستخدمة لابادة الشعب المندائي، وقد استخدمت هذه الذريعة من قبل جميع الأديان المجاورة لهم عبر التاريخ. وقد يكون الشعب المندائي هو الشعب الوحيد في التاريخ الذي تعرض ولا يزال إلى هذا العدد من المذابح دون أن يرفع أحد صوته.

مذابح المندائيين في القرن الأول الميلادي

ورد في كتاب حران كويتا ، وهو كتاب تاريخي مندائي نص في كتاب يؤرخ حادثة واحدة على الأقل حدثت في القرن الأول الميلادي وهي قيام اليهود بإبادة جماعية للمندائيين في أورشليم(موطن المندائيين) حيث قتل في هذه الحادثة كما روي في هذا الكتاب آلاف المندائيين وكان بينهم(ثلاثمائة وستون رجل دين مرة واحدة) لأنهم مندائيون مما أدى إلى هجرتهم إلى خارج المنطقه وهذا هو النزوح الأول للمندائيين خارج وطنهم . ويعلم جميع المندائيين المذابح التي تعرضوا لها على أيدي اليهود في التاريخ القديم و في بداية الدعوة المسيحية والتي أشارت إليها كتبنا الدينيه والتي توقف بعدها التبشير بديننا بسبب هذه المذابح، ولا أريد الإسهاب في هذا الموضوع لأنه معروف للجميع.

مذبحه سنه ٢٧٣ م في إيران

حين جاء الملك الساساني بهرام إلى السلطة سنة ٢٧٣(م) . قام بحمله اضطهاد شعواء قادها الحبر الأعظم للزرادشت (كاردير) ضد المندائيين، إلا أنه لم يستطع القضاء تماماً على المندائية ، ولكن التدوين توقف تماماً لعدة قرون ولم نشاهد التأثيرات والكتابات المندائية إلا فيما يسمى بأوعية (قحوف) الأحراز والأشرطة الرصاصية . وقد أجبرت جموع المندائيين، فيما بعد ، على الدخول إلى الإسلام، لأن الدخول إلى الاسلام لم يكن هناك بد عنه ، فقد قضت المصلحة الفردية و حب التخلص من تأدية الجزية وما فيها من إذلال والتهرب من الأذى والرغبة في المناصب والتمتع بالحرية والأمان من الإجبار على دخول الاسلام.

مذبحة مدينة العمارة جنوب العراق (القرن الرابع عشر)

حدثت مذبحه للشعب المندائي في القرن الرابع عشر في مدينة العمارة وهي موثقة في كتاب (الليدي دراور) بعنوان(الصابئة المندائيين) ترجمة المرحومين غضبان رومي و نعيم بدوي(رواه نهويلخون) صفحات ٥٦ و ٥٧ جاء فيهما :

ومهما كان الامر فإن الصابئين في القرون الوسطى يظهرون وقد قهرهم الاضطهاد فقد تركت إحدى الكوارث في القرن الرابع عشر طابعها في ذكرياتهم حتى هذه الأيام وقد عثرت على تسجيل لهذه المذبحة في نهاية أحد الأحراز الطلسميه التي تفحصتها أخيراً، كما وجدت نفس الشيء مسجلاً في (التاريخ) وهو مخطوط يمتلكه الشيخ دخيل يحكي المخطوط عن مذبحة رهيبة تعرض لها الصابئون في الجزيرة حين كان السلطان محسن بن مهدي حاكماً على العمارة وكان ابنه فياض حاكماً على شوشتر حيث تعرض بعض الأعراب لامرأة صابئية و نشب القتال وأعلنت الحرب على الصابئيين فذبح الكهان والرجال والنساء والأطفال وبقيت الطائفة مهيضة وبلا كهان لعدة سنين.

مذبحه سنه ١٧٨٢ في الجنوب الفارسي

ورد ذكر هذه المذبحة في مجلدات جان دو مرجان، الجزء الخامس: Jean de Morgan (mission scientifique en Perse) voume 5 وعنها ننقل هذا النص:

المسلمون في بلاد فارس أرادوا الحصول على الكتب الدينيه للمندائيين ولكنهم لم ينجحوا بالحصول عليها لا عن طريق الشراء ولا عن طريق الاحتجاز. لذلك قاموا باعتقال قادتهم وقالوا لهم إنهم يتبعون الديانة المندائية عن طريق التقليد عند القيام بالطقوس المندائية الدينية خوفاً على كتبهم، عند ذاك تم رمي قادتهم الدينيين في السجن وتحت التعذيب، ولكنهم استمروا في إنكار وجود أي كتاب مندائي لديهم ولكن المسلمين الفرس هددوا الكثير من قادة المندائيين بالقتل، البعض خوزقوا وآخرون مزقوا، أحد المعذبين المندائيين تم قطع أطرافه الواحد بعد الآخر بدأ من أصابع الأرجل ثم الأيدي، بعض قادتهم تم جلدهم أحياء والآخرون تم إحراق أعينهم بوضع حديدة حامية جداً في أعينهم، ثم بعد ذلك تم ذبحهم، والبعض الآخر تم إحراقهم أحياء .

الكنزبرا (آدم) الذي تم قطع يده اليمنى من قبل المسلمين الفرس كان واحداً من هؤلاء المساجين هرب إلى تركيا (من المحتمل المقصود شمال العراق في العصر

العثماني) ولكن قبل هربه أخذ معه نسخة من الانياني (الكتاب الرئيسي للمراسيم الدينيه المندائية) تم استتنساخه من قبله رغم أن يده اليمنى كانت مقطوعه وهذا (الكتاب الانياني هو المصدر الوحيد الذي اعتمد عليه في منطقة العمارة) وفي نفس الوقت فإن آدم هذا هو نفسه علم المندائية إلى شخص إنكليزي اسمه (j.e.taylor) والذي كان نائب القنصل في البصره واستمر تعليمه لمدة ١٢ سنة (يبدو ان تيلر هذا كان بطيئاً جداً في التعلم).

مذبحة سنه ١٨٧٠ في مدينة شوشتر

وقد ذكرت في موقع أوروبي على الشبكة العالمية. وهو: http://leocaesius.blogspot.com
شوشتر هي مدينة إيرانية تبعد عن مدينة الشوش الحالية أقل من عشرة كيلو مترات وهي سابقاً مدينة مندائية بالكامل يقدر عدد نفوسها حين ذاك(٢٠ ألف مندائي) وتقع شمال الأحواز في جنوب إيران سنة ١٨٧٠ م تم ابادة اغلب المندائيين فيها على يد الحاكم الإيراني آنذاك ناصر الدين شاه الذي حكم إيران من سنة ١٨٣١ إلى ١٨٩٦م مع العلم أن العائلة الصابورية، وهي من العوائل المندائية الاصيلة (كانوا يسمون سابقاً العائلة الششترية) هم من مدينة شوشتر هربوا منها إنقاذا لأنفسهم ولعوائلهم. ومن يراجع الزهيرات على متن دراشة يهيى(تعاليم يحيى) وكذلك سدرا نشماثا الموجودة لدى الإخوة المندائيين في إيران سيجد إشارات عديدة إلى هذه المذبحة ومن يزور الشوش حالياً سيجد كتابات مندائية خصوصاً على الجسر القديم للمدينة تشير إلى هذه المذبحة، وهناك كتاب بعنوان قصص من حياة أمير كبير من تأليف محمود حميدي باللغه الفارسية جاء فيه ص١٦١ ما يلي :

((في رسالة من أردشير حاكم خوزستان سنة (١٢٦٦هجرية) قال له فيها إن طائفة الصابئة الذين يعتقدون في ديانة حضرت زكريا في شوشتر يسكنون على ضفاف النهر.... عدد من الأعيان والأشراف هناك قاموا بأيذائهم واضطهادهم وأجبروهم أن يتركوا دينهم بطريقة العنف والإجبار ويدخلون في الإسلام)) .(أرجو من

الأحبة في إيران بتزويدنا بما لديهم حول الموضوع حتى ولو كان ذلك باللغة الفارسية).



إعدام رئيس الطائفة

في زمن الدولة الفارسية تمتع المندائيون تحت حكم الملك أردشير الأخير بحماية الدولة (الامبراطورية) ولكن الأمر تغير حين جاء إلى السلطة الملك الساساني بهرام الأول سنة ٢٧٣ م، إذ قام بإعدام رئيس الطائفة في بداية حكمه بتأثير من الكاهن الزرادشتي (كاردير).

وامتد الاضطهاد الساساني الديني ليشمل أتباع الديانات الأخرى غير الزرادشتية مثل المندائية والمانوية واليهودية والمسيحية والهندوسية والبوذية.

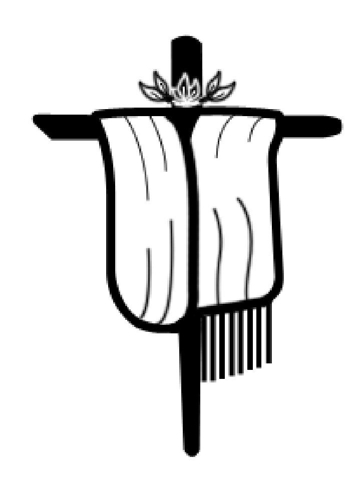
فحملة الاضطهاد الشعواء التي قادها الكاهن الأعظم للزرادشت (كاردير) لم تستطع القضاء تماماً على المندائية، ولكن التدوين توقف تماماً لعدة قرون ولم نشاهد التأثيرات والكتابات المندائية إلا فيما ندر.

كانت الكثرة من أهل المدائن عاصمة الفرس الساسانيين الشتوية من الآراميين والمندائيين وفيها لهم معابد عديدة، وازدادت أعدادهم في الفترة الساسانية خصوصاً شرق دجلة وضفاف الكرخ والكارون فاستوطنوا ديزفول (عاصمة بلاد عيلام)

والأهواز والخفاجية والبسيتين والمحمرة وكان أغلب سكان شوشتر من المندائيين الصابئة، كما أصبحت الطيب (طيب ماثا) أهم حاضرة لهم. وتفوقوا في صناعة الذهب والفضة والأحجار الكريمة التي كانت تجلب من مملكة آراتا في المرتفعات الإيرانية. أما القسم الأكبر منهم فقد امتهن الفلاحة وزراعة الأرض واستوطنوا الأهوار وضفاف الأنهار وقاموا بتنظيم قنوات الري في أرض السواد، وأسسوا لهم حواضر مهمة، وأغلبهم امتهن صياغة الذهب، وقد أطلق عليهم العرب تسمية أنباط أو (نبت) لكونهم ينبتون الأرض.

مذبحة شوشتر

تعرض المندائيون إلى العديد من حملات التطهير العرقي على مدى التاريخ، شأنهم شأن المانويين وغيرهم من الأقوام الذين انقرضوا من العراق، وآخرها كانت مذبحة شوشتر التي حدثت في القرن التاسع عشر حيث لم يتبق في هذه المدينة المندائية ولا مندائي واحد، ونتيجة لذلك تضاءلت أعداد المندائيين إلى درجة مخيفة وباتوا على شفير الفناء، وقد أحصاهم المستشرق بيترمان في عام ١٨٤٠ فوجد أنهم بحدود الخمسمائة عائلة أو ما يزيد قليلاً في المنتفك والقرنة وغيرها من مناطق الجنوب العراقي.



الفصل الحادي عشر

لغة ودين وحداثة

لغة دينية مقدسة

إن المندائيين لديهم لغة خاصة بهم تسمى اللغة المندائية. واللغة المندائية يرجعها أو يصنفها اللغويون (علماء اللغة) بأنها لهجة آرامية شرقية. ويقصد بالشرقية بأنها في الأصل من وادي الرافدين. وهي أقرب اللهجات إلى الآرامية الأم.

واللغة المندائية هي من اللهجات الآرامية التي بقيت محافظة على أصولها وقواعدها ومعاني كلماتها .. كونها أصبحت لغة دينية مقدسة أولاً، وكونها لغة مغلقة ثانياً. ففي العالم كله لم يبق من ينطق بتلك اللهجات سوى شعبين قليلي العدد، وهما:

١. مندائيو إيران وقليل من مندائيي العراق.

٢. أهل قرية جبعدين السورية. وهم حتى اليوم ينطقون الآرامية السريانية، وهي لغة السيد المسيح عليه السلام، وهذه القرية سكانها مسلمون، وهي قرية مجاورة لقرية صيدنايا المسيحية، فيقول أبناء جبعدين بأنهم أخذوا الآرامية عن جيرانهم المسيحيين. وتقول روايات أخرى بأنهم كانوا مسيحيين فاعتنقوا الإسلام وأبقوا على الآرامية.

وتتألف الأبجدية المندائية من ٢٣ حرفاً، وتكتب من اليمين إلى اليسار، وهي غير منقطة ولا تعرف الحركات وإنما تندرج في متن الكلمة .. وتنقسم اللغة المندائية إلى قسمين حالها حال بقية اللغات الأخرى:

١. الرطنة: وهي اللهجة المحكية أي العامية وهي متأثرة باللغات الأخرى واللهجات الأخرى مثل العربية والفارسية.

٢. الفصحى أو لغة الكتب الدينية: وهي اللغة الأصلية التي كتب بها كل التراث المندائي الديني، ولم يمسها التطور مثل باقي اللغات إلا قليلاً وذلك لانعزال المتكلمين بها .. واللغة المندائية الآن معتمد الباحثين لدراسة اللغات القديمة المجاورة الأخرى. ولا يفوتنا أن نذكر أن عدداً قليلاً جداً من المندائيين يتحدثون اللغة المحكية (الرطنة) الآن وخاصة الذين يسكنون أهواز إيران.

علاقة اللغة المندائية باللغة الآرامية

المندائية هي إحدى اللهجات الشرقية للغة الآرامية وظهرت للوجود مع الظهورالأول للآراميين منذ حوالي ثلاثة الآف سنة حين استوطنت قبائلهم على امتداد نهر الفرات وفي كل منطقة الشرق الأدنى. قام الآراميون بتأسيس إماراتهم ابتداء من الألف الأول قبل الميلاد على تخوم المدن الآشورية وامتدت مناطق نفوذهم من بيت زماني في الأناضول شمالاً إلى مملكة ميشان و بلاد العيلاميين في الجنوب، وتوالت الهجرات الآرامية نحو جنوب العراق فاتجهوا نحو بابل في عصر الكاشيين وقد تمكن أحد زعمائهم المدعو حدد أبال عديني من خلع ملك بابل وتنصيب نفسه ملكاً عليها وذلك مابين ١٠٧١ ـ ١٠٥٤ قبل الميلاد. لقد انتشر الآراميون انتشاراً واسعاً في أرجاء العراق هرباً من الضغوط الآشورية على قبائل وممالك الشمال، حتى أن المناطق المحاذية لنهر دجلة والمتاخمة لبلاد عيلام شرقاً وبلاد بابل غرباً باتت تسمى (بلاد آرام). وفي عام ٦١٢ قبل الميلاد احتل نبوبلاصر نينوى وبدأ عصر الأمبراطورية الكلدانية التي صهرت أبناء عمومتهم الآراميين في بوتقتها، فأصبح الآراميون جزءاً حيوياً من الإمبراطورية الكلدانية، وبهذا انتهى صراعهم الدموي مع الآشوريين وبدأ دورهم المؤازر للكلدانيين. وعندما سقطت بابل الكلدانية سنة ٥٣٩ قبل الميلاد على يد الفرس الأخيمنيين كان الآراميون قد فقدوا مع الكلدانيين دورهم السياسي والعسكري. ولكن النهاية السياسية للآراميين لم تكن خاتمة المطاف بل تلاها الدور الحضاري الذي قامت به الثقافة واللغة الآرامية في منطقة الشرق الأدنى بأكلملها لأكثر من ألف عام، كما يذكر ذلك الدكتور خزعل الماجدي في كتابه "المعتقدات الآرامية" . وفي سوريا قام الآراميون بتأسيس ممالك عديدة جاء ذكر معظمها في كتاب التوراة (العهد القديم). وبالرغم من الصراع الدموي مابين الآشوريين والآراميين إلا أن الآشوريين تبنوا اللغة الآرامية لغة رسمية لإمبراطوريتهم في بداية الألف الأول قبل الميلاد، وفي النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد ساعدت الإمبراطورية الأخمينية على نشر اللغة الآرامية فسهل ذلك على الفرس التعامل مع سكان بلاد الرافدين والشام وشمال الجزيرة، فانتشرت اللغة

الآرامية من الهند إلى مصر والحبشة. أما في فلسطين فصار أغلب السكان يتخاطبون بالآرامية إلى جانب اليونانية أثناء حكم البطالمة والسلوقيين للمنطقة واقتصرت العبرية على كونها اللغة الخاصة بالهيكل.

انتشار اللغة الآرامية وتصنيفاتها

يعزى انتشار اللغة الآرامية، والتي كانت تسمى " **لشان نهري** " نسبة إلى نهري دجلة والفرات، إلى عذوبة ألفاظها ومرونة أفعالها وكذلك إلى الآراميين أنفسهم الذين كانوا يمتهنون التجارة وجابوا أغلب مناطق الشرق الأوسط وحوض البحر الأبيض فانتشرت اللغة الآرامية على أيديهم انتشاراً واسعاً . لقد عثر على هذه اللغة في جزيرة الفيلة في مصر حيث دون بها العبرانيون كل وثائقهم وعقودهم الرسمية في منتصف الألف الأول قبل الميلاد ووجدت كذلك مدونة في مسكوكات آسيا الصغرى وأوامر مرازبة الفرس كما تم العثور عليها في أقاصي الصين حيث نقلها المبشرون المانويون إلى هناك خلال القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد. قام علماء اللسانيات بتصنيف اللغة الآرامية إلى لهجات غربية، استخدمت في بلاد الشام وفلسطين، وشرقية خاصة ببلاد وادي النهرين والأخيرة شملت كلاً من الكلدانية والآشورية والسريانية والبابلية والمندائية . وبالآرامية تمت كتابة كل الكتب المقدسة، فكتب بها التلمود البابلي وقسم كبير من العهد القديم مثل سفري عزرا ودانيال والإنجيل (العهد الجديد) وكتاب المندائيين المقدس كنزا ربا وإنجيل ماني وكتاب الأفستا ـ كتاب أقوال زرادشت، وهذا بحد ذاته يثير تساؤلاً غريباً عن قدسية هذه اللغة. وقد أخطأ بعض المستشرقين حين أطلقوا على لغة الكتاب المقدس (كلدانية) لأن الكلدان كانوا فئة من شعب بابل، يقول العهد القديم: " فأمر الملك (نبوخذ نصر) بأن يستدعى المجوس والسحرة والعرافون والكلدانيون ليخبروا الملك باحلامه ... فكلم الكلدانيون الملك بالآرامية ..." (دانيال ٢ :٢ ـ ٤) . والآرامية هي اللغة التي تكلم بها كل من يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) والسيد المسيح (عليهما السلام).

لقد استمرت الآرامية لغة رسمية للعراق فترة طويلة تعدت الألف سنة دونت بها كل نشاطات الامبراطورية آنذاك بما فيها الآداب والفنون مثل أعمال الفيلسوف العراقي أحيقار الحكيم، كما أن المفكر والمؤرخ البابلي الكبير بيروز صاحب الكتاب الشهير بابيلونايكا كتب كل مؤلفاته باللغتين الآرامية واليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد. ومازالت الذاكرة العراقية تحتفظ لنا بالعشرات من المفردات والتعابير الآرامية إلى يومنا هذا مثل " **مسگوف** " وحريشي و اسليمة وبلابوش و كرزات ونياحة وبزخ وانثبر و "**طرگاعة**" وصيغ الأفعال مثل صعديت و أكليت وشربيت ولعبيت ومئات الأمثلة غير ذلك.

المندائية انتشرت بشكل كبير في بابل والمناطق الممتدة جنوباً إلى مملكة ميشان وبلاد عيلام في القرن الأول الميلادي. لقد تبنى كل من العلاميين والميشانيين الأبجدية المندائية في القرن الثاني الميلادي لمرونتها وقوة تعابيرها وأصبحت اللغة التي دونت بها الكثير من الوثائق ونقشت حروفها على المسكوكات المعدنية في تلك الفترة وفي الوقت ذاته غدت المندائية، التي اتخذت من الارتماس (التعميد) بالماء رمزاً لها، عقيدة آمنت بها مجاميع كبيرة من الناس سواء في بلاد الرافدين أو حوض الأردن عندما كان النبي يحيى يكرز في البرية ويحارب الطغيان بينما هو يعمد الجموع التي تنضم لمسيرته . ويشيرالمستشرق الألماني الكبير مارك ليدزبارسكي Lidzbarsky .M، الذي قام بترجمة كتاب كنزا ربا المقدس إلى الألمانية في مطلع القرن الماضي إلى ذلك بقوله:

"من المسلم به أن الانقلاب العظيم الذي أحدثه **الدين المندائي** على الصعيد المذهبي لم يتم في عشية وضحاها . لقد استطاع هذا الدين أن يثبت جدارته وأن يتوطد ويغدو عقيدة لفئات واسعة من البشر . لكن نحن نفتقر إلى إمكانية النظر في الأحداث التي مهدت لهذا الدين منذ البداية ." ومن المعلوم فإن الصابئة المندائيين كانوا منتشرين بكثرة في العراق وخصوصاً المناطق الوسطى والجنوبية من العراق. وقد استمر الصابئة في تواجدهم على ذلك الجزء من جنوب بابل ومملكتي ميشان وعيلام بكل حيوية إلى مابعد الفتح الإسلامي بأكثر من ثلاثة قرون وقد أسماهم أبو فرج النديم المتوفى سنة ٤٣٨ هـ بالمغتسلة أو "الصابئة" حين قال :

"وهؤلاء القوم كثيرون بنواحي البطائح، وهم صابئة البطائح يقولون بالاغتسال، ويغسلون جميع ما يأكلونه، وهم عامة الصابئة المعروفين بين الحرانيين."

كما أطلق عليهم ابن النديم أيضاً تسمية " الرشيين" و "الكوشطيين"، و(الكوشطا) هي عهد الصابئة المقدس.

شلاما ناسخة نصوص الكنزا ربا

أول شخصية عادية تذكر في تاريخ المندائيين هي امرأة اسمها (شلاما بنت قدرا)، وهذه المرأة، التي تسمى باسم أمها / أو معلمتها في الكهانة، هي أقدم امرأة مندائية ورد اسمها على أنها ناسخة النص المعروف (بالكنز العظيم) كتاب المندائيين المقدس الذي يتألف من قسمين: (يمين يسار).

- والجزء الأيسر بشكل نصوص شعرية يتناول صعود النفس إلى عالم النور..

و(الكنزا ربا) أو الكنز العظيم هو أقدم نص مندائي.

وتعود شلاما هذه إلى سنة ٢٠٠ بعد الميلاد .

زواري أعظم النساخ

فالمندائيون قاموا بجمع تراثهم وأدبهم الديني وترتيبه وحفظه وهذا واضح في الجهود المكثفة التي قام بها الناسخ (زواري) في هذا المجال وهو أعظم النساخ لديهم.

ناسخون ومترجمون بكل اللغات

أصبح المندائيون في العصر الساساني الكتبة والنساخ الرئيسيين للوثائق الرسمية بكل اللهجات السائدة، واهتموا باللغات فأصبحوا همزة الوصل بين الأقوام العربية والآرامية وبين الفرس الساسانيين ومن ثم الجيوش اليونانية التي غزت العراق في القرن الرابع قبل الميلاد واتخذت من بابل عاصمة لها تحت قيادة الإسكندر المقدوني، وقاموا بترجمة أساطير وعلوم بابل إلى لغة الإغريق .

تضاؤل دور اللغة المندائية

لقد كانت اللغة المندائية ـ والمندائية بالمناسبة تعني العرفانية ـ لغة العلم والمعرفة ولغة التداول اليومي جنباً إلى جنب مع اللهجات الأخرى مثل النبطية والبابلية الكلدانية (القريبتين جداً من المندائية) إلى أن أخذت بالضعف والانكماش التدريجي أمام اللغة العربية التي هيمنت على العراق بعد الفتح العربي الإسلامي في القرن السابع الميلادي، فتخلى عنها المندائيون في العراق تماماً لصالح اللغة العربية لأسباب عديدة ومن أهمها الاضطهادات الدينية والعرقية، وأصبحت تقتصر حالياً على رجال الدين المندائيين الذين يؤدون بها الطقوس الدينية أي لغة طقسية أو مايسمى بالأنجليزية liturgical language. وبالتأكيد، إذا ما استمر الحال كما هو عليه الآن فستنقرض هذه اللغة في المستقبل القريب كما تنبأت بذلك الليدي دراور التي درست اللغة المندائية وترجمت كتبهم وعاشت معهم لفترات طويلة. إن الهجرة التي فرضت على المندائيين في العقدين الأخيرين وانتشارهم في المهاجر يشكل تهديداً خطيراً آخر للغة المندائية والتراث المندائي، حيث لا توجد مدارس تدرس المندائية ولامعاهد دينية تدرس الطقوس والعبادات لأبناء هذه الطائفة. إن بقية الطوائف مثل الطوائف الكلدو آشورية والسريانية والآرامية تقاتل على شتى الصعد من أجل النهوض بلغاتها فحري بالمندائيين اتباع نفس هذا النهج بما يؤدي إلى حفظ لغتهم وتراثهم من الاندثار والضياع .

الأدب المندائي

تنتمي اللغة المندائية إلى نفس المجموعة من اللغات السامية التي تنتمي اليها الأكدية والعبرية والعربية والآرامية والفينيقية والكنعانية . والمندائية هي اللهجة الآرامية الوحيدة التي حافظت على نقاوتها اللغوية من الألفاظ والتعابير الخارجية خاصة من الألفاظ العربية، وتمتاز بسهولة تعلمها وبمرونة أصواتها وعذوبة ألفاظها، ومازالت اللغة المندائية لغة الأدب ولغة الطقوس لدى المندائيين في العراق والعالم

بالإضافة إلى أنها لغة التخاطب لدى صابئة إيران. وتشترك المندائية في كثير من مفرداتها مع اللغة العربية ويمكن تمييز ذلك بدون صعوبة تذكر، كما أنها تحتوي على الكثير من المكونات السومرية مثل ملواشا (الاسم الفلكي) واشكندا (مساعد) وكذلك المئات من المفردات الأكدية مثل ديمتو (دمعة) ودالو (ارتفع) وهبالو (خوف) وهشالو(صائغ).

وهي لغة ذات انسيابة شعرية خاصة تعبر عن **الأفكار الثيوصوفية** التي يمتاز بها الأدب الديني المندائي.

الأبجدية والقواعد المندائية

للمندائية أبجديتها الخاصة بها التي تنفرد بها من حيث شكل الحروف ويطلقون عليها الـ (آ ـ با ـ گا ـ دا)، لكن قواعد الصرف والنحو تخضع لنفس المقاييس المتبعة في اللغة الآرامية بشكل عام وهي تعتمد في كتابتها على الحروف الصحيحة أكثر من اعتمادها على حروف العلة التي يعبر عنها بعلامات مقتبسة من الأبجدية نفسها كما في اللغات الأوربية . وأغلب كلماتها ترجع في اشتقاقها إلى أصل ثلاثي الحروف، كما أنها تكتب مثل جميع اللغات السامية من اليمين إلى اليسار، والحرف المندائي له قدسية خاصة لدى المندائيين وتكمن في طريقة رسمه رمزية النور والصراع مابين الخير والشر، كما أن لهذه الحروف قيماً عددية فحرف الألف قيمته واحد والباء اثنان والدال خمسة، وهكذا. واللغة المندائية تتكون من اثنين وعشرين حرفاً وتخضع لأبجدية (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت) وهي خالية من الروادف (ثخذ، ضغظ) . لقد تعرضت اللغة المندائية لإهمال كبير خاصة بعد الطاعون الكبيرالذي أصاب العراق سنة ١٨٣١م وحصد أرواح مئات الألوف من العراقيين ومن ضمنهم أغلب رجال الدين المندائيين ومن الفيضان الذي تلا ذلك الطاعون. ولكن جهود بعض الغيارى آنذاك من أفراد الطائفة المتنورين أدت إلى جمع ما سلم من الكتب والدواوين بشكل كامل تقريباً.

اللغة المقدسة

إن كافة الطقوس والصلوات تتم باللغة المندائية ـ ولا يجوز بغيرها ـ باعتبارها لغة العبادة ولذا فهي لغة مقدسة كتبت بها صحف آدم الأولى وبقية كتبهم الدينية. إن النصوص المندائية هي الأكثر نقاوة من ناحية لغوية ولم تتعرض للعناصر الدخيلة interference ولذا فهي تقدم اللغة الآرامية بشكل أفضل من لغة التلمود . لقد دونت المخطوطات المندائية في بابل وكتاب كنزا ربا قد كتب قبل قدوم الإسلام إلى العراق بفترة طويلة، وخلف لنا المندائيون القدامى مخطوطات ودواوين ولفائف وتعاويذ طلسمية مكتوبة على أشرطة رصاصية وعلى قحوف الأحراز، وأغلب هذه الدواوين والمخطوطات مكتوبة على أدراج طويلة بشكل ملفت للنظر تتخلها رسوم لشخوص كونية رمزية لها أسلوب خاص بفن الرسم الديني المندائي.

لغة مهددة بالانقراض

اللغة الجميلة التي استمرت منذ حكم الملك البابلي العظيم نبوخذ نصّر إلى يومنا هذا هي فعلاً مهددة بالانقراض، ولم تحظَ بالاهتمام الإعلامي اللازم باعتبارها اللغة الغنوصية الوحيدة التي قدر لها البقاء بالرغم من كل الكوارث التي ألمت بها.

دور الصابئة في الترجمة

لقد قام الصابئة بدور كبير في النقل والترجمة في العصر الإسلامي فنقلوا الكثير من تراث مدرستهم العلمي والفلسفي إلى العربية وترجموا أمهات الكتب والمؤلفات اليونانية فأضافوا إضافة مهمة للتراث العربي، كما ساهم الصابئة فى نقل العلوم اليونانية إلى العربية وكل هذه العلوم سواء الفلك أو الرياضيات أو الطب وغيره، وكانوا هم حلقة الوصل بين الحضارة الإسلامية والحضارات التى سبقتها وقدموا خدمات جليلة للعراق على مدى العصور.

المندائيون الإيرانيون أكثر تمسكاً بلغتهم

لقد دأب المندائيون في خوزستان إيران (الأهواز) على الاستمرار بالتحدث بالمندائية فيما بينهم إلى يومنا هذا لكونهم محافظين أكثر - إن جاز التعبير - من مندائيي العراق، فهم أكثر تمسكاً من إخوتهم في العراق بالطقوس وبالتالي اللغة. لكن مندائية العراق تتحدث عن لغة مغايرة تنتشر في إيران، وتسمى الرطنية، وهي مزيج من الفارسية والعربية والآرامية.

آخر من تبقى من الغنوصيين في العالم

لقد سلط عالم اللسانيات الكبير رودولف ماسوخ R. Macuch - الذي ساهم في تأليف القاموس المندائي مع الليدي دراور - الضوء على أهمية كل من اللغة والعقيدة المندائية بقوله: "إن موضوع تطور العقيدة المندائية كان وما زال السؤال الرئيسي الذي يواجه الباحثين في تاريخ الأديان، وهذه معضلة لايمكن حلها على الإطلاق مالم تتم دراسة الموروثات الفكرية والأدبية المندائية وترجمتها وتقديمها بالشكل الصحيح ."

أهمية اللغة المندائية

إن أهمية اللغة المندائية تكمن في مسألتين أساسيتين :

أولاً: إن المندائية هي اللغة العرفانية - الغنوصية Gnostic الوحيدة التي استمرت إلى يومنا هذا نتيجة لمأثورها الديني الضخم.

ثانياً: إن الكتب المندائية تشكل أكبر مكتبة غنوصية تم الحفاظ عليها من قبل المندائيين وصانوها من التلف والضياع .

إن اللغة المندائية هي اللغة الوحيدة القادرة على تقديم الفكر العرفاني - الغنوصي بشكله الحقيقي لما تحويه من بلاغة التعبير وثراء المعاني والصور. لقد صان البعد الجغرافي للمندائيين وانعزاليتهم في بيئتهم الخاصة أدبيات المندائيين من

التأثيرات الهلنستية ، مما جعل المندائيين أقل عرضة لإغراءات ملاءمة أفكارهم بما يتوافق مع الفكر الغربي (اليوناني) الذي ساد لفترة طويلة منطقة الشرق الأوسط بعد مجيء الإسكندر الأكبر، ولهذا يعتبر الأدب المندائي الأدب الوحيد النقي من تلك التأثيرات ولهذا أهمية كبيرة لدى المؤرخين وعلماء اللغات والأديان. إن الأدبيات المندائية تتمتع بمثيولوجية فريدة مكتنزة بالصور البلاغية الشعرية الغير موجودة في باقي المعتقدات ولهذا فهي اللغة الوحيدة التي من خلالها يستطيع الدارسون النفاذ إلى الفكر والمعتقد الغنوصي العصي على الفهم أحياناً.

وعلى أهمية كل من اللغة المندائية والتراث المندائي يؤكد العالم الألماني الكبير ثيودور نولدكه N?ldke بقوله:

" إن دراسة العقيدة المندائية والأدبيات المتعلقة بها ستؤدي بنا إلى فهم أكبر للمعتقدات الغنوصية التي انقرضت منذ زمن بعيد وإلى فهم تأثير المندائية على من تزامن معها أو من جاء بعدها من معتقدات وأديان."

أغلب النصوص محاط بغموض طقسي خاص، كما هو الحال مع كافة النصوص الغنوصية.

المفاهيم اللغوية الموجودة في تلك النصوص قد مضى عليها زمن طويل وليس من اليسير التوصل إلى تفاسير لها ونحن بعقلية القرن الحادي والعشرين . إن المترجم يضيع أحياناً في متاهة صيغ الأفعال والإعادات المتكررة للجملة الواحدة مع تغير مواقع الكلمات، مثال على ذلك:

"عند بوابة منزل ابدوني /

وضع عرش للجني /

للجني وضع عرش /

وأمامه وضع إناء /

إنه ينادي على السحرة قائلاً: /

تعالوا، اسقطوا في الإناء /

تعالوا في الإناء اسقطوا /

تعالوا كونوا على بينة من أنفسكم /

على هذا ماكنتم أنتم قد اقترفتم في العالم ."

اللغة المندائية مدونة بشكل نص متصل غير منفصل بنقاط أو علامات تشير إلى بداية ونهاية الجملة . والكثير من هذه النصوص مكتوب بطريقة مشوبة بالغموض الخاص باللاهوت الخلاصي للنفس (النشمتا) soterioligy بحيث لاتتيح لمن هو غير مخول بفهمها ، كما أن العديد من الطقوس يتم تناقلها شفاها من جيل إلى جيل بين رجال الدين وهذا يشكل عائقاً آخر نحو فهم هذه النصوص. وإن المخطوطات المندائية تعود إلى حوالي الفي سنة.



Waylon © Aziz Sbahi, Ottawa 1992

مقارنة اللغة المندائية بالعربية
للباحثة والأديبة ناجية المراني

عني المستشرقون باللغة المندائية عناية خاصة ، وأقدم ما ألف عنها هو كتاب المستشرق الألماني (نولدكه) الذي نشره عام ١٨٧٥ تحت عنوان Mandaische Grammatik ، وقد اعتمد في دراسته المندائية على الأدب دون الاحتكاك المباشر مع أهلها وبذلك وردت ثغرات كانت سبباً لأسفه الذي أعلنه بعد ذاك. ومع ذلك فإن كتابه بقي معتمداً من قبل المستشرقين الذين عاودوا المحاولة بعد مرور قرن على صدور كتابه فقد ألف المستشرق (رودولف ماكوش) كتابه الذي نشر عام ١٩٦١ تحت عنوان : Handbook of Classical and modern Mandaic،

وقد اعتمد فيه على كتاب (نولدكه) من جهة وعلى الاحتكاك المباشر مع الصابئة المندائيين من جهة أخرى كما إن (ماكوش) نفسه اشترك مع السيدة (دراور) في تأليف قاموسها المعروف Mandaic Dictionary وهو قاموس مندائي ـ إنجليزي. هذا بالإضافة إلى ما ورد عن اللغة المندائية ضمن المؤلفات والبحوث الأخرى التي تناولت الصابئة المندائيين بصورة عامة.

إن الأسباب التي دعت المستشرقين إلى الاهتمام باللغة المندائية، كما يقول (أوليري)، كثيرة، وأهمها كون تلك اللغة ذات فائدة لدراسة اللغات السامية الأخرى، وذلك لاحتوائها على قدر عظيم من الأدب من ناحية، ولكون عزلتها أبعدتها عن التأثر باليونانية أو غيرها من اللغات. ويضيف (ماكوش) إلى ذلك إعجابه بمرونة النظام الصوتي لهذه اللغة، علاوة على وجود تراث صوتي لها، إذ مازالت لغة أدب وكلام في الوقت ذاته، مما يسهل تحليلها ودراستها دراسة دقيقة.

إن الدراسات والبحوث التي أجريت على اللغة المندائية حتى الآن كانت من قبل مستشرقين أوربيين وقد بنيت على أساس مقارنتها مع اللغات السامية الأخرى على العموم، وبعبارة أخرى فإن المندائية لم تقارن من قبل كاتب عربي مع اللغة العربية مقارنة مباشرة. ويجد الباحث العربي الذي يتخذ من لغته خلفية للبحث تشابهاً كبيراً بينها وبين المندائية مما يتبين بوضوح كون اللغتين انحدرتا من أصل واحد، ، فتطورت العربية ونمت واكتملت، بينما انزوت المندائية فبقيت مقصورة على المخطوطات القديمة وعلى التفاهم العائلي المحدود. فالأبجدية المندائية تتفق والأبجدية العربية، تلك الأبجدية الموجودة في اللغات السامية وهي: (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت) إلا أنها خالية من الحروف التي أضيفت إلى العربية وسميت الروادف. وتلك الحروف المندائية هي أقرب إلى صورة الحروف العربية من غيرها من اللغات السامية الأخرى، فهناك حروف كثيرة تطابق صورتها صورة الحرف العربي ومنها: (الباء والدال والواو والحاء والطاء واللام والنون والسين والصاد والعين). مما يفاجأ به الباحث العربي حقاً هو كثرة المفردات المتماثلة لفظاً ومعنى بين اللغتين، بحيث إن قطعة واحدة من الأدب المندائي الكلاسيكي تشتمل على حوالي مائتي كلمة، لا يوجد بينها سوى بضع كلمات غريبة عن اللغة العربية.

ويستطيع القارئ العربي أن يفهم المندائية دون اللجوء إلى القواميس وذلك شريطة أن يكون لديه إلمام بأنواع الإبدال والقلب والحذف والإدغام، فهنالك مثلاً إبدال بين السين والشين، فنقول في المندائية (شلم) بدل سلم، ، و(أشم) بدلا من اسم ويحصل هذا في العربية فنقول (رشم) و(رسم) بمعنى واحد. كما إن هناك إبدال بين الحاء والخاء والهاء فنقول في المندائية (هيا) بدلاً من حيا ونقول (أها) ونقصد أخا، ومثل هذا وارد في العربية أيضاً فهنالك (رحم) أو (رخم) أو (رهم) وكلها بمعنى الرحمة. وهنالك في المندائية إبدال بين العين والهمزة، فنقول (أين) بدلاً من عين ونقول (صبا) بدلاً من صبغ وتكون كلمة صابئة وصابئين وصابئون هي نفسها: صابغة وصابغين وصابغون و (الصبغة أو الصباغة) هي أهم شعائر التطهير عند الصابئة. أما في العربية فيحصل الإبدال بين الهمزة والعين فنقول (قراعة) بدلاً من قراءة و(مسعلة) بدلاً من مسألة. ويحصل في المندائية أن تحذف العين أو الغين فنقول (أبي، نبي) بمعنى: (أبغى نبغي) ومثل هذا الاستعمال موجود في جنوب العراق، كما نقول في المندائية (دا) بدلاً من دعا ونقول (مندا) أي من (دعا) لمعرفة الله، ومنها أخذت كلمة مندايي ومندائي وسمى الفرد الصابئي (داي) وأصلها (داع) لله وعارف.

مصطلحات لغوية مندائية

منداد هيي

منداد هيي ـ اسم من أسماء الخالق،

نور الله ـ نور الحي الذي به يتجلى.

ومندا تقابلها ـ ناوس ـ في اللاتينية بلغة إفلوطين، ويرى الفيلسوف برتراند رسل أن صعوبة ترجمتها تكمن في أن للكلمة معنى روحياً ومعنى عقلياً ولذلك فإن ترجمتها إلى ــ معرفة ــ يفقدها المعنى الروحي ــ تاريخ الفلسفة الغربية ــ يتشابه رأي رسل مع رأي إخوان الصفاء.

مسختا ـ مسقتا

مسختا ـ مسقتا تعني الصعود ، وقداس المسقتا طقس يقام من أجل اتحاد ـ لوفا ـ روح ونفس المتوفي حتى يصبحا من طبيعة أو كينونة ـ كنيانا ـ واحدة ليحلا في نظير الإنسان ـ دموثا ـ في عوالم النور. ومفهوم النظير مفهوم سومري يتكرر في ملحمة جلجامش ولكن بشكل بدائي، بل إن رحلة جلجامش إلى أوتونوبشتم مشابهة درامياً لرحلة الروح المندائية.

أنا والإخوان

أنا والإخوان ـ تعني المشارك في القداس والمساعدين.الأطياب ـ طابثا ـ تشير إلى الأكوام الصغيرة للطعام الطقسي الموزعة على طرايين ـ مناضد ـ الكهان الطينية.

مفهوم الأجر

مفهوم الأجر ـ أجرا ـ المتكرر في المندائية مماثل ومشابه لغة ومعنى لمفهوم الأجر في الإسلام والوارد في القران الكريم.

طعام الذكر

طعام الذكر ـ هو اللوفاني أو طعام الاتحاد لوفا ـ والف يوالف يؤالف ـ من أجل الموالفة بين روح ونفس المتوفي.يرى د.بيتر نوفاك، عالم النفس الأمريكي، أن مذهب ثنائية الروح والنفس واتحادهما أصبح مدعوماً بالاكتشافات الحديثة في علم النفس والباراسايكولوجي، ويعتبر المندائيون من النحل القليلة جداً المحافظة على هذا المذهب.

اهتمام بكتابة التاريخ

الأمور التاريخية التي وصلتنا عن طريق الكتب والمخطوطات المندائية، هي ضئيلة ولا تشبع فضول الباحث. ولكن في نفس الوقت من المرفوض القول بأن

المندائيين لا يهتمون بكتابة تاريخهم أو التاريخ بصورة عامة. فإن محاولاتهم من خلال ما وصلنا عن طريق الرواية الشفهية **وديوان حران كويثا** (وخاصة إذا خلصنا الأخير من بعض التزويقات والخيالات والتي تتشابه مع بعض الكتب التاريخية القديمة) وكذلك **الإزهارات** (وهي عبارة عن ذيول تاريخية وردت في آخر الكتب والدواوين المندائية) ما هو إلا إثبات واضح وصريح من تمكن المندائيين من كتابة ونقل التاريخ الأمين .. ولكن هنالك الكثير من الكتب المندائية، وربما التاريخية قد فقدت أو مخبأة لحد هذه اللحظة! أو ربما أتلفت عمداً أو عن غير قصد أو لم تكتشف لحد الآن .. لأننا لحد هذه اللحظة لا نمتلك تقريراً كاملاً وموثقاً لعدد الكتب والمخطوطات المندائية .. ولا ننسَ محاولة البعض التخلص من كل ما يتعلق بالمندائية وبشتى الوسائل. وذلك لأغراض ربما تكون سياسية في عصر معين أو دينية أو اجتماعية في عصر آخر.

فعلى قلة الكتب والمخطوطات المندائية الموجودة في حوزتنا الآن، أو المخبأة والتي لم ترَ النور لحد هذه اللحظة، والتي تتحدث عن التاريخ المندائي، لا يمكن القول بأن ليس هناك تاريخ مندائي أو أن التاريخ المندائي ليس ذا أهمية في تاريخ المناطق التي سكنها المندائيون قديماً! وبنفس الوقت لا يمكننا القول بأن المندائية كانت لها تاريخ معقد وعميق كالحضارة اليونانية أو غيرها.

الأقلام المندائية الجديدة

كثيرون هم الكتّاب والباحثون المندائيون الجدد. وقد تيسّر لهم في هذه الفترة الزمنية الإعلان عن هويتهم وعقائدهم دون أي قلق أو خوف. ونلاحظ في نتاجاتهم بعض الصفات:

- تمكّنهم من اللغة العربية وقدرتهم على فنون الكتابة كأبناء العراق الآخرين.

- معرفتهم بعلوم الدين الإسلامي وشرائعه وطقوسه ومقدرتهم على البحث في القرآن الكريم وفي شروحاته وتفاسيره.
- يستخدمون مصطلحات إسلامية كثيرة جداً لدرجة أنه يخيل للقارىء أنهم مسلمون.
- مزجوا بين مصطلحات لغوية دينية إسلامية وبين أخرى مندائية، فأصبحنا أمام لغة مصطلحات دينية مشتركة، وهذه العبارات نجد الكثير منها في كتابهم كنزا ربا.لكن مع مرور الزمن نشأت مصطلحات أخرى جديدة مشتركة. كعبارة (الحي العظيم.. وغيرها).
- قسم كبير من هؤلاء المندائيين يسعون لتجديد الفكر المندائي، والمجتمع والعادات، ويسعون للقيام بنهضة دينية مندائية جديدة، أو مايمكن أن نطلق عليه وصف ثورة وهابية مندائية. وهم يمتلكون مساحات من حرية التعبير عن آرائهم. فالمندائية المعاصرة تتقبّل النقد البنّاء . ولاتمانع من الأخذ بالمفيد منه.

إن ظاهرة نشاط الأقلام المندائية، وبروز عدد من المثقفين للانخراط في صفوف هذه الظاهرة وإعطائها مقومات التأثير، ووجود قراء ومتابعين في الصحافة العراقية والعربية والمواقع الالكترونية والفضائيات التلفزيونية... الخ.

ومن ابرز هذه الاصوات التي وجدت لنفسها مساحة مرموقة ومتماسكة في هذه المرحلة الحرجة، هو الحقوقي الأستاذ عربي فرحان الخميسي، الذي شكل منبراً ثقافياً منطلقاً من اعتبار الثقافة العراقية تمر الآن في أزمة هوية وعلى الجميع القيام بصوغ الهوية الوطنية وتفعيل دور المثقف العراقي بشكل عام والمندائي بشكل خاص في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لأن هذا المثقف حسب اعتقاد عربي فرحان يمثل ضمير المجتمع، وأيضاً ضمير المجموعة التي ينتمي إليها أينما كانت. وقد سعى هذا الرجل من خلال مواقفه الملتزمة في تنشيط ودعم اتحاد الجمعيات المندائية منذ بدايات تأسيسه، وأصبح عضواً فاعلاً في سكرتارية الاتحاد، ليأخذ مسؤوليته في دعم وإسناد الجوانب الحقوقية والقانونية في عمل الاتحاد الذي ينشط ويتسع يوماً بعد آخر. وساهم الأستاذ أبو رغيد وبشكل فعال في تأسيس رابطة

الكتاب والصحفيين والفنانين الصابئة المندائيين، بهدف خلق تجمع يهدف إلى تكوين وإنشاء مركز ثقافي مندائي تنويري.

مقالة دينية مندائية

((من يقدم أن يفقأ عينيه لن يجد من يكون له شافياً))

من غير المعقول أن نقرأ هذه الجملة دون أن تثير فينا عدة تساؤلات ؛ فما هي كغيرها من النصوص التي نقرأها ونشيح عنها ، وما هي بغير ذات بال ولا هي مما لليس له معنى أو هدف تسعى إليه، بل إن المعنى الذي تستهدفه واضح ؛ فهي تدعو البشر إلى التّروي والتعقّل وعدم التهورّ والتمسّك بأهداب الفضيلة والعقل السليم . البشر ـ ونحن منهم ـ لا يحبون من يسديهم النصح والإرشاد و يعتبرون ذلك منقِصاً من إدراكهم وتقليلاً من منزلتهم أمام الآخرين، بل نراهم أحياناً كثيرة يسعون جاهدين في البحث عمّا يؤذيهم ويسيء إليهم ؛ فنحن لا نحسّ بالنعمة التي بين أيدينا حتى نفقدها وعندها فقط نشعر بقيمتها وبأننا قد أسأنا تقييم ما لدينا ، بل إننا لا نكتفي بما لدينا بل نتطلع بعيون جاحظة، جائعة إلى ما في يد الآخرين و كأننا قد حرمنا ومنذ أجيال، بل إن البعض منّا ورغم امتلاء خزائنه يسعى وبكلِّ ما أوتي من عزمٍ إلى تكديس ما لا حاجة له به ؛ فالجوع القديم ما زالت مرارته في فمه كطعم الحنظل يحاول ودون وعي منه أن يبعد شبح الماضي من خياله دون جدوى . كما قلت سابقاً البشر لايحبون من ينصحهم، ويتصرفون ضده بما لا يمكن التكهن به .

نحن لسنا بالأنبياء ولسنا ممن يقرأ الغيب ونرى ما في رؤوس الآخرين من أفكار بمجرد أن نتطلع إلى عيونهم لنعلم ما يضمرون وبم يفكرون !

كلٌّ ما مرّ بنا يمكن تحمّله والتعامل معه لكن ـ وهنا تتدخل هذه اللكن لتغيّر المعاني وتعكس المواضيع ـ ماذا يحدث لأحدنا لو استمع لأصوات الآخرين الذين يريدون له الخير !

نجـد مـن النص السابق المثال الناصع لـما نـحن بصـدده فهـو يـدعـونـا بـلا مواربـة إلى أن نتبصّـر وأن نتعـظ كـيلا نسقـط في الأنـا الأعلـى وأقصـد بهـا الأنانيـة ،ومعها نشـطّ عن سواء السبيل .

ترى أيجرؤ أحـدنـا علـى أن يفقـأ عينـي نفـسه واللتين بهما نرى ونـمـّيز ؟

سـؤال لا إجـابة حـاضرة فـي ذهنـي، ولـن أكـون مستعـداً للإجابـة عـن هـذا التساؤل الصعب الإ فيما قلتـه سـابقـاً ، وأعتقد جازمـاً أن مـا طرحته آنفـاً مـا هـو إلا مـا كـان يـدور بذهــن نبينــا الكـريم يحيـى {ع} بـل إنـه يفكّـر في أكـثر مـن هـذا ، حيث نقـرأ {ويلٌ لـلأسياد المتسلطيـن الطلقاء الذين لا يقدّمـون أعمالا" حسنـةً إن مصيرهــم النـار الموقـدة} ❖٢ فهــو هنــا -عليـه السـلام- يـضع إصبعـه علـى لـبِّ الموضوع ويشـخِّص الداء، ويشير إلى جوهر ما يقلقـه ويقـضّ مضجعه ويؤرقـه ؛ فهـو —ع- لم يكتفِ بأن شخصّ الداء بل إنه وصـف، فيقـول عـليه أفضـل السـلام {مـن يـرزق ولـم يعطِ فإنه يظـلّ باحثـاً عـمّـا حولـه دون جــدوى. ويـكـون مصـيره الـزّوال وسيحـاسب يـوم الحـساب} ❖٣ بـل إنـه (ع) يشـير إلى أكـثر مـن ذلـك فيقـول{مــن أضـاع الذهـب الثمين يبحث عن الفضة دون جــدوى} ❖٤

فهل بعـد هــذا سـأجـد مـا أقـول أ و أكـتب وإلا فسـأكـون ❖كمــن يفـسّـر بعـد الجـهد المـاء بالمـاءِ❖

والحـي المزكّـي للأعمال والنيات

مشاهير الصابئة

ومـن ابـرز رمـوزهم، العـالم الكـبير الـدكتور عبـد الجبـار عبـد اللـه (١٩١١-١٩٦٩)، ابـن العـالم الروحـي الكـبير الشيخ عبـد اللـه، والـذي كـان(عبـد الجبـار) استاذاً ومرجعاً عالمياً في علوم الأرصاد والفلك، وعن الإعجاز الذي تميز بـه الـدكتور عبـد الجبـار، كونـه أول طالـب في أمريكـا يحصـل علـى شـهادة الـدكتوراه مـن الجامعات الأمريكية في مدة قياسية وهي سنة وثمانية أشهر فقط، وتجـد الآن منهم

العديد من العلماء وأساتذة الجامعات الذين يحتلون المناصب العالية في الجامعات البريطانية والأمريكية ودول أخرى .

أما عن التواجد المندائي أو الصابئي في كندا ، فإن الغالبية منهم موجودون في مقاطعة أونتاريو ، ولهم جمعيتهم الخاصة والتي تدعى الجمعية المندائية في كندا ومقرها مدينة تورونتو.

الشاعرة لميعة عباس

من أشهر شعراء المندائيين الشاعرة العراقية لميعة عباس عمارة والتي ولدت في بغداد ، نشأت في العمارة وتقيم حالياً في مدينة سان دييغو في ولاية كاليفورنيا / الولايات المتحدة. عضوة الهيئة الإدارية لاتحاد الأدباء العراقيين في بغداد ١٩٥٨ - ١٩٦٣ عضوة الهيئة الإدارية للمجمع السرياني في بغداد. نائب الممثل الدائم للعراق في منظمة اليونسكو في باريس ١٩٧٣ - ١٩٧٥. مديرة الثقافة والفنون / الجامعة التكنولوجية / بغداد.

في عام ١٩٧٤ منحت درجة فارس من دولة لبنان. ذكرت في موسوعات عالمية ضمن النساء المشهورات في العالم. لها سبعة دواوين شعرية مع ديوان (بالعامية) والعديد من المؤلفات وترأس حاليا تحرير مجلة (مندائي) التي تصدر في أمريكا.

الشاعر الكبير عبدالرزاق عبدالواحد

الملقب سابقاً ، بشاعر صدام حسين وهو من ابرز وأهم فحول شعراء العراق ، وهو الذي أشرف على لجنة التدقيق والسلامة الفكرية لكتاب كنزاربا. وهو يعيش اليوم في دمشق.

قام الشاعر بعمل كبير لم يسبقه إليه أحد ، فبفضله صار للمندائية كتاب ديني مهم باللغة العربية. وأصبح بإمكانهم قراءته وفهم معانيه بسهولة... فهو المترجم الحقيقي لكتاب كنزا ربا إلى العربية. وقد تعمد في هذه الترجمة أن يجعل العبارات المندائية مشابهة لآيات القرآن الكريم.

فهذا التشابه الذي نلمسه بين آيات كنزا ربا والآيات القرآنية الكريمة ماهي إلا من صنع المترجم. فثمة تشابه بالأفكار والمعاني، لكن هذا التشابه لايبرر صنع جمل مشابهة لآيات القرآن الكريم (حسب رأينا).

وفي الحقيقة فإن غير المسلمين يعتبرون القرآن الكريم محور الكتب السماوية. ولذلك يأتون إلى تشبيه كتبهم به. فقد قامت من قبل كل من البهائية والأحمدية (القاديانية) بوضع كتب دينية صاغتها بطريقة مشابهة جداً لآيات القرآن المبين.

الدكتور عبد الجبار عبد الله

نشر ثلاثة وثلاثين بحثاً إضافة لأطروحة الدكتوراه وجميع هذه البحوث ما يطلق عليه بالوزن الثقيل قد أنجزها في فترة زمنية قصيرة، حصل بموجبها على لقب الأستاذية وشهادة (D.Sc) وتوفي عبد الجبار وعمره ثمانية وخمسون عاماً. إنجازاته العلمية قد تمت بوقت قصير فعلاً وحسب ما ذكرته مجلة الأنواء الجوية الأمريكية فإن سر نجاحه، إضافة لموهبته يعزى إلى أنه قد خلط بين الرياضيات والفيزياء والأنواء الجوية فبعد حصوله على البكالوريوس من الجامعة الأمريكية عمل في دائرة الأنواء الجوية في مطار البصرة ثم أكمل الدكتوراه في جامعة (أم آي تي) حيث أضاف الفيزياء الرياضية في دراسة الموجات الجوية.

الصابئة اليوم

الصابئة في أيامنا هذه أكثر انفتاحاً على المجتمعات الاخرى فقد آثر مثقفوهم إحداث ما أشبه بالثورة الثقافية متحدين بعملهم ظروف الانغلاق التي سادت المجتمع المندائي ولقرون عديدة فأصدروا العديد من الكتب والمجلات، وعربوا الكتب الدينية وعقدوا الندوات والمحاضرات، وشاركوا في العديد من المؤتمرات والتجمعات في المحافل الدينية العالمية . أما بالنسبة إلى أماكن تواجدهم فلم تعد حصراً في العراق وإيران، ولو أن الاغلبية لايزالون في بغداد، فقد خلقت الظروف القاسية في هذه البلدان مناخاً خصباً لهجرة العديد من أفراد الطائفة إلى بلدان المهجر، فتجدهم

الآن في كندا وأمريكا والسويد وهولندا وبريطانيا وأستراليا ودول أخرى، وهم يمارسون طقوسهم ومعتقداتهم بحرية كاملة وبدون قيود . أما أبرز مايميز المجتمع الصابئي فهو امتهان الغالبية منهم، مهنة صياغة الذهب والفضة، فقد برعوا في فنون هذه المهنة التي تتطلب الذكاء والمهارات العالية، والمجتمع الصابئي بالرغم من قلة عدده، إلا أنه أخرج العديد من العباقرة والعلماء في مجال الفلك والعلوم والطب والهندسة والرياضيات، إضافة إلى الأدباء والفنانين والشعراء.

تعقيدات في المراسيم الدينية المندائية

للمندائية مشاكل داخلية كثيرة، فهم كالمسلمين تعترضهم تحديات العصرنة والحداثة وتجديد الفكر. وبالطبع فالمجتمع عندهم منقسم إلى قسمين:

١. **القسم الأول** يتمثّل برجال الدين ومن سار على نهجهم. وهؤلاء مغلوبون على أمرهم. فلديهم قضايا كثيرة جداً تحتاج لمن يبحث فيها ويجد لها الحلول. بل تحتاج لعدد من الباحثين يفوق عدد كافة المندائيين الموجودين في العالم كله. وهؤلاء ليس لديهم اليوم سوى الالتزام بالموروث الشرعي كما هو.

٢. **القسم الثاني من المندائيين** وهؤلاء جيل جديد تثقف وعرف مفاتيح الفكر العالمي. وقسم منهم يسكن في المهجر. فيتعذّر عليهم الالتزام بصرامة الشرائع المندائية. وأقلام كثيرة تكتب وتطالب رجال الدين المندائي بالتفكير والتحديث وإعادة النظر في بعض الأمور المستعصية، كالزواج، والطلاق... وغير ذلك..!. لكن ليس من السهل على المندائيين مواجهة محنة طارئة تهدد بانقراضهم النهائي، وبنفس الوقت التفرغ للتفكير بتلك المعضلات. ومن الأقلام المندائية المطالبة بالتحديث ندرج هذا النص:

" بعض التعقيدات الموجودة في المراسيم والطقوس الدينية المندائية، هي من مخلفات وسبب رجال الدين الجهلة بمفهوم الطقس المندائي وماهيته الروحية والرمزية .. فلذلك نرى أن بعض رجال الدين المندائيين يتمسكون حد التعصب

بقشور الطقس ولا يساومون أبداً فيها ، ونراهم في نفس الوقت لا يديرون بالهم على جوهر الطقس ومفهومه الروحي والغاية الرئيسية منه ، ليصبح غذاء روحياً معنوياً قيماً للإنسان المندائي المؤمن .. ولكننا نرى أن الطقس الديني بتصرفات بعض رجال الدين المتزمتين بدون معرفة ، تحول مع الأسف إلى طقس يثقل كاهل المندائي المؤمن ، وفقد روحيته ومعناه عنده ، وأصبح الكثيرون يبتعدون عن أداء المراسيم الدينية المندائية.

وليس التزمت وحده هو الذي ينهي روحية المراسيم والأفكار الدينية المندائية ، ولكن عدم المعرفة والانحلال والنظرة التي تدعو إلى التطور والتغيير بدون معرفة بأصل وجذر الطقس وروحيته وهويته والمراد منه ، يسبب ضياع المفهوم الروحي المتبقي للطقس الديني واضمحلاله تدريجياً."

محاولات إصلاحية من داخل المندائية

فمثلا عندما كنت في مدينة الناصرية في العراق (وهي مركز محافظة ذي قار) وكنت حينها المسؤول الديني هناك ، عقدت مراسيم الزواج لأحد المندائيين بمرافقة أحد رجال الدين الذي جاء من بغداد ، وفي أثناء المراسيم جاءت امراءة من أقرباء العروسة ، حاملة بيدها قفلاً صغيراً ومفتاحه ، وقالت لي بأن أضعه في هميانة العريس ، في الحقيقة في بادئ الأمر استغربت من طلبها .. وأفهمتها بأن هذا ليس من شروط العقد الديني ، وحاولت مراراً أن أقنعها فلم تقتنع ، وعندما أصررت على أن أكافح البدع والانحرافات وحاولت بروح المؤمن المثقف أن أفهمها بلا جدوى تلك الأعمال وأن ليس لها أي أساس في المراسيم الدينية .. ولكني كمن وخز عش الدبابير بيده!! .. ثارت ثائرتها وزعلت مني واعتبرتني بأني لا أطبق الدين والمراسيم بصورة أصولية!!!.

لا أعتقد أن الصواب يجانبني إذا قلت إن الطائفة المندائية تشهد أكبر مرحلة جزر واضمحلال وتراجع. وذلك من خلال انشغال بعض المندائيين (وخاصة رجال

الدين) بأمور أقل أهمية كمسألة الأكل والشرب، وإعطائها مساحة وجهداً أكبر مما تستحق. وأتساءل هنا من فرض قواعد الأكل والشرب والتي شغلت بال بعض رجال الدين، وأصبحت مادة دسمة لجدالهم العقيم الذي لا نتيجة له، إلى حد نسيان التعاليم المندائية العظيمة وقواعد وأسس الإيمان المندائي الصحيح، الهامة جداً لسلامة وديمومة المندائية كفكر وإيمان وتواصل مع الحي العظيم الخالق العظيم سبحانه وتعالى !!

ربما البعض سوف ينتقدني على بعض الأخطاء التي سوف ترد هنا أم هناك. أما البعض الآخر الذين سوف ينتقدون ولوجي في بعض المواضيع التي ربما تكون حساسة بالنسبة لهم. ولكني تصديت لتلك الأمور الشائكة التي لا مجال للإغفال عنها وعلاجها بدفن الرؤوس في الرمال. وإنما قصدت بإثارتها للجميع ولذوي الشأن خاصة، لمناقشتها بموضوعية عالية مسنودة بالفقه الديني، وتأخذ الاعتبارات الاجتماعية والعصرية التي يعيشها المندائيون الآن. ولعمري إن هذه لفائدة للمندائيين ولدينهم، كما فعل الأجداد وتخطوا الكثير من الأمور التي طرأت على المندائية كدين، واستطاعوا أن يجدوا لها الحلول. ربما بعضها كانت حلولاً غير صائبة، ولكن على العموم تقع علينا المسؤولية في الإبقاء على هذا الدين العظيم، والتراث المشرف، والتاريخ العريق للمندائيين أن يستمر.

أسال (هيي ربي) مشبا اشمي، أن يحفظ ويرعى الأنفس (**النشماثا**) العانية والفقيرة في هذا العالم، وأساله الرحمة والمغفرة من الخطايا والاتحاد (لوفا) مع الحياة السرمدية.

الانعزال أم التفاعل مع أطياف المجتمع؟.

في فترات معينة وطويلة، استطاع المندائيون أن يجابهوا الظروف القاهرة والمحيطة بهم، بالانعزال التام عن مسرح الأحداث، أو على الأقل الابتعاد نسبياً عن مدى تاثيراتها .. وساعدتهم في ذلك البيئة القديمة التي كانوا يعيشونها في جنوب بلاد الرافدين، في قرى صغيرة موزعة على ضفاف الأنهر وما بين الأهوار (مع العلم أن لهذا الانعزال إيجابياته في وقته، وسلبياته التي نجابهها الآن بسبب ذلك الانعزال). ولكن هل الانعزال في ظل هذا الوقت يجد البعض أنه هو الحل الصحيح لديمومة الطائفة. فيما يجد مندائيون آخرون ضرورة التفاعل الأكثر مع أطياف المجتمع المختلفة. ومن خلال معرفتنا المتواضعة بأمور المندائية نجد ضرورة بذل جهد مندائي كبير وإلى أقصى الحدود ليعرّف المندائيون بأنفسهم، وليتفاعلوا مع المجتمعات العربية المتعددة الانتماءات. وخاصة السنّية منها.

هذا فيما يرجع أحد الكتّاب المندائيين أسباب تخلف المندائية إلى أنانية رجال الدين فيها. ويقول: "من الأمور التي تسبب الأسف الشديد أن بعض رجال ديننا، لا يفكر إلا بنفسه ووضعه الديني، ولا يهتم بالحالة الدينية العامة، ولا بالمستقبل وما ستؤول إليه المواضيع التي جابهها بعدم اكتراث ولا مبالاة، وكأنه غير مسؤول عن إرساء الأسس الصحيحة، والمساعدة في تثبيت الدين. أعتقد بأن هذا مرده إلى الشعور الديني عند البعض، الذي يقول إن هذا العصر الذي نعيشه هو (خير دارة – آخر دارة أو عصر)، أي بقرب حلول يوم الإفناء العظيم لجميع البشرية. إن هذا الأمر قد حدا برجال الدين إلى الالتزام بأنفسهم وبوضعهم الديني، ولا يهتمون بما آلت إليه الطائفة والمؤمنون المندائيون."

شعر مندائي حديث

محنة المندائية

هذه قصيدة مندائية حديثة للشاعر فهيم السليم، تنطق باللهجة العامية. ويمكن للقارىء العربي فهمها، فلغتها من العامية العراقية.

شكّد زرعنه.........شكّد سكّينه"

وجينه نحصد مالكّينه، بس لكّينه

سنبل مطشر مُردْ روحه اليباسْ

وناس مشبوحه تظنهه ماهي ناسْ

ودجلة تبجي وفرفحتْ روح الفراتْ

والبقه منهم كره حتى الحياةْ

والمحطات البقتْ كلهه حزينه

شكد زرعنه شكد سكينه

شكد سهرنه ..شكد نطرنه .كلّنه يمكن تجي الأيام الرزينه

ومن أجتْ كلّ الشباب أتشلبهتْ فوك السفينه

بيهه طلعتْ للسطوحْ

وبيهه بطلتْ ما تنوحْ

كاّلت الاحزان ولّتْ والجروحْ

كلهه يمكن تلتئم والناس تعرفنه ولدْ هذا الوطنْ

واحنه منهم وهمه منّه ومايبدلنه الزمنْ

وسفه لاجن طلعت الشغله ثجيله

شكد زرعنه، شكد سكينه وجينه نحصد مالكينه

جينه(نطمش) مالكينه

ماي جاري وماطمشنه ولا(صبغنه)

وضاع كل ذاك تعبنه
دجله أحمر من كثر دم العبادْ
والمجازر عمت أرجاء البلاد
جا بعد ليش العمادْ
جا بعد وين العمادْ
والجتل عم المدينه، شكد زرعنه، شكد سكينه

شكد صبرنه، شكد مشينه
ردنه نوصل للجرف بلكي تلكفنه السفينه
ومن وصلنه طلعوا الطيبين منهم منتهينْ
والبقوا منهم عكارب من عذابات السنينْ
والبعض منهم نسوا طعم الحنينْ
ومن حجينه..طلع السفان مايدرك حجينه
وطلع الملاح ما يعرفْ اسمْ حتى نبينه
طلعنه غريبه عن خشب هذي السفينه
طلعنه صبُّه النِكس بينه
واليسلم على يحيى
من يموت ويوم يولد، يوم يبعث عدلْ يكفر يسلّم علينه
يكره يسلّم علينه
والمحطات البقت كلهه حزينه
والمحطات البقت كلهه حزينه
كلهه حزينه

((فهيم السليم / دهفه أديمانه))

((نشمي يوحنا))

يا روح الحياة في مستقرها الابدي

يا نسمة نورانية

يا عجيبة ربانية

كم أنت إنسانية!!!!

جاءت من زمن

في اللازمان

ومن مكان

في اللامكان

واستقرت في صلب

تمثال الطين

في عالم لعين

لايعرف غير الغدر والتهجين

عذراً إن أقول:

هل من الحكمة

أن تتركي بلد النور

وتسكني في الديجور؟

....

دموع مبتورة

عيون مكسورة

في حياة مهجورة

روح مبعثرة

على مذبح الحياة

بؤس

حرمان

ظلم

فنمشي أمواتاً

بعيون مفتوحة

....

صوتا ... دعاء ... أنيناً

كلمات متدفقة

كتدفق الشلال

في أعماق أعماق صيرورتي

هو معي

في صحوتي

منامي

وحتى في موتي وفنائي

....

جميلة الروح

رائعة الوجه

بعمر زهرة الكاردينيا

أراد لها الإله

الحياة

لكن جهلنا

أبى إلا أن يدفنها حية !!!

....

في اليوم الذي

طبعت قبلة

على شفاه الحياة

حملت الأشجار ثماراً

وتفتحت الأزهار وأينعت الكروم في مستقراتها

وعم الخير العالم

وانتعش البشر

واستلم الأطفال هدية العيد !!!

....

روحي وروحك

عندما يمتزجان

الكون يخلق

ونبض الحياة

يجري في أنهار العالم

فينتعش الإله

فانزل

من عالمك السرمدي

وامتزج معي

إن بذرة حبك

تزداد نمواً

بجنون

لا يعرف الهدوء

....

في اليوم الذي

تجليت فيه

كان هناك بهاء ونور

فانبثقت الروح من موطنها

وحلت في عيونك

فصار للحياة معنى!!

....

أستطيع أن أرى

لمعان روحك

على سطح شلال الحياة

فدعني أعلنها

هنا

إن حباً قد نضج

سيل من دمعات مكبوتة

نابعة من قلب

قد تكون الآن

هنالك في عمق الأعماق

فدع روحك تنهض

تشرق

تبتهج

وتلتحق بروحي

يا أثيري المحيا

لاتستحي

اكسر قيودك المتوارثة

ولاتخفي إلاهك

في دقات قلبك المتسارعة

ولاتضطهد روحك المبعثرة

بل دع بهاءك

يصل

ويلتقي

ويمتزج

ببهائي المتدفق إليك

كطير لاهث لموطنه

دع عطرك البهي

ينعش روحي

التواقة إليك.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

رسالة أنترنيت إلى النبي زكريا في يومه السنوي

((نعيم عبد مهلهل))

هذه فكرة جريئة، وكتابة لاتخطر على بال واحد من المسلمين. فلا يجرؤ المسلم أن يكتب رسالة إلكترونية إلى نبي.الأديب المندائي نعيم عبد مهلهل يتخطى الحواجز ويعتقد بأن المندائية لاتحرم ولا تمنع مثل هذه الأفكار، ويكتب رسالة تهنئة يعتقد بأنها ستصل فعلاً إلى النبي زكريا. تقول الرسالة:

اليوم الأحد ..

موعدنا السنوي مع زكريا

حناء وأعلام بيض وأمنية

هذا هو العالم هذا المساء

وغير ذلك لتذهب الحروب والمقاولات إلى جحيم

أتذكرك ..

أيها المندائي الوسيم

لن تشبهك كاترين دينوف في هذا العالم

ولو أرتديت قميص يوسف

لمنحك ولي العهد أجمل جواريه

لكن خجلك كان لايطاق

يحمر وجهك حتى عندما يقبلك الهواء

دعني أقبلك في عيد زكريا
فموتك كان أشد أحزان الطائفة هلوسة
لقد رأت فيك الذي سيصحو من رقاده
ويقود الجوالين إلى دلمون المندائية
رينيه شار : تسلق سور الوردة
رغبة منه بالسيطرة على مشاعر سور الصين العظيم
وهند رستم كشفت عن صدرها
تألق الشمع ..
يازكريا خذنا إلى مصر وقت العصر
كنا نغني هكذا أمام بنات الفرجية
وكل واحدة شعرها ذراع في ذراع
وعيناها ..صحن القيمر وخاطرة الدفتر وقصيدة عنتر

اليوم أحد ..
ورسالتي إليك ممهورة بدمعة مضاءة بشمعة
أنت نبي، باركت مريم في وضعها القلق
قلت لها : افرحي لمشيئة الله ..
حمزاتوف يقول : مشيئة الخنجر أنه يسير بجادة الذبح
مشيئتنا
أننا نمشي ونتلفت..
حتى في عيدك
نخشى من أفلام هيتشكوك
لأنها تأتي إلينا بسيارات مفخخة
الفخاخ للثعالب وليس للبشر
الفخاخ للأرانب، للحجل، للسناجب، للباندا
وليس لمندائي في حي العامل

فتح المحل صباحاً فأمطروه بالرصاص

كانت فيروز تغني : إحنا والقمر جيران

يسوع رد عليها :

الإنسان بناء الله ..ملعون من هدمه

لطيفة وقت سقوط آخر أحلام العائلة المندائية برصاص المجهولين

كانت تغني : انشا الله .. انشا الله .. ترجع ليه

والحقيقة أن الأغنية هي لسان حال ابنته الصغيرة سالي !

إزاء هذه اللوحة التي رسمها جواد سليم

ماذا ستقول سيدي يحيى ..؟

ستتحرك عيناك بعاطفة أب

سيسكنك الدمع

وستطلب من الكنزفرا ستاراً حلواً بجمع الربع

أم كلثوم كانت تهمس للقصبجي

قصبجي ..كمع الربع لنبدأ نواحنا من جديد

حدث هذا في بروفات : يامسهرني ..

الآن سهرتنا معك ..

لأنك ستشعل شموعك

وسنعيد إليك صدى الأغنية الخليجية الجميلة

ماأروعك ..أعذب وأجمل من خيال

جاك بريفر يطل إليك بذاكرة الشعر :

أعرف نبياً كان يصنع الشعر ولكنه ليس من سكنة باريس ..

إلى زكريا .. القديس الورع . والمسمى بإشارة أبدية من يعقوب وإبراهيم

ما أروعك ..ملكتني بحسن الخيال ..

خيال الشمعة فوق الماء كخطوة العيد إلى حنجرة المؤذن

كما تسابيح كاهن المندي قبل نحر الحمامة

كما الزيتونة وهي تخضر في دموع أمهاتنا
كما أنتم مقدمة النص
إني أعيد تلاوة رسائل سلام فرحان الشكسبيرية
وأتعلثم في معانيها ..
ولكن في كل مرة أشد قلبي إليه
فنبكي سوية على كل الجنود المندائيين
الذين غرقوا في بحيرة السماك
أو على تخوم ميمك
أو في هجوم ديزفول ..
وبعضهم ربما دفن في رمال حفر الباطن

إلى زكريا ..
يوم ولد يحيا . قلت هو لكم نذير وبشير
وحين قالوا لك : إنهم يعلمون بمجيئه
وحين سألتهم : متى علمتم ؟
أجابوك بابتسامات عرضها شط :
حين أنزل الله آدم في قرنة الهور بسواد البصرة
طه باقر رحمه الله ..
كان لايعلم إن كانت هذه النبوءات باقية بلوح
أم أنها نقل من شفاه ؟
الشيخ سام بن زهرون بن عامر أجابه :
بلا ..إنها نقل من قلب ..
وهو أكثر أزلية من اللوح
الدبابة قرب المتحف
اللوح يكسره الأطفال
هل شاهدتم طفلاً يكسر دمعة

رأيتها ..

وتلك مصيبة لم أرها عند شعب آخر

زكريا له صحائف في المكتبة الوطنية ..

هي الآن في جامعة غربية

اليوم أحد ..

عيدك أيها النبي

فالبس دشداشتك المخططة

وأمسك لوح النصيحة

وأنر لنا نهارنا

فالليل ماعدنا نريده

نريد وضوح حياتنا وهي تحت الشمس !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

نشيد منداي منداي

((بقلم: حسن حامد وطلعت المندوي وزياد سباهي))

منداي منداي يا محلى لمتنا

منداي منداي صبي هويتنا

كل القرايب والأهل ...

تتلاقه بالحب والأمل ...

صفقه وهلاهل للصبح الليلة فرحتنا

من كل بلد جينا نغني ونفرح وياكم

حب وفرح دنيا زهت صبه يمحلاكم

كل الشواطي والنخل ...
تذكرنا بأحباب وأهل ...
يا ربي تجمعنا سوا وتهون غربتنا

خلونا نتلاقه ونحب مثل النهر صافي
يا خوي لو حملك ثقل ذبه على كتافي
وحدتنا تبقى للأبد ...
كلنا أهل واكثر بعد ...
صغناها من نص القلب منداي غنوتنا.

أناشيد مندائية

النشيد الأول :

تولد في الفجر وتتورد في الظهيرة ثم تتكامل في المساء
بالحب عمدت أرواحنا وبالحب تستعيرها
القمر يذهب إلى بيته،
يتعشى ويستريح،
قرب وسادته تنام نجمة
شعرها أبيض وطويل،
أمهر سيدة في طبخ رز البنجة،
وحين يغازلها جدي شاهين
تقول : صلي لزكريا أولاً
وتعال إلي وفي يدك شمعه ..
النور بهاء..
النور امرأة خضراء

النور يد تصافح الورد وتعلمنا فقه المودة ونحت تمثال الجدة
جدتنا نجمة ..التي وضعت قرب رأس القمر مخدة*
ونامت آلاف الأعوام ...

النشيد الثاني :
ملائكة زرق ..
مزمار للصبح يدق
تنهض طفولتنا مبكرة
صوت عصافير
وفراشات تطير
فيما شجرة المندي
تقرأ بخشوع أمي
كتاب كنزا ربا

النشيد الثالث :
سنطيعك ولن نبيعك
لقد قرأ عليك زيوا تعابير الحب
وصرت أجمل من فينوس وعشتار
نتأمل فيك صبا المراهقة وتلألؤ أرغفة الفقر
نتأمل فيك محابس الفضة
والشفاه الغضة
وحدك من علمنا العشق
وقادنا لنكتشف كل هذا الغنوص في هذا العالم
وبنظرة متصوفة أعطيناك فكرة عن حجم الشوق
فأهديتنا صلاة وغصن آس
وبهما نعيش اليوم متحابين

حتى لو دارت على رؤوسنا حروب الأرض كلها
فبيان بياناتنا هو السلام وحب الله..

النشيد الرابع :

قدس الأقداس ..أيها السر
بمندائيتك الصافية ذهبت إلى قلوبنا
فوجدت أدعية تحن إليك وطرقاً معبدة بالورد
فبكيت ..
من دموعك سقينا شجرة السدر في بيت العبادة
ومن دموعك صنعنا هياكل ذكرى لشهداء الطائفة
ومن دموعك صنعنا خواتم خطوبتنا
لبنات عماتنا وخالاتنا وجميلات المحلة ..

النشيد الخامس :

متألق أنت في كل أزمنتك
منذ أن مشيت مع إبراهيم
وشربتما ماء الوحدانية سوية في حانة بحران
كنت تضئ ببهاء فكرتك الغامضة
تلك التي لم يفسرها أحد سوى روحك
ولكنها في النهاية صارت أرثاً مشاعاً للبشرية كلها
كان ذلك قبل أن تزرع بالماء الطاهر وردة التعميد تحت أجفان يسوع
انحنوا له وقولوا :
مبارك أنت ..
في الأزل وفي الأمل..

النشيد السادس :

دافئ كنار موقد

والرز والبط الجاهزان للعيد الصغير

أما الكبير فسنشوي له السمك وذكر الإوز وأحلامنا

صباحاً سنوزع الحلوى لفقراء الطائفة

وسنقيم أعراسنا قرب الماء

سيغني لنا هدهد بلقيس

وسيصفق لنا أهل أورشليم

فيما جنوب العراق سيرد على المستشرقين بأزلية هامسة:

ولدوا هنا وسيموتون هنا ..

النشيد السابع :

لكل قلب نافذة يطل منها على ساحة البيت

بيتنا الطيني على ضفاف هور بالكحلاء أو سوق الشيوخ

هناك عاش البسطاء من أهلنا

بنوا قبة مزركشة بتعبير موسيقى لم يكتبها موزارت ولانوطها لهم شوبان

السماء وروح الملاك زهرون

هو من فعل ذلك

لقد شاهدناه يعزف للطائفة لحن المواددة

والطائفة كانت تستمع وتبكي

وبعضهم لم يتمالك نفسه

فقام ورقص ..

النشيد الثامن :

أنت شغفنا بالشعر وبالموسيقى وبالتسبيح

ياكنزرفانا الطيب

لحيتك الطويلة كأصابع الصفصاف
تصنع الظل لنا ونحن نقرأ لامتحانات البكالوريا
من يذكر ؟
كان رجل الدين سامان
يقود الأجوبة إلى ذاكرتنا
مثلما تقود الخيول عربة الشمس إلى المساء
وقتها نغمض عيوننا ونفتحها
لنجد أنفسنا كلاً بوظيفة..
أين أنت الآن يا سامان
لقد أصبحت فلكيا وثمة كوكب يحمل اسمي ؟

النشيد التاسع :

روحك هي من تداوي جروحك
هذا ليس نص في صحائف يحيى
بل من تأليف أمي :
خاجية بنت ورد حام نداي
لازلت أتذكره
وحين أسال وأنا الآن قد وصلت السبعين
ما أجمل بيت شعر سمعته في حياتك
أجيب بمندائية صافية :
روحك هي من تداوي جروحك

النشيد العاشر:

نحن من أبناء اللّه
كما أبناء ديانات الأرض،
كما أبناء كل دبيبة في هذا العالم

حتى لو من سكنة المشتري

حلمنا أن نستيقظ مبتسمين

ونرى الشمس ليست مكتئبة

لهذا ترانا أول المتزاحمين

على دكاكين الحب لنشتري ورق الرسائل لحبيباتنا

يوم شعر القمر بالنعاس وذهب إلى بيته ليتعشى

جدتي نجمة توسدت أحلامه

وطلبت منه أن يحفظ كل مندائيي العالم

وصباح استيقظ

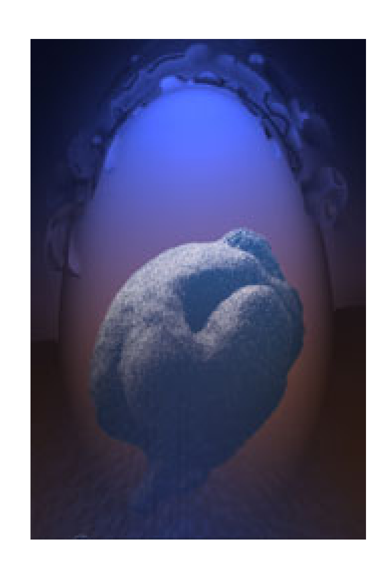
همس القمر لجدتي نجمة :

لقد قبلت طلبك

اذهبي ورديه في قسم الواردة من شغاف القلب ..

فنون مندائية حديثة

لوحات حديثة للفنان المندائي أزهر الخميسي. نرى فيها منابع النور، وأوهام الأساطير، ولمسات غنوصية. ونكتشف تعابير الهندسة والحسابات ضمن تخريجات لونية وفضاءات دينية مندائية... تعبير واضح عن أركان العقيدة المندائية.. شعور بالتفاؤل والتسامح والهدوء، لدرجة نجد أنفسنا أمام فن يحمل دعوة إلى التخلي نهائياً عن كل مظاهر الرسم المتعلقة بالمواد، على اعتبار أن جميع العلاقات في العمل الفني التقليدية ستحددها الآليات المفترضة لنظرية تطور الفن كاختزال عصري.







ألمانيا تمتلك أسرار الديانة المندائية

الباحثون الغربيون وخاصة الألمان منهم هم الذين اكتشفوا المندائية وفكرها وكتبها في القرون الأخيرة.!.. كانت مخفية في الكهوف، وفي طيّات المخطوطات المخبأة والضائعة تحت التراب..!. فجاء الألمان ليبحثوا وينقبوا عنها، ويقومون بدراستها وتحليل نصوصها.. والكشف عن أسرار العقيدة المندائية. فماذا ننتظر نحن الباحثين العرب.؟. ولماذا ننتظر لأن يأتينا الغيث من الغرب..؟. أنعجز عن البحث والتنقيب والتعلّم والترجمة ؟. أم أننا لانقنع إلا بما يقوله الغرب وأبناء الغرب.؟ اعتدت أن أحضر بعض المحاضرات التي يستقدمون لها مايسمونهم مستشرقين وباحثين. وكانت آخر محاضرة لشاب قيل بأنه مستشرق ومكتشف وباحث وعالم..!. تحدث عن حضارة العرب والمسلمين في الأندلس، وعن امتداد أثرها إلى المكسيك.!. لكنه لم يقل أي جديد في محاضرته كلها.. بل كان يكذب ويلفق ويتجاهل حقائق كثيرة. فمن الأمثلة الرئيسية التي جاءنا بها المستشرق للدلالة على تأثر الحضارة، مثال مضحك وتافه. فقد أشار إلى (فولارد) ترتديه (زوجته أو صديقته) وطلب منها الوقوف لنرى ماتضعه على كتفيها.!. وسألها من اشتريت هذا الفولارد، فقالت من مدريد. فقال بأنه رأى مشابهاً له في أسواق المغرب وفي دمشق... وعندما ناقشته وذكرت له أدلة كثيرة عن قيام البنائين المسلمين ببناء كنائس في مدن أسبانيا. قال بالضبط: "لم أسمع بأن ذلك قد حصل." لكننا نخاطب باحثاً ومستشرقاً، أليس كذلك.؟.

البرفسور رودلف

من أشهر المختصين الألمان بدراسة الديانة المندائية البرفسور رودلف رئيس قسم اللاهوت في مدينة لايبزيغ. وفي متحفها مجموعة شديدة الأهمية من المخطوطات والمؤلفات المندائية:

١- القاموس المندائي ٧٠٣٦- ١٥٤ مونكرات حول الكلمات الأساسية في اللغة الندائية.

٢- ألف ترسل شياله – مخطوطة.

٣- القاموس المندائي - مسز دراور.

٤- المرجع في المندائية القديمة والحديثة - البرفسور رودلف.

٥- كنزا ربا - مخطوطة مراجعة رودلف.

٦- حران كويتا - مسز دراور.

٧- مصبتا.

٨- بداية الخليقة عتد المندائيين - البرفسور رودلف.

٩- المعضلات المنهجية المندائية.

١٠- بحث عن المندائية وفلسفتها.

١١- مخطوطات مندائية عن سيدره ربه - ترجمة براندت.

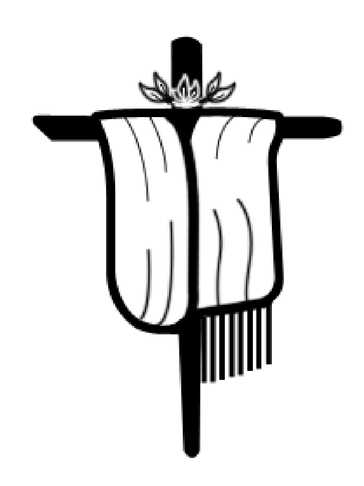
١٢— كتب مندائية بين عامي ١٩٣٠-١٥٦٠ - بليس سيفند اكه.

١٣- أصل المندائيين هل هو - سومر أم فلسطين؟.

١٤- اسم الله وملائكته فوسن.

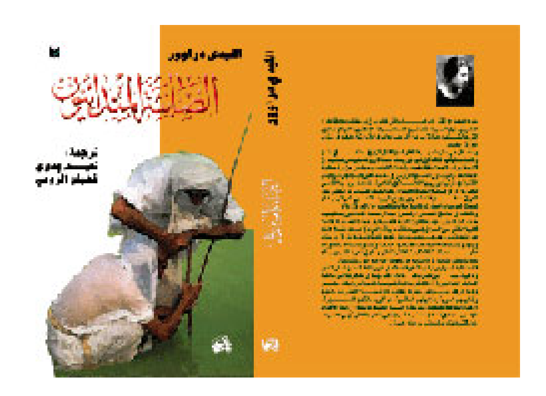


قسم من المؤلفات والمخطوطات المندائية من مكتبة جامعة لايبزك في ألمانيا



الفصل الثاني عشر

كتب وأبحاث عن الصابئة



الصابئة المندائيون

تأليف الليدي دراور

ترجمة: نعيم بدوي وغضبان الرومي

يعتبر العديد من المندائيين هذا الكتاب بمثابة مرجع مهم صالح لفهم الدين المندائي على حقيقته التوحيدية. كما أنه قراءة متجددة لواحدة من الأقليات الدينية العريقة، التي صمت أبناؤها زمناً طويلاً، حفاظاً على كيانهم الديني، ولغتهم المندائية المستمدة من الآرامية، وطهارتهم ونظافتهم التي كانت شاغلهم الأول. لقد مارس الصابئة المندائيون دوراً رائداً في الحضارة العربية، وكان أبناؤهم على مختلف العصور شركاء في صنع هذه الحضارة، كما أن وجودهم على مدى التاريخ الإنساني يذكر بأنبياء ورسل نسخت الأديان المتعاقبة شرائعهم، ولم يبق منهم غير صحف نوح وإبراهيم عليهما السلام. إن هذه الديانة التي تعتبر أقدم ديانة سماوية على وجه الأرض، ترتفع بتاريخها إلى مصاف البدايات الأولى للشرائع الإنسانية الموحدة. هذا الكتاب ترجمة الراحلان نعيم بدوي وغضبان رومي، يعد من الكتب الجدية التي تتميز بالمسؤولية الفكرية والالتزام الأخلاقي وبالدقة والوصف الأمين للطقوس والعادات والعلاقات المندائية، فالكاتبة (دراور) انطلقت في كتابها من الواقع، ومن الجزئي إلى الكلي، ومن السطحي إلى الجوهر، لتحلل وتناقش وتعلق ولتضيف إلى

بحثها بعداً تاريخياً وانسانياً، ثم تضعه في سياق زمني وحضاري شامل، مع الحرص على تحديد كل طقس تناولته في خصوصيته.

يتبنى هذا الكتاب مفهوم البناء الاجتماعي لدى الطائفة المندائية على نحو علمي كأساس مفيد لعرض الظواهر الدينية والاجتماعية المختلفة وتحليلها باعتبارها تاريخ وطقوس هذه الجماعة الدينية، سواء كانت منبثقة من مؤسسة القرابة أو السلطة الدينية أو التربوية مع الاهتمام على نحو خاص بالمؤسسة الدينية. في تناوله للأساليب المعيشية وممارسة الطقوس الدينية والمعتقدات والأعراف والقيم للطائفة المندائية، يعتمد الكتاب على أسلوب الوصف الأنثروبولوجي في دراسة الأنظمة والمؤسسات الدينية والعلاقات الاجتماعية ضمن تساندها الوظيفي، ولإظهار طبيعة المؤسسات الحضارية والدينية لهذه الديانة السماوية العريقة التي اعترف بها القرآن الكريم، ووصف أصحابها كأهل دين وكتاب، وورد ذكرهم في ثلاث سور كريمة.

هذا الانطلاق الاستقرائي من الخاص إلى العام، من الأصغر إلى الأكبر، ومن الراهن إلى الكامن، مثّل نزعة استدلالية نهجتها هذه الباحثة الأنثروبولوجية القديرة من خلال عملها الميداني الذي دام سنوات طويلة وسط الطائفة وممارستها حيث اكسبتها تجربة حقلية عالية أصبحت فيما بعد دعامة رئيسية لمعرفة الديانة المندائية في حقيقتها التوحيدية، مما حفز العديد من الباحثين والدارسين من بعدها على القيام بدراسات إثنوغرافية كثيرة اعتمدت التعقيب في أصل هذه الديانة والخصائص الحضارية المختلفة وتحديد اتجاهاتها ومواقعها الأصلية، وهو الأمر الذي استوجب اللجوء إلى وسائل البحث التاريخي والأثري لمعرفة ما وقع من اتصالات حضارية في الماضي والاقتباسات التي حملتها معها لمختلف الجماعات العرقية والدينية التي عايشتها على ضفاف دجلة والفرات جنوب العراق، ونهر الكارون غرب إيران.



الدين الأول - مدخل إلى الدين المندائي

هـذا الكتـاب هـو بحـث بالمندائيـة يتنـاول فيـه المؤلـف الترميـذا الـدكتور عصـام خلـف غضبـان الـزهيري هيـكيليـة الـدين المنـدائي ضـمن محـاور وفصـول تتـوزع علـى النحو التالي:

الشعب المندائي.

التسمية.

أصل الحروف المندائية.

السجع المندائي.

الكنزا المقدس.

طريقة كتابة الكنزاربا.

أنبياء المندائيين.

النبي يهيا يهانا.

ماهي حقيقة العلاقة بين يهيا يهانا والمندائيين.

من هو انش اثرا؟.

معتقدات المندائيين بخصوص الخلق.

خلق العالم السماوي.

خلق العالم الدنيوي.

خلق الإنسان. مشوني كشطا.

تحليل طقوس التعميد المندائي..

الصلوات اليومية للمندائيين.

شرح كامل لمعنى المبطل.

الأكل المندائي.

الزواج المندائي.

تعاليم بخصوص الزوجان.

المحرمات بالنسبة للزواج المندائي.

تكريس المندائي. تكريس رجل الدين. صفات رجل الدين المندائي.

مراسيم الوفاة المندائية. ماهي النشمتا؟. الزدقا بريخ. القماشي. المسقتا. الاحتضار والدفن. معنى اللوفاني. كيف تغادر الروح والنشمتا الجسد.

التقويم المندائي. ماذا يحتوي اسفر ملواشة. القمر في الكنزا المندائي. الملواشة وطريقة احتسابها. الأشهر المندائية. مفهوم الكرصة. مفهوم أبو الفل. مفهوم العيد الصغير. مفهوم أبو الهريس. عيد البرونايا. أصل التقويم المندائي. الساعات الميمونة.

يوم الولادة. المرأة والطفل في المجتمع المندائي. من هي ميرياي. معنى المساواة بين الرجل والمرأة. كيف يتكون الجنين. تعاليم بخصوص الطفل... وغيرها من الموضوعات والقيم والطقوس التي يعيشها المندائي في حياته اليومية.

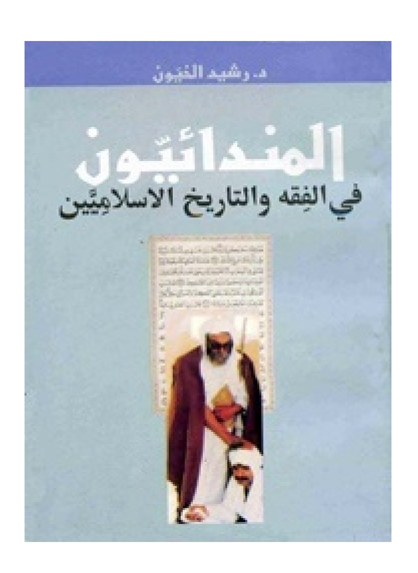
كتاب تاريخ الصابئة المندائيين
tarikh alsaba'ah almndaa'iin

تأليف: محمد عمر حمادة



الصابئة المندائيون مجموعة بشرية تاريخية معاصرة لها عقائدها الروحية وشعائرها وتقاليدها الخاصة. وقد درس الباحثون جوانب من حياة وعقائد الصابئة المندائيين، وتغاضوا عن متغيرات عديدة ارتبطت بنشوء الجماعة المندائية وتطورها الحضاري. وقد أضاء الباحث محمد عمر حمادة في هذه الدراسة الميدانية الرصينة المنهجية جوانب متعددة من الحياة الاجتماعية والفكرية والفلسفية للمندائيين الذين واجهوا اضطهاداً منظماً من قبل اتباع العقيدة اليهودية. وتأتي أهمية هذه الدراسة الجادة من خلال المعارف الدقيقة والمعلومات الموثقة التي جاء بها الباحث من معابد المندائيين مباشرة، ومن معايشته لهم في أفراحهم وأتراحهم في منازلهم وأماكن عملهم.

وقد أثنى رجال الدين المندائيون شخصياً على ما بذله الباحث لتقديمهم في صورة علمية تاريخية صادقة بعيدة عن التحيز المسبق والوصم غير الدقيق إنسانياً لهم، وقد سطروا آراءهم بوثائق خطية مرفقة بالدراسة وهذا إنجاز علمي لم يحظ به كتاب أو كاتب عن العقيدة الصابئية المندائية.



الصابئة المندائيون في الفقه والتاريخ الإسلاميّين

يلاحظ القارىء المتتبع أن زاوية البحث في المكتبة العربية تكاد تكون خالية من موضوع مثل كتاب (الصابئة المندائيون في الفقه والتاريخ الإسلاميّين) الذي كتبه الدكتور رشيد الخيون. فالمؤلفات التي كتبت في أصول الموضوع المندائي(على قلتها) لا تخرج عن نطاق الترجمة. وبدأت حركة التأليف في موضوع الفكر الديني المندائي عقب التحولات التي جرت أخيراً في العراق، ومارافق ذلك من نشاط في حقول إعلامية متعددة.

إلا أن هذه الدراسات، بحكم عدم تخصص أصحابها، اتجهت نحو الترجمة بقوة، وتركت الحديث لعدد من الأقلام المندائية وغير المندائية يتناوله الكثيرون بأقلامهم مستعينين بما اغترفوه من فيض فكري وفلسفي كبير.

ومضت القافلة في هذا السبيل، مبطئة متعثرة، والدراسات النقدية في الديانات الإنسانية الأخرى من حولها تسير سيراً حثيثاً نحو التعمق والتخصص، حتى غدا الباحث في الدين المندائي كالحائر لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

وعندما قدم الدكتور رشيد الخيون كتابه ليضعه بين أيدينا، ارتأينا في اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر ضرورة طباعته للقارىء المندائي والعراقي والعربي

ليكون مشروعاً ثقافياً صغيراً ضد التعصب الذي يحد من مسارات الانفتاح والتعدد والتنوع داخل وحدة نسيج مجتمعنا العراقي.

فالمؤلف لايكتفي بعرض ديانتنا السماوية من وجهة نظر الدين الإسلامي الحنيف، بل حرص كل الحرص على إظهار مبدأ الحوار الديني ذي البعد التحرري، على ضوء قراءة التاريخ والوقائع، بمنهجية فكرية مقتدرة . وبهذا وللمرة الأولى، يتيح للقارىء والدارس مراجعة الثقافة والفكر والفلسفة المندائية، من خلال المصادر الإسلامية.

الدكتور رشيد الخيون وهو يسعى لتأسيس أبجدية جديدة في حوار الثقافات الدينية العراقية، يأتي عمله الفكري هذا كدعوة للعودة إلى التفكير بعدم تجاهل الآخر، والابتعاد عن الاختراعات المشوهة للدين المندائي وثقافته الأصيلة، حيث قدم صورة معرفية مضيئة، تبعد التشوهات والغموض، وتخلق علاقة وجود مشترك، وليكون هذا الكتاب، همزة الوصل بين سر وغموض وانطواء ثقافتنا الدينية المندائية العريقة، وبين القارىء العراقي والعربي .

الدكتور رشيد الخيون من المثقفين العراقيين السباقين في فتح الآفاق المعرفية على ثقافتنا المندائية العريقة، فقد حمل في معظم كتاباته على صفحات الجرائد والمواقع العراقية والعربية، دعواته الصريحة والصادقة إلى معاينة كنوزنا الطقسية والتراثية والفلسفية والفكرية، وما تعاقب عليها من ألم وأمل، إلى معاينة المشيئة التي تحتسب وجودنا العراقي، فغذى حبره واقع أبناء الماء والنور المستتر، فكانت أخبارنا تتنامى إلى الجميع بعد عقود طويلة من الزمن الغابر عن المسالك المعهودة للثقافة العربية وغير العربية التي أغلقت علينا أبوابها بأوامر من الفاشيات والظلاميات المحلية والعربية، حتى انعدمت أية إيماءة إلى ثقافتنا المندائية، كأنها جنس صائر إلى انقراض في قطاعه التاريخي العريق بين مستهلكي الورق المقروء وهو أمر مفهوم، على أية حال في السياق الذي كان متنامياً للاستهانة بأدب وثقافة وفكر الأقليات العراقية التي حكم عليها أن تظل أسيرة الثقافة والفكر العربي المطلق.

ونحـن إذ نقـدم هـذا الكتـاب، نرجـوا أن يكـون مفتاحـاً علميـاً ييسـر للجميـع الخروج من باب الغموض الذي ساد قروناً طويلة، وأن يخلق حواراً يعتمد المعرفة التي يوفرها الكاتب، في فهم ما الذي تريده الديانة المندائية

كتاب تعاليم يحيى

(دراشا ديهيا) نشر في بغداد.

كتاب : مندائيو العراق وإيران

The Mandaeans of Iraq and Iran

ترجمة: نعيم بدوي وغضبان رومي.

تأليف: الباحثة البريطانية اثل ستيفانا دراور E. S. Drower ونشرته جامعة أوكسفورد سنة ١٩٣٧ وصدر بالعربية في بغداد سنة ١٩٦٩ تحت اسم الصابئة المندائيون.

كتاب مفاهيم صابئية مندائية

في سنة ١٩٨١ أصدرته الأستاذة المندائية ناجية المراني

أصول الصابئة المندائيين

الأستاذ عزيز سباهي - أصدره في عام ١٩٩٦، المقيم في كندا، أونتاريو، وهو منشور باللغة العربية . دار المدى ١٩٩٨.



لعب الصابئة، رغم كونهم طائفة دينية صغيرة، دوراً ملحوظاً في تطور الحياة الروحية والفكرية في بلاد ما بين النهرين خلال ظهور المسيحية وانتشارها أو بعد ظهور الإسلام، ولا سيما بعد ازدهار الحضارة العربية-الإسلامية أيام العباسيين. وقد تعرضوا للاضطهاد في العهود المختلفة وانكمشوا على أنفسهم، غير أنهم ورغم قلة عددهم، ورغم القهر الذي حاصرهم طوال القرون عادوا في العقود الأخيرة لينكشفوا من جديد عن حيوية، ودخلوا الحياة الاجتماعية في العراق الحديث بفاعلية تفوق الكمّ السكاني والنشاط الاقتصادي.

ورغم ذلك فالمسألة المندائية لم تحظ باهتمام مراكز البحث العربية والإسلامية رغم أهميتها في فهم تطوّر الفكر في المنطقة العربية في حقبة معينة قبل وبعد ظهور الإسلام. لذا جاء عمل المؤلف في هذا الكتاب ليغطي قدر الاستطاعة ذاك الجانب المُغْفَل من الناحية الاعتقادية لهذه الطائفة، وقد وجد صعوبة في عمله، وهو المندائي، لأن البحث يتطلب معرفة باللغة المندائية والسريانية والعبرية والإغريقية فكان عليه أن يتناول الأدب الديني لطائفته من خلال ما ترجم إلى اللغات الأخرى.

وقد أخذت دراسته الشكل التالي: تقديم كشف بالأدب المندائي، ثم تبع ذلك تمهيد لشرح موضوعه وفصول ثمانية تناول فيها النقاط التالية:

١-العالم القديم في العهد الهلينسي، مقدمة تاريخية.

٢-المندائية والدين البابلي.

٣-المندائية وطوائف البحر الميت.

٤-المندائية ويحيى بن زكريا.

٥-المندائية طائفة غنوصية.

٦-الصابئة المندائيون في ميسان.

٧- المندائيون بين الغرب والشرق.

أضواء على كتاب
قوم كه ازياد رفته

القوم المنسيون

دراسة في تاريخ ومعتقدات الصابئة المندائيين

من تأليف الأستاذ سليم برنجي

ترجمه من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية الأستاذ جابر أحمد/ صادر عن دار الكنوز الادبية –بيروت، عدد صفحات الكتاب ٢٤٢ / صفحة مزين بالصور الملونة والتي تمثل جزءاً من الطقوس المندائية.

توطئة السيد الطبطبائي

في الحقيقة إن المندائي اسم مكان أما الصابئي فهو الاسم الديني وقد ترجمت كلمة الصا بئي في اللغة العربية إلى المغتسلة وإن هولاء القوم من الذين هاجروا من شرق البحر الأبيض المتوسط متجهين إلى غرب إيران أو ما تسمى بمنطقة ماداي وعند وصولهم إلى منبع نهر الكرخا وجدوا ما يتماشى مع احتياجاتهم الدينية، واستفادوا من المحيط الثقافي الهادئ في ميسان وتمكنوا من المحافظة على لغتهم في العهد الساساني وفي عهد الإسلام. تحدث القرآن عنهم وجعلهم في مصاف اليهود والنصارى وعاشوا في الحويزة، وبعد ذلك انتقل مركزهم الديني إلى مدينة شوشتر إلى جوار نهر الكارون ثم الأهواز وأخيراً في المحمرة والبستين .

ويضيف عالم الدين الطبطبائي: (لابد من الإشارة إلى أن إصرار القادة الدينيين المندائيين على إخفاء المعارف الدينية المندائية عن أعين الغير أبقاهم بعيدين عن علماء الدين الإيرانيين، كما وإنني وكلي أمل أن اسم الصابئي الذي كانت علاقته بإيران أثناء هجرتهم وكماهي في ميسان العراق قبل وبعد الإسلام قوية دائماً أن يقوم الآخرون من خلال التأليف بالتعريف بهم، وعليهم أن يعلموا أنه خلال ١٨٠٠ سنة أن المواطنين الزرادشتيين لم ينسوا الصابئة وأن على أولياء التربية والجامعيين في جامعة طهران أن يخصصوا فرعاً للغة المندائية .

يتحدث المؤلف السيد سليم برنجي عن تاريخ المندائيين قائلاً: (إن تدوين تاريخ الصابئة ليس بالأمر السهل ولايمكن لشخص بمفرده أن يقوم به، ويضيف (عن أصل الكون كما جاء في كتاب الكنزاربا لم تكن الأرض في البداية جامده وليس لها حدود ولم يكن عليها أثر للحياة ثم بردت وغطت سطحها مياه آسنة متعفنه خرجت منها كائنات صغيرة....)

والقسم الثالث يتناول اللغةالمندائية والخط المندائي المشتق من الخط الآرامي،والقسم الرابع يتناول الكتب المندائية الدينية المعتمدة ومنها كتاب كنزا ربا ويطلق عليه المؤلف اسم صحف آدم كما يتناول كتاب دراشة اديهيا وكتاب القلستا وكتاب بغرا وكتاب ألف واثنا عشر سؤال ....وغيرها.

والقسم الخامس يتناول التعميد قائلاً: بأن التعميد يجعل المتعمد يحس بأنه تحررمن من جميع أمور الدنيا المادية .

ثم يتناول الزواج معتمداً على ما جاء في كتاب القلستا (كالعهد بين الزوجين لاتخاطب زوجتك بصوت مرتفع ولا تؤذها ولا تهملها ولاتأكل الأكل أوتلبس اللباس بدونها فإذا لم يكن لديك سوى حبة تمر عليك أن تقسمها بينك وبينها وكن عصاها التي تستند عليها في أيام المحن.

ويتناول الأيام المندائية والأعيادالدينية ومسبباتها،والقسم الثامن من الكتاب يتناول تعاليم يهيا يهانا والجزءالتاسع يتناول المراتب الدينية التي يمر بها رجال الدين بالتفصيل .

ويتناول : الطقوس الدينية كالرشامة والبراخة والتعميد والمسخثا باللغتين الفارسية والعربية. وكيفية الذبح وقواعده ومنها(إن مراسيم الذبح يجب أن تتم نهاراً ما عدا أيام الخليقة فلا فرق بين النهار والليل.

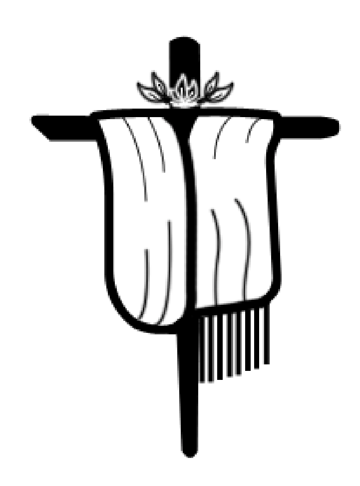
والصيام : موضحاً بأن الصيام عند المندائيين كما جاء في كتبهم المقدسة (يا أيها المؤمنون إن الصيا م الأكبر هو ليس امتناعكم عن الأكل والشرب وإنما غض البصر عن النظرات الشيطانية والسيئة وعدم استراق السمع والصوم هو أن لاتقتلوا ولا تنهبوا ولا تسرقوا).

والقسـم الرابـع عشـر يخـص المحرمـات: ومـن أهمهـا قتـل النفس،والزنـى للرجـل والمرأة، والكذب، والسحر، وعبادة الأصنام.

ويتناول الموت : ويعتقد الصابئون بأن وجود النفس في الجسد هو وجود مؤقت وخروجها من الجسد يعني تحررها من سجنها وفرحتها برجوعها ثانية إلى عالمها الذي جاءت منه.

ثم يتحدث عن اللوفاني : ويعني طلب المغفرة من الخالق العظيم،وهذه ترجمة لإحدى بوث الغفران (مباركة أيتها المائدة،باسم(الله) الحي العظيم واسم ملكا منداديهي،إلهي قد أقمنا هذه المائدة التي تحتوي على طعام المغفرة من أجل طلب العفو له (الملواشة)منك أيها الغفور الخالق العظيم ......سبحانك أنت الواحد الأبدي إلهي أنت مفتاح جميع الطيبات .....الخ.

والقسم الأخير يتناول يوم القيامة : يعتقد الصابئة بوجود عالم آخر غير عالمنا المادي يسمى عالم الما دنهورة،عالم الأنوار،فمن كانت أعماله سيئة يعاقب عليها في مكان اسمه المطراثي ومن كانت أعماله جيدة ذهب إلى العالم النوراني.



الفصل الثالث عشر

نصوص مختارة من كنزا ربا

عودة آدم إلى بلد النور

باسم الحي العظيم

*أمر الله، فنزل المخلص إلى آدم.

قال: يا آدم.. أمرت أن أحررك من جسدك،

وأخرجك من هذا العالم. أحررك من سجن اللحم،

ومن سلاسل الدم والعظام..

لأصعد بك إلى بيت أبيك، بيت النور والسلام..

حيث لا بغض ولا ظلام ❖ قالت نشمثا آدم: قم تزود لنفسك ببركة تلاقي بها أباك.

إنك ماض إلى هناك، وسيسر بك إذا رآك ❖

آدم في فراشه مقيم. نائم لا يريم ❖

يا آدم. إن المخلص في طريقه إليك، فاخلع ثوب الأرض الذي عليك، ليرى طاعة الحي

لديك، تنهض حياً كما أتيت،

بعد أن تخرج من هذا الجسد الميت *

آدم في فراشه مقيم. نائم لا يريم ❖

وأتى رسول الحي..

ووقف على وسادة آدم. على وسادة آدم وقف.

قال: يا آدم.. قم على قدميك،

واخلع ثوب الطين الذي عليك.

اخلع هذا الثوب الذي أنت فيه، فلست بعد الآن بملاقيه..

فقد انتهى عمرك في هذا العالم. يا آدم..

لقد أرسلني إليك الحي العظيم، لتصعد حيث أبوك يقيم ❖

أعول آدم وبكى، وناح وشكا،

وقال للمخلص الذي أتى: يا أبتا. إن أتيت معك، فدنياي من سائسها؟.

وزوجتي من يؤانسها؟.

وأغراسي التي أنا غارسها..

من حارسها؟.

من يمد إليهم يداً؟. ويكون لهم سنداً؟.

من يبذر البذور المباركات؟.

من يحمل الماء من دجلة والفرات؟.

من يعين التي تلد؟. من يلاقي الذي يفد؟ ❖

قال المخلص: يا آدم.

قم اذهب إلى الذي منه أتيت..

إلى دار آبائك التي عنها نأيت.

البس ثوب الأنوار،

واضفر إكليل الانتصار،

الذي تستنير به الأكوان. اربط الهميان..

هميانك الذي لا أوجاع ولا أحزان.

وعلى عرشك المضيء الذي أعده لك الرحمن،

اجلس كما أراد لك الحي ❖

يا آدم.. لا تبتئس، ولا تكتئب..

فعالمك، هذا عالم خَرِب،

عالم زيف وكذب. بيوته مقبرة..

وطرقه معثرة.. ودياره مقفرة.

الأبناء بآبائهم يكفرون،

والأخوة بعضهم بعضاً يقتلون.

البنات يكفرن بأمهاتهن، والأخوات يأكلن لحم أخواتهن.

كل رجل يترك زوجه، وكل امرأة تترك زوجها..

أرامل ويتامى..

ذكوراً وإناثاً.. أبناء السبي هؤلاء.

فقم يا آدم. اخرج من هذا العالم ❖

أوشك آدم أن يقول: يا أبتي

.. ما دمتم تعلمون،

أن العالم هكذا سيكون.. فلماذا أقلقتموني،

وفي هذا الجسد الكساء أدخلتموني؟.

وإن أنا خرجت منه يا أبتي،

فمن سيحرسه في يومه؟.

وإذا نام.. فمن سيوقظه من نومه؟.. من يطعمه، ومن يسقيه؟.

وريب الدهر من يكون صاحبه فيه؟.

من يدفع عنه الرعد إذا دمدم؟..

ومن يبني هيكله إذا تهدم؟. من يهيئ له محلاً؟..

من يصنع له ظلاً؟. من يمنع الشمس أن تقع عليه؟،

والرياح أن تسعى إليه، والأتربة أن تملأ عينيه؟

. والطيور إذا بنت أوكارها..

من يذودها أن تطعم من لحمي صغارها؟.

يا أبي، إذا أردتني أن أسمعك..

وأن آتي معك.. فليأت جسدي معي.

إجعل جسدي يأتي معي..

يصحبني في طريقي،

ويكون صديقي..

فلا أب لي ولا أم يأتيان معي..

ولا ذهب ولا فضة في زوادتي.

فليكن جسدي رفيقي ❖

كم أنت حزين يا آدم..

كم أنت حزين! أعلى جسد يملؤه الطين؟ يا آدم.

لا يصعد جسد إلى عليين ❖

أبتي. يا أبتي..

قال آدم. اسمحوا لحواء زوجتي،

أن تأتي ـِـ صحبتي..

فتكون لي أنساً ـِـ طريقي.

اسمحوا لأبنائي وبناتي أن يرافقوني،

وأن يكونوا لي أنساَ ـِـ طريقي ❖ سمعت حواء فولولت باكية. قالت: يا آدم..

أنا معك آتية. سأكون أنيسة غربتك، ورفيقة سفرك ❖

قال المخلص: لا جسد يصعد إلى بيت الحي.

لا أب ولا أم.. لا إخوة ولا أخوات،

ولا أبناء ولا بنات. ولن يكون الذهب والفضة ملاذاً ـِـ بيت الحي.. إنما ملاذ الإنسان عمله وصدقته..

ووسمه وصباغته. يسأل عنها إذا خرج من الجسد،

ولن يجيب عنه أحد. يا آدم.

إن إخوتك هم الأثريون الصادقون..

وإنهم من أجلك صلاة عظيمة يصلون.

وأنت يا آدم لا تملك لا فضة ولا ذهبا..

يلمعان كذبا.. وـِـ داخلهما ظلام العالم..

أنت لا تملكهما يا آدم. والطريق الذي ستسير فيه ليس له حدود..

بألف سؤال مسدود..

ولن يفتحه لك إلا عملك الصالح ❖

بكى آدم كثيراً، وتحدر دمعه غزيراً،

ثم خرج من جسده حسيراً.

وحين عنه ابتعد، التفت إليه فارتعد..

ثم انطلق ـِـ الأثير، مثل طير يطير..

وحيدا.. لا تلفت ولا ألوى، كأنما لم يكن له فراخ ولا مأوى.

وكلما أوغل في الأكوان، كان جناحاه ينموان ❖

ويلي إذا إخوتي أنكروني، أو سخروا مني أو أحرجوني،

أو من بينهم أخرجوني. أليسوا هم في الجسد أدخلوني؟..

وبقيد الطين كبلوني؟..

وفي عالم الشر أنزلوني؟..

فركلته وخرجت ملتحفاً بالنور، صاعداً إلى بيت النور؟.

ولكن.. كم كان ذلك الجسد جميلاً..

رأساً صقيلاً، وشعراً أملس مسدولاً. كم عدلوه وقوموه..

وكم أجادوا حين رسموه.

العقل وهبوه، والحكمة علموه. صنعوا له عينين اثنتين،

في النهار والليل مبصرتين.

صنعوا له فماً يسَبّح الحي كل يوم..

ويدين تعملان، لا تكلان ولا تتعبان،

ورجلين حيثما أراد تسيران. لقد كان جميلاً فذوى، وعالياً فهوى،

ومنتصباً فانطوى. انطفأت العينان،

وانغلقت الكوتان اللتان كانتا تسمعان، وبتعاليم الحي تمتلئان..

وانطبق الفم الذي كان يسبح للرحمن..

وتيبست اليدان اللتان كانتا ليلاً ونهاراً تعملان.

ها هو ذا.. لا حس به ولا شعور..

جامد لا يدور، لا تفر منه الزواحف ولا الطيور.

أأحمله وأسير؟.. وكيف نمشي كلانا وأنا حامله..

وأكتافه هبطت.. وركائزه سقطت.. فتركته للتراب ❖

على أبواب المقابر لا يشتري الإخوة بعضهم بعضاً،

ولو فعلوا ما وصل جسد إلى مقبرة.

لو اشترى الأب ابنه لما ازرقت العيون من البكاء.

لو اشترى الأبناء آباءهم ما صاروا يتامى.

لو اشترى الزوج زوجه ما كان هناك أيامى.

*قال المخلص لآدم: يا آدم.. كم أنت حزين،

على هذا الجسد الطين.! ارفع عينيك،

وانظر سحابة النور القادمة إليك. إن أربعة من أبناء النور إليك ينطلقون.. لملاقاتك يسرعون.. وقد حملوا في سحابة النور، أثواب الضياء وعمائم النور.. وأكاليل كأنها البلور ❖

لماذا تبكي يا آدم؟ سأله الأثريون ❖

قال: أنا عبد لا سيد له.. ❖

قال: بل أنت عبد للحي العظيم..

غرسه وعبده أنت.

لقد اختارك الحي وزكاك، فقم نصعد إلى بلد النور هناك، لتلاقي سيدك وأباك ❖

قال آدم: لو أمهلتموني يا إخوتي،

أرسل إلى حواء زوجتي، لتأتي بصحبتي ❖

قالوا: يا آدم اصمت..

اصمت يا آدم. أنت ماضٍ إلى بلدك.. ملتحفاً ضياءك، وحواء ستصعد وراءك..

ونسلك كله سيأتي وراءك ❖ الدهور كلها ستدول، والمخلوقات ستزول.

تنضب الآبار، وتجف الأنهار،

وتتيبس البحار.. تتفتت الرجام،

وتتهدم الجبال والآكام. تجد طلول، وتمحي طلول. بابل تزول،

والصين تحول، ويذهب الفرس والروم والمغول.

سيقتل الناس بعضهم بعضاً..

وسيحكم على من سفك دم ابن آدم،

وشوه الوجوه التي هي كوجهه. سينادى على المجرمين..

الزناة واللصوص والمنافقين، وعلى السحرة والمنجمين، ويدفعون إلى حرائق النار أجمعين.

يومها تتزعزع التخوم، وتخلو السماء من النجوم..

والشمس والقمر يذهبان، كل إلى مكان..

وكل من كانوا بربهم يكفرون، في أعماق الظلام يحشرون ❖

طوبى لك يا آدم، فقد اصطفاك الرحمن،

ورفعك من عالم الأحزان، فلا تأسف على العالم الذي منه خرجت ❖

يا آدم. بعدك سيخرج صغار مازالوا لا يميزون، وفتيات وفتيان مراهقون..

مازالوا بالزواج يحلمون.

وستخرج عرائس وعرسان،

كانوا في غاية الأمان، فإذا بهم يتركون أسرتهم للغبار والنسيان.

ذهبوا إلى قبورهم،

بعد أن انتزعت قوائم خدورهم. متزوجات ومتزوجون..

كانوا يسألون الموت فلا يأتيهم، ثم بدون رضاهم يموتون.

الملك يترك تاجه..

والغني ذهبه وديباجه..

والنساء جمالهن، والمغريات إغراءهن،

ويذهبن إلى القبور حافيات حاسرات ❖

اصعد يا آدم..

إن كان في رأسك سؤال يدور،

فاصعد إلى ملك النور.. اصعد إلى العزيز الغفور. قف بين يديه،

واعرض سؤالك عليه ❖ قل له..

إن كنت تجرؤ يا آدم.. :

لماذا أموت؟.. ولماذا تخرب هذه البيوت؟،

وينقطع نسلي من ذراها.. وهيبل زيوا بناها..

ويردنا سقاها ❖

يا آدم. يا آدم اهدأ..

وبنفسك فابدأ بتفهمك وتأنيك..

و وداعة الصالحين التي فيك إن هيبل زيواهنا، وإخوتك الأثريين هنا،

ويردنا كله هنا،

وأنت يا آدم حال هنا، وحواء زوجك آتية هنا..

ونسلك كله صاعد وراءك.

يا آدم. هذا هو المنزل الذي خصيصاً لك أقمناه..

لك ولحواء زوجك هيأناه، لتقيما معنا..

نحن الحي الأزلي القديم.. حتى يوم القيامة العظيم.

والحي المزكي

هو الحي العظيم البصير القدير العليم العزيز الحكيم

هو الأزلي القديم الغريب عن أكوان النور الغني

عن أكوان النور هو القول والسمع والبصر الشفاء والظفر والقوة والثبات

هو الحي العظيم مسرة القلب وغفران الخطايا مسبح ربي بقلب نقي.

يا رب الأكوان جميعاً..

مسبح أنت مبارك ممجد معظم موقر قيوم..

العظيم السامي ملك النور السامي الحنان التواب الرؤوف الرحيم الحي العظيم

لاحد لبهائه ولامدى لضيائه المنتشرة قوته العظيمة قدرته.

هو العظيم الذي لا يرى ولا يحد لا شريك له في سلطانه

ولا صاحب له في صولجانه من يتكل عليه فلن يخيب ومن يسبح باسمه فلن يستريب

ومن يسأله فهو السميع المجيب.

ما كان لأنه ما كان ولا يكون لأنه لا يكون خالد فوق كل الأكوان لا موت يدنو

منه ولا بطلان

وأمامه الملائكة ماثلون بأضويتهم يتألقون ساجدين خاشعين شاكرين مسبحين هو الذي لا حد له ولا كيل ولا تدنو عتمة من صوته ولا ليل.

هو الجلال والإتقان هو العدل والأمان هو الرأفة والحنان...
الأول منذ الأزل خالق كل شيء ذو القوة التي ليس لها مثيل صانع كل شيء جميل
رب أكوان النور جميعاً أسمى من الأثريين جميعاً إلههم جميعاً
هو النور الذي لا ظلمة فيه الحي الذي لا موت فيه والخير الذي لا شر فيه.

هو الهادىء دون غضب...
اللذيذ الذي ما نضب البهي الساكن في الشمال العلوي أصل النيرات جميعاً وأبو الأثريين جميعاً المقيم في ملكوته العادل في جبروته أطلق الكاملين الصادقين وطبع اسمه على أفواه المؤمنين وباركهم ببركته أجمعين قدرته لا تحصر في العد والحسبان ولمعات تاجه تنطلق إلى كل مكان وإشعاعات نوره تنبعث من بين أوراق إكليله ملء الأكوان.

هو الملك منذ الأزل ثابت عرشه عظيم ملكوته...
لا أب له ولا ولد ولا يشاركه ملكه أحد مبارك هو في كل زمان ومسبح هو في كل زمان موجود منذ القدم باق إلى الأبد قال للملائكة كوني فكانت بقوله ملائكة النور كانت
ومن ضيائه النقي انبثق ملائكة التسبيح الذين لا حد لهم ولا عد ولا بطلان من نوره العظيم انبثقوا ممتلئين بالتسبيح متقن ضياؤه بهي نوره متقن
وبهي مقامهم فيه نور لا بطلان فيه وخشوع لا عصيان فيه وبر
لا شقاق فيه وإيمان لا خداع فيه وصدق لا كذب فيه هو الخير الذي لا شر فيه وهم فيه مقيمون للحي مسبحون
المثيل السني الكامل
أيتها النفس تنهضين —

والحي القدير تمجدين ..

وله تسجدين .. سبّحي لعليين ..

حيث يجلس الصالحون .. ومجّدي أدكاس زيوا

الأب الذي منه انبثق آدم)،

(مع مثيلي أنا أتحدث ..

تعال نصلي أنا وأنت ..

مجّدني وأمجّدك .. ساعدني وأساعدك ..

فتصعدني وأصعدك ..) ت ٦ ك ١٧ – اليمين .

(خارج أنا للقاء شبيهي ..

وخارج شبيهي للقائي ..

حنا علي ..

وحنوت عليه ..

كأنني عائد من السبي إليه) ت ٢٥ اليسار .

قوديني معك إلى أن يقام الميزان،

فيُحسب ما بي من كمال ويحسب ما بي من نقصان ..

وعندها يقرر الحساب،

أتبعك أم أبقى في العذاب) ت ٢٥ اليسار .

(وحين آدم ركع،

ولأبيه الملاك خشع،

أظهر له أدكاس زيوا نفسه،

فامتلأ آدم تسبيحاً ورتّل جسداً وروحاً) ت٢ اليمين .

(وحين يتم آدم مهمته،

يُمكّن من العودة إلى موطنه،

موطن النور ..

مع أدكاس زيوا أبيه ..

ليكون ملاكاً فيه) .

والله – الحي العظيم – متقن ضياؤه،

بهي نوره،

ومن ضيائه النقي انبثقت ملائكة التسبيح الذين لا حد لهم،

وإشعاعات نوره تنبعث من بين أوراق إكليله من الأكوان، لأنه رب أكوان النور جميعا ، وهو ملك النور السامي، والحنان والتسامح والرحمة من طبيعة هذا النور،

وهو الحكمة، وضوء الحكمة ينير قلب المؤمن،

والحي قائم في النور،

وأرض النور مثل نار تضيء على قمم شاهقة،

وكالتماعة النجوم في سماء رائقة، إنها بهية،

كشمس أشرقت على الخمائل والجنان،

وكألق البدر ذي البهاء والإتقان،

كأنها سراج يضيء في زجاجة من بلور،

وثبّت فيها الله الأثريين وملائكة النور،

وزيّنها بمصابيح تدور،

ووهبها سارية ، ومياها جارية ،

وعطّرها بالأريج،

وأنبت فيها من كل شيء بهيج .

ولا حدّ للنور،

ولا يُدرى متى صار،

حيث قبل الأكوان جميعاً صار الثمر العظيم .

وبأمر ملك النور العظيم،

حلّ الثمر العظيم داخل الثمر العظيم،

وبأمره سبحانه،

كان أثير الضياء العظيم،

الذي منه كانت الحرارة الحية،

ومن الحرارة الحية كان النور،

وبقدرة الله صارت الحياة،

ثم صار الأثريون،

وبعد أن صارت الحياة،

صار الظلام،

وعالم النور فوق عالم الظلام المملوء كله بالشر والغائلة وبالنار الآكلة،.. وفي بلد الظلام يوجد الماردون،

فيه (هيواث)،

وفيه الأشرار والكفار يلتحفون بالديجور،

وفيه الشر والعصيان والسحر والشعوذة،

وهي جميعها رجس من بلد الظلام .

ومخلوقات عالم الظلام التي شاءها الخالق الجليل أن تكون نقيضاً لمخلوقات عالم النور،

كما الماء من الظلام أقدم،

أما كيف صار الظلام، وممّ جُبِل ؟،

ولِمَ لا يبطُل الظلام،

والنور قائم من البدء إلى المنتهى؟،

لكن الظلام على النور لا يُحسب،

والدار المظلمة لا تنير،

والظلام لا يتسع،

وهو في كنه ذاته يستر،

وكل ما ينتج عنه، فهو باطل،

وأبناء الظلام باطلون،

ومردة الظلام هم أتباع الشيطان،

والشرير بشرّه يقف على أبواب الظلام، بيد أن الصالح بصلاحه،

يصعد إلى بلد النور، وسيظل النور والظلام يتصارعان،

منذ أن نزلت الروهة الشوهاء إلى الأرض حاملة معها كل ما يطفيء الضياء،

وأرادت إغراق آدم وحواء في الآثام، ..

فأبتدأ عندها صراع الخير والشر في ذات المخلوق،

وبهذا يُمتحن الإيمان،

وحين يكتمل العالم، تسقط الأرض في الظلمات،

فهي إلى أصلها سترجع،..

في عالم الظلام نفوس ونفوس معبأة،

مثل فوانيس مُطفأة،

هذه تقدمت للحساب، وهذه مُرجأة،

نفوس بلا عدد، لا يسأل عنها أحد ..

محشورة في العذاب، منتظرة ساعة الحساب

أرواحهم تبلى ..

ونفوسهم بالعذاب تُصلى، مقيمون فيه إلى يوم الدين ❖

يومها الأرض والسماء تتهدمان وليس لهم بينهما مكان،

الكواكب تتساقط ويلفها الدخان،

والشمس والقمر يتبعثران ..

فأين يذهبون ؟

بل هم في الظلام موثقون،

موتاً ثانياً يموتون،

لا ينطلقون ولا يصعدون

ملك سام ❖

عظيم المقام ❖

ساهر لا ينام ❖

لا يُرى ولا يرام ❖

إلا بالحدس والتلميح ❖

والصلاة والتسبيح .

خلق بثاهيل

كل شيء من طين الأرض،

من الريح والنار والماء

خرج من الثمرة الكبيرة ذات الحول الشامل

والقدرة ألوف مؤلفة من الثمرات بلا نهاية وروبان روبان من الشكينات

بدون عدد، ..

الشمسُ مع الأرض تكوّنتْ،

كيانهُا مِنْ كيانِها)

و (القمرُ صارَ من الأرض)

(الثمرُ داخلُ الثمرْ .

والأثيرُ داخلُ الأثيرْ والوعاءُ العظيم

ذو الوَقارْ ..

منهُ كانتْ الأوعية العظيمة ،

المنتشرة أضويتها،

الكثيرة أنوارها)

ثمارٌ لا حدودَ لها وربواتٌ لا عددَ لها،

طلعَتْ مِن الثمر العظيم الذي لا حدَّ لهْ ..

مسبِّحة للوعاء العظيم ذي الوَقارْ،

الحالُّ بالأثير العظيم) كنزا ربا

وهل بعد هذا، مِن بيِّن مُبينْ،

عن منشأ الأكوانْ ..

عن قدرةِ الد يّانْ ..

إنها منتشرة تدورْ ..

لكلٍّ منها مسارْ، وكلٌّ في مدارْ ..

إنّا جعلنا الكونَ منازلَ وطبقات ❖

مكتملات وغيرَ مكتملات

إثنا عشرَ برجا للكواكب كلُّها تدورْ ..

قبلَ الأكوان جميعاً كانَ الثمرُ العظيم

جمعيات ومنظمات مندائية حديثة

اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر

The Mandaean Associations Union
Canada.

الجمعية المندائية لحقوق الإنسان

The Mandaean Human Rights Group: MHRG

الجمعية المندائية في نيويورك

The Mandaean Society of America
Dr. Suhaib Nashi

الجمعية المندائية في ديترويت

The Mandaean Association in Detroit
Mr. Nashet Al-Mandewee

الجمعية المندائية الكندية

الجمعية المندائية في الدنمارك

Mandaean Association in Denmark
abdul razzak Finjan Shamkhi.

الجمعية المندائية في ألمانيا

The Mandaean Association of Germany
Haider Yacoub Yousif

الجمعية المندائية في فيلندا

The Mandaean Association in Finland
Al-Fayadh Mohaumed Sabae

الجمعية المندائية في هولندة

Mandaean Federatie Nederland
Mr. Mania Al-Saudi

الجمعية المندائية في نيوزيلندة

The Mandaean Association of New Zealand
Mr. Faheem Al-Saleem

الجمعية الثقافية المندائية في مالمو

Mandaean Cultural Asso. In Malmo
Mr. Kasem Harbi

الجمعية المندائية في مالمو

The Mandaean Association in Malmo
Mr. Nazar Glass

الجمعية الثقافية المندائية في لوند

Mandiesk Kultur Forringen / Lund
Mr. Falah Al-Haider

الجمعية المندائية في يوتوبوري

MENDAESKA FORENINGEN I GOTEBORG
C/O BASSAM HASSAN

الجمعية المندائية في المملكة المتحدة

The Mandaean Association Of The UK
Mr. Subhi Al-Shather

الجمعية الصابئية المندائية في أستراليا

The Sabian Mandaean Association in Australia

النادي الثقافي المندائي في أستراليا

مركز البحوث المندائية في أستراليا

Mandaean Research Center Inc

Majid Fendi

المجلس الأعلى للصابئة المندائيين في العراق

The Supreme Mandaean Council in Iraq

عنوان المندى:

بغداد / حي القادسية / شارع الكورنيش

جمعية الصابئة المندائية في سورية

المراجع

١. الحياة والموت في المندائية خيارات الأزل السرمدي - نعيم عبد مهلهل.

٢. رسالة أنترنيت إلى النبي زكريا في يومه السنوي - نعيم عبد مهلهل.

٣. علاقة الأدب المندائي بالغنوصية - لقاء مع الباحث صباح خليل مال الله - موسى الخميسي/ روما.

٣. "انقاذ gnostics" ناثانايل الماني٦ تشرين الاول ٢٠٠٧، *نيويورك تايمز*.

٤. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر.

٥. الصابئة المندائيون، الليدي دراور – مطبعة الإرشاد – بغداد – ١٩٦٩م.

٦. مندائي أو الصابئة الأقدمون، عبد الحميد عبادة – طبع في بغداد – ١٩٢٧م.

٧. الصابئة في حاضرهم وماضيهم، عبد الرزاق الحسني – طبعة لبنان – ١٩٧٠م.

٨. الكنزاربّا، وهو كتاب الصابئة الكبير ومنه نسخة في خزانة المتحف العراقي.

٩. الفهرست، ابن النديم – طبع في القاهرة – ١٣٤٨هـ.

١٠. المختصر في أخبار البشر، تأليف أبي الفداء – طبع في القاهرة – ١٣٢٥هـ.

١١. الملل والنحل، للشهرستاني – طبعة لبنان – ١٩٧٥م.

١٢. معجم البلدان، لياقوت الحموي – طبع في القاهر – ١٩٠٦م.

١٣. مقالة لأنستاس الكرملي، مجلة المشرق – بيروت – ١٩٠١م.

١٤. مقالة لزويمر، مجلة المقتطف – القاهرة – ١٨٩٧م.

١٥. مقالة لإبراهيم اليازجي، مجلة البيان – القاهرة – ١٨٩٧م.

١٦. الصابئة والنبي يحيى في القرآن الكريم.

١٧. فاروق عبد الجبّار عبد الإمام - الدين الأول - مدخل إلى الدين المندائي. الصابئة المندائيون في الفقه والتاريخ الإسلاميين.

١٨. الدكتور رشيد الخيون رسالة أنترنيت إلى النبي زكريا في يومه السنوي - نعيم عبد مهلهل.

١٩. الحياة والموت في المندائية خيارات الأزل السرمدي - نعيم عبد مهلهل.

٢٠. يحيى بن زكريا يوحنا المعمدان، نبي الصابئة المندائيين - الترميذا علاء النشمي.

٢١. الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين، العرب البائدة، لعبد الفتاح الزهيري، مطبعة الأركان ببغداد ١٤٠٣هـ.

٢٢. الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية، لرافد الشيخ عبد الله نجم – بغداد ١٩٨٨م.

٢٣. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي – القاهرة – ١٣٥٦هـ.

٢٤. إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – صفحة ١٣٩-١٤٨ طبعة عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

25. Handbook of Classical and Modern Mandai ‹Berlin 1965.
26. Mandaean Bibliography ‹Oxford University Press ‹1933.
27. Die Mandaer: ihre relligion und ihre Geschichte Muller: Amsterdam 1916.
28. Frankfort Dr. Henri Archeology and the Sumerian Problem ‹Chicago Studies in Ancient Oriental Civilization. No. 4 (Univ. of Chicago Press ‹1932).

J.B. Tavernier ‹Les Six Voyaojes ‹Paris 1713.

29. M.N. Siouffi ‹Etudes Sur la religion des Soubbas ‹Paris 1880.
30. E.S. Drower ‹The Mandaeans of Iraq and Iran ‹London 1937.
31. H. Pognon ‹Inscriptions Mandaites des Coupes de Khouberir ‹Paris 1898.

٣٢. حسين أسود مطو - النبي (ماني) ومذهبه.

٣٣. في العراق mandaeans 'تواجه الانقراض'، إنجس كروفورد، بي بي سي، ٤ آذار ٢٠٠٧.

٣٤. Aprim، فريدريك أ. Mandaeans : البابليون، السلالة القديمة الحقيقية، والحضارة الكلدانية.

٣٥. Lupieri، (2002) edmondo. *mandaeans : gnostics*. آخر الغنوصيين الكبرى، : eerdmans، 38-41.

٣٦. Macuch، رودولف (١٩٦٥). *دليل mandaic الكلاسيكية والحديثة*. برلين : دي Gruyter وشركاه، ٦١ القوات الجديدة. ١٠٥.

٣٧. بقاء الإيمان القديمة مهددة بسبب القتال الدائر في العراق، وكريس newmarker، الأسوشيتد برس. شباط / فبراير ١٠، ٢٠٠٧.

٣٨. محنة العراق في mandeans، جون bolender. Counterpunch.org ، كانون الثاني / يناير في ٨ / ٩، ٢٠٠٥.

٣٩. نزوح من العراق إلى السويد لـmandaeans العرقية، ivar ekman. انترناشونال هيرالد تريبيون، ٩ نيسان / ابريل ٢٠٠٧.

٤٠. Mandaeans. Mandaeans persecuted in Iraq ^ للاضطهاد في العراق. إي بي سي الإذاعة الوطنية (أستراليا)، في ٧ حزيران ٢٠٠٦.

٤١. لقاء مع الباحث صباح خليل مال الله - موسى الخميسي.

٤٢. الشيطان ... في الأديان القديمة والحديثة ... دراسة مقارنة سنان نافل.

٤٣. احاديث تربوية .... من الكنزا ربا - اليلوفا المهندس .. ثامر جابر شمخي.
٤٤. ألصابئة ألمندائيون: تاريخ قديم واجتهادات كثيرة - جورج منصور.
٤٥. فاروق عبدالجبار عبدالإمام – **الوحدانية في الديانة المندائية.**
٤٦. ألم توصَّ أن تهدأ وأن تتجنب الغضب؟ فاروق عبدالجبّار عبد الإمام.
٤٧. عيد الخليقة المندائي ـ أو البنجة ـ **مثنى حميد.**
٤٨. باسم الحي العظيم
٤٩. **البرونايا (أيام النور الخمسة)- رمزية عبد الله فندي.**
٥٠. **الكنزا ربّا الأيمن ـ الكتاب المبارك.**
٥١. النشوء والخلق ــ كورت رودولف، إعداد وترجمة صبيح مدلول السهيري. مجلة آفاق مندائية ـ العدد ٢٠ السنة السابعة.
٥٢. مصادر متفرقة أخرى:
٥٣. جريدة الزمان بتاريخ ٢٢ حزيران ٢٠٠٤.
٥٤. مجلة الصدى .. تصدر عن الجمعية المندائية في ستوكهولم / السويد، الدكتور سعدي السعدي.
٥٥. من المواعظ والحكم المندائية – فاروق عبد الجبّار عبد الإمام.
٥٦. الناصروثا علوم الفلسفة المندائية - رمزيه عبدالله فندي.
٥٧. النشوء والخلق في النصوص المندائية إعداد وترجمة الأستاذ الدكتور صبيح مدلول (هبوط نشمثا في جسد ادم).
٥٨. النبي يحيى بن زكريا نبي الصابئة المندائيين إعداد وترجمة الأستاذ الدكتور صبيح مدلول السهيري.
٥٩. النص الديني (١٨) من كتاب التعميد المندائي ترجمة وتعليق الترميذا رافد.
٦٠. رسالة إلى ألاخت المندائية - رمزية فندي.
٦١. الصلاة (اليلوفا) المهندس ماهر جابر شمخي.
٦٢. أسئلة و أجوبة عن ألديانة ألمندائية
٦٣. الشيخ الترميذه علاء النشمي، إيران في عهد الساسانيين، /آرثر كريستنسن/.
٦٤. تراتيل اختتام قداس الصعود (المسختا) – مثنى حميد مجيد.
65. The Canonical Prayer Book of the Mandaeans E.S.Drower.
٦٦. تاريخ الفلسفة الغربية ـ برتراند رسل ـ ترجمة د.زكي نجيب محمود.
٦٧. إخوان الصفاء ـ فلسفتهم وغايتهم ـ د.فؤاد معصوم.

٦٨. MandaeanWorldResearch رسالة للدكتور بيتر نوفاك في موقع تراتيل صابئية مندائية - مثنى حميد مجيد.
69. The Canonical Prayerbook of the Mandaeans -E.S.Drower.
٧٠. مفاهيم صابئية مندائية ـ ناجية المراني.
٧١. أسطورة الماء في الأديان، فكراً وطقساً - الترميذا علاء النشمي.
٧٢. أصول الصابئة المندائيين .. عزيز سباهي.
٧٣. بخور الآلهة .. خزعل الماجدي.
٧٤. المصبتا (دراسة في التعميد المندائي) .. الترميذا علاء النشمي.
٧٥. معرفة الحياة .. سيناثي كندوز ترجمة د. سعدي السعدي.
٧٦. الصابئة المندائيين أقدم الديانات السماوية على وجه الأرض - صباح السعدي.
٧٧. الفكر الفلسفي عند المندائيين – الدكتور قيس مغشغش السعدي.
٧٨. حكمت السليم hikmat_alsaleem@yahoo.de
٧٩. المندائية من آدم (ع) إلى قراءة السيد الخامنئي – كتاب جديد لنعيم عبد مهلهل.

٨٠. **كتابات – دمشق**
٨١. من مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريا - فاروق عبد الجبار عبد الإمام.
٨٢. دهفة أديمانة - فهيم السليم.
٨٣. من الوصايا والنواهي - فاروق عبد الجبار عبد الإمام.
٨٤. خربشات غنوصية – يوحنا نشمي.
٨٥. التعميد المندائي (المصبتا) – الربي رافد الشيخ عبدالله الشيخ نجم.
٨٦. فضاءات لونية تخرج من الحسابات الهندسية – أزهر جبار الخميسي.
٨٧. قسم من المؤلفات والمخطوطات المندائية من مكتبة جامعة لايبزك في المانيا.
٨٨. أسئلة دينية يجيب عليها الترميذا علاء النشمي - حكمت السليم.
٨٩. التشبيهات - فاروق عبدالجبّار عبد الإمام.
٩٠. دراسة مقارنة بين اللغة المندائية واللغة العربية - للباحثة والأديبة ناجية المراني.
٩١. أصالة الرأي.. أصالة الموقف - عربي فرحان.
٩٢. الأقلام المندائية ، بعض التشبيهات الواردة في كتاب تعاليم يحيى عليه السلام – فاروق عبد الجبار عبد الإمام.
٩٣. أصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية - تأليف عزيز سباهي.
٩٤. من وصايا النبي يحيى بن زكريّا عليهما السلام - فاروق عبدالجبّار عبدالإمام الصابري.

٩٥. ماتياس نوربري، المترجم الأول للكنزا ربا - بقلم ديار باسم الحيدر.
٩٦. من وحي كنزا ربا ، قصة آدم - فاروق عبد الجبار عبد الإمام.
٩٧. الصابئة والنبي يحيى في القرآن الكريم - فاروق عبد الجبّار عبد الإمام.
٩٨. الصابئة في مدينة واسط خلال العصر العباسي للفترة ٣٢٤ـ٦٥٦ هـ أو ٩٥٣ ـ١٢٥٨ م (المقالة نقلاً عن موقع الكوت) - يحيى غازي الأميري.
٩٩. عباس محمود العقاد- إبليس –مصر-بدون تأريخ-ص٨٨.
١٠٠. سيغموند فرويد-إبليس في التحليل النفسي-١٩٨٠-بيروت-ص٦-ترجمة جورج طرابيشي.
١٠١. العقاد – إبليس ص٢١٩.
١٠٢. الرازي –مختار الصحاح – مادة شطن – ص٨٥ بيروت – بدون تاريخ.
١٠٣. العقاد ص ٤٢.
١٠٤. د. سامي سعيد الأحمد –الأصول الأولى لأفكار الشر و الشيطان – بغداد -ط١-١٩٧٠-ص٤٣.
١٠٥. صادق جلال العظم – نقد الفكر الديني –بيروت – ١٩٦٩ – ص٨١.
١٠٦. عبد المجيد السعدون – أسماء الأعلام المندائية في كنزا ربا – اطروحة ماجستير – ١٩٩٧- بغداد –ص٦٤.
١٠٧. س.كوندوز – معرفة الحياة – ترجمة سعدي السعدي – السويد – ١٩٦٦ ص ٢٨٠.
١٠٨. كورت رودولف _ النشوء و الخلق في النصوص المندائية – ترجمة د. صبيح مدلول – بغداد – ١٩٩٤ – ص٦٩.
١٠٩. نائل حنون – عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين – بغداد – ١٩٨٦ – ص٢١٤-٢١٧.
١١٠. د. سامي سعيد الأحمد _ص٣٤.
١١١. د. فاضل عبد الواجد – سومر إسطورة و ملحمة-بغداد – ١٩٩٧ – ص ١٢٤.
١١٢. كورت رودولف – ص ٧٢.
١١٣. د. سامي سعيد الأحمد ص ٢٤.
١١٤. الكتاب المقدس – العهد القديم – حزقيال- ص ١٢-١٧.
١١٥. القرآن الكريم – صورة البقرة-آية ٣٠-٣٤.
١١٦. ٢، مزامير-٨١.
١١٧. د. سامي سعيد الأحمد ص٥٩.
١١٨. كورت رودولف – ص١٧٦.
١١٩. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر.

١٢٠. أسئله دينية - الترميدا علاء النشمي.

١٢١. التشبيهات - فاروق عبدالجبّار عبد الإمام.

١٢٢. سنة الأولين.

١٢٣. تحليل مواقف الناس من الدين وتعليلها - ابن قرناس.

١٢٤. منشورات الجمل، Kalmaaly@aol.com الدين السومري - تأليف :خزعل الماجدي.

١٢٥. عبدة الشيطان، ترجمة وتحقيق: ممدوح الزعبي - توفيق التوتنجي.

١٢٦. المندائية علي القطبي مفسرو القرآن هل أنصفوا الموحدين المندائيين.

١٢٧. علي القطبي؟؟ التصوف الإسلامي ومراحله.

١٢٨. جميل حمداوي، يحيى غازي الأميري:مات المندائي العراقي (أبو نبيل) بعيداً عن أرض الرافدين موطننا الطبيعي.

١٢٩. الدكتور جبار ياسر صكر الحيدر: الصابئة المندائيون... ماذا لهم؟ وماذا عليهم.

١٣٠. في رحاب كَنزا ربّا – الكتاب المقدس للصابئة المندائيين - بشار حربي.

١٣١. الأنهار المقدسة صباح مال الله / لندن.

١٣٢. الأمة - الترميذا سلوان شاكر.

١٣٣. المندائية، مقابلة مع البروفسور كورت رودلف – ثائر صالح.

١٣٤. الجذور الحقيقية للديانة المندائية – راشد أحمد، لقاء مع رئيس طائفة الصابئة المندائيون الشيخ ستار جبار حلو.

١٣٥. أضواء على كتاب قوم كه ازياد رفته - القوم المنسيون دراسة في تاريخ ومعتقدات الصابئة المندائيين - موسى الخميسي.

١٣٦. المذابح الجماعية التي تعرض لها الشعب المندائي عبر التاريخ – حكمت السليم.

١٣٧. الشريف الرضي وأبو إسحق الصابي، صداقة خلدها التاريخ – إعداد الأستاذ الدكتور رفعت لازم مشعل.

١٣٨. الدكتور قيس مغشغش السعدي، لقاء مع المؤرخ الإيطالي البروفسور إدمندو لوبييري، على هامش مؤتمر جامعة إكسفورد الذي أقيم حول المندائيين سنة ٢٠٠٢، لندن. أجراه/ صباح مال الله.

١٣٩. الصابئة ومخطوطات البحر الميت – فاروق عبد الجبار عبد الإمام.

الفهرس